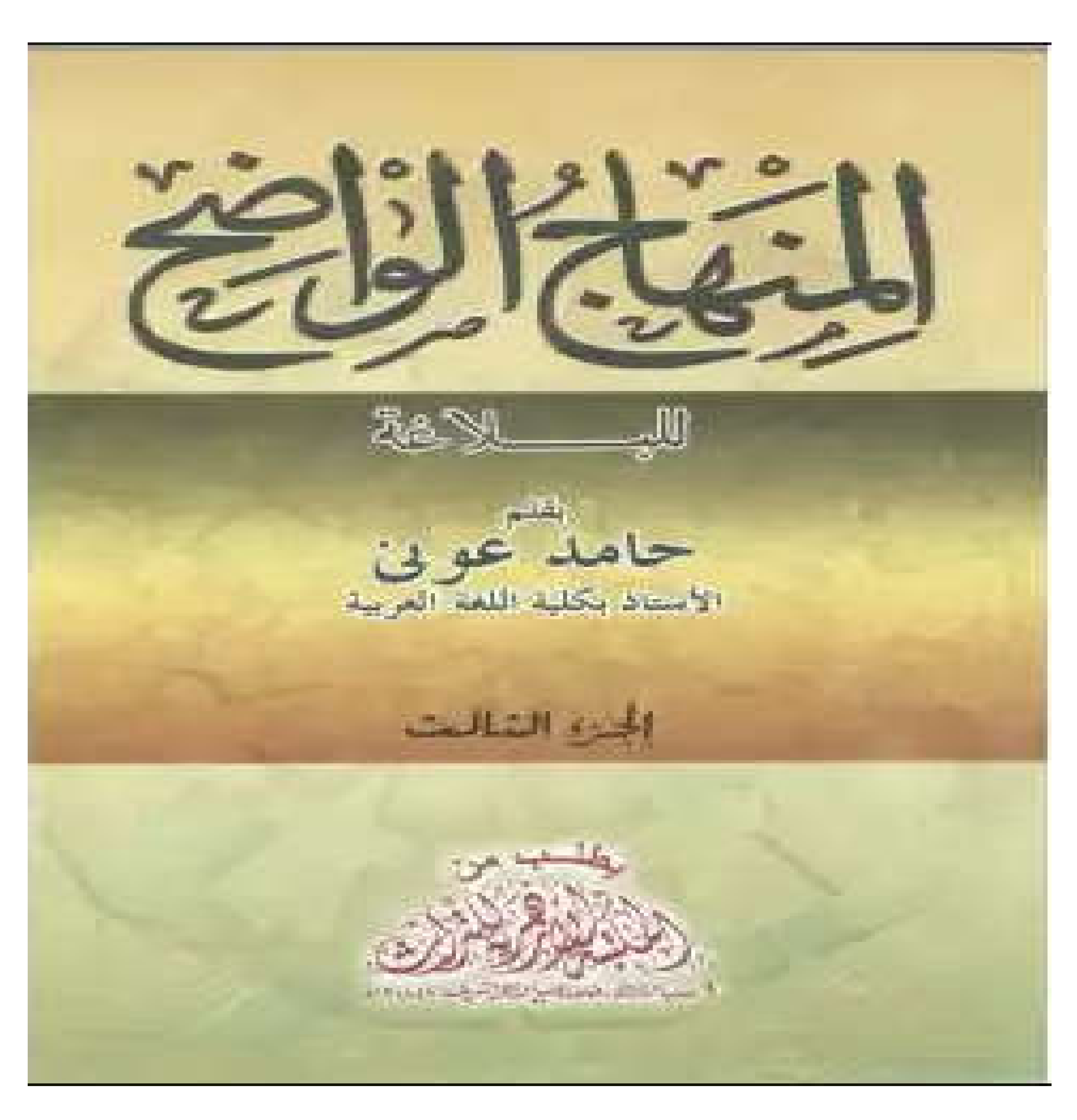


المجلد الأول

مقدمة

...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أبلغ بني العروبة منطقًا، وأفصحهم لسانًا، وأدراهم بمداخل القول، ومناحي الكلام، وعلى آله وصحبه اللسن المقاويل، أولي الحجة الدامغة، والحكمة البالغة.

أما بعد، فقد شاء الله أن أدرس هذا الفن للسنة الأولى من القسم الثاني؛ فرأيت الكتاب المقرر -على ما فيه مما يشهد لصاحبه بالفضل- مضغوطًا ضغطًا دعا إليه ما احتواه من المباحث

العديدة في الفنون الثلاثة –وهو أمر يتعارض مع ما تتطلبه حاجة الناشئين في هذه الفنون من بسط وإيضاح فيما قرر عليهم منها؛ لتنكشف لهم أوجه المعاني، وينبسط ما تعقد منها، فيسهل عليهم تحصيلها– رأيت ذلك إلى ما شهدته من تشتيت وتشريد فيما تعين لهم من موضوعاته، مما أدى إلى تبرم الطلاب، ورفع عقيرتهم بالشكاية في كل مناسبة.

لهذا رأيتني –وقد لمست حاجة الطلاب الملحة، وهم حديثو العهد بالفن– مضطرًّا إلى وضع كتاب يجمع شمل هذه المباحث، ويضم شتاتها في عبارة مكشوفة المعنى، واضحة المراد، مصوغة في القالب الحبيب إلى نفوسهم، القريب من أفهامهم، متوخيًا جهد المستطيع تذليل العاصي، وإدناء القاصي حتى لا يتوعر الطريق، ولا يتعثروا في المسير.

هذا، وقد وضعت "كعادتي" بعد كل مرحلة تمرينين توليت الإجابة على أحدهما؛ تدعيمًا لقواعد العلم في نفوس النشء، وتركت الآخر لأفهامهم؛ مرانًا لهم على الاستقلال في التفكير.

وقد ذيلنا هذه النسخة بمجموعة من الأسئلة التي وضعتها الإدارة العامة للنقل من الأولى للثانية في سنين مختلفة؛ لتكون كنماذج يسير الطالب في تحصيله على هداها.

والله الكريم أسأل أن يجيء هذا الغرس شهي الثمر، داني القطوف، وأن يجزيني به قبولًا من عنده ورضوانًا.

المؤلف

منهج البلاغة للسنة الأولى الثانوية:

تشمل الدراسة في هذه السنة ما يأتي:

١– معنى الفصاحة والبلاغة.

٢– علم البيان، تعريفه، الدلالة، التشبيه وأقسامه، الحقيقة والمجاز.

٣– الكناية، تعريفها، أقسامها.

٤– البديع، أنواع منه.

كلمة موجزة في تاريخ علوم البلاغة:

لم يصنف العلماء في هذه الفنون الثلاثة –المعاني، والبيان، والبديع– إلا بعد الفراغ من تدوين علوم اللسان: النحو، والصرف، واللغة.

ويمكن القول بأن أول كتاب دون في هذه العلوم كان في علم البيان، وهو كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦هـ وضعه على إثر سؤال وجه إليه في مجلس الفضل بن الربيع[١] عن معنى قوله تعالى في شجرة الزقوم: {طَلْعُهَا [٢] كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} وكيف شبه الطلع برءوس الشياطين وهي لم تعرف بعد؟ أي: وينبغي التشبيه بشيء معروف حتى يتبين

المشبه ويتضح، فأجاب أبو عبيدة بأنه على حد قول الشاعر:

أيقتلني والمشرفي[3] مضاجعي ... ومسنونة زرق[4] كأنياب أغوال؟

يريد: أن المشبه به هنا غير معروف كذلك، وأن الغرض من التشبيه عرض المشبه في صورة مستفظعة مخوفة، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول، فيقولون: كأنه وجه الشيطان، أو كأنه رأس الغول، وإن لم يروهما لاعتقادهم أنهما شر محض، لا يخالطهما خير، فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة.

ثم قام أبو عبيدة من فوره، وتقصى ما ورد في القرآن من الألفاظ التي أريد بها غير معناها الأول في اللغة، وجمعها في هذا الكتاب، وسماه "مجاز القرآن".

وأبو عبيدة هذا هو معمر بن المثنى اللغوي البصري، تلميذ يونس بن حبيب

---

١ أحد وزراء المأمون.

٢ الطلع هنا يراد به الحمل، وأصله: طلع النخل، سمي به حمل هذه الشجرة.

٣ وصف للسيف منسوب إلى مشارف الشام، وهي قرى كانت تجيد صناعة السيوف.

٤ المراد بها أسنة الرماح.

شيخ سيبويه، إمام النحاة، وأستاذ أمير المؤمنين هارون الرشيد. ثم تبعه العلماء من بعده، فوضعوا رسائل في الاستعارة والكناية لم تميز علم البيان تميزًا خاصًّا، وبقيت الحال كذلك مدة العصر العباسي الأول.

أما علم المعاني: فلم يعلم بالضبط أول من تكلم فيه، وإنما أثر عن بعض فحول الكتاب والخطباء كجعفر بن يحيى[1] وسهل بن هارون[2] وغيرهما كلام في هذا النوع من البلاغة، ولكنه لم يطبع هذا العلم بطابع خاص يتميز به عن سواه.

وأول من أسهم لهذا العلم من عنايته، وخصَّه بمستفيض بحثه، ودوّن فيه ونظم عمرو بن بحر الجاحظ[3] في كتابيه: البيان والتبيين، وإعجاز القرآن، وغيرهما، وتقفاه العلماء من بعده كأبي عباس المبرد[4] صاحب الكامل وقدامة بن جعفر الكاتب[5]، ووقف الأمر عند هذا الحد مدة هذا العصر.

أما علم البديع: فإن أول من كتب فيه كتابًا خاصًّا -على ما قيل- عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٩٦هـ. وكان الشعراء من قبله يأتون في أشعارهم بضروب من البديع؛ كبشار بن برد[6] ومسلم بن الوليد[7] وأبي تمام[8] وغيرهم، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه سبعة عشر نوعًا، وكان ممن يعاصره

---

١ أحد وزراء هارون الرشيد.

٢ فارسي الأصل اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، وكان أديبًا شاعرًا حكيمًا، يتعصب للعجم على العرب.

٣ هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر البصري، صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة.

٤ هو أبو العباس محمد بن يزيد النحوي.

٥ كان نصرانيًّا، أسلم واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، ألف في ذلك كتبًا.

٦ هو أبو معاذ أشعر مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، كان مع هذا كفيفًا.

٧ هو صريع الغواني أبو الوليد، أحد الشعراء المسلمين في الدولة العباسية.

٨ هو حبيب بن أوس الطائي، عربي الأصل، أحد الشعراء الأعلام.

قدامة بن جعفر سالف الذكر، فجمع منه عشرين نوعًا اتفق مع ابن المعتز على سبعة منها، وسلم له ثلاثة عشر تضاف إلى السبعة عشر التي جمعها ابن المعتز، فيكون جملة ما جمعاه ثلاثين نوعًا، هي أقصى ما جمع في ذلك العصر.

وجاء العصر التالي، فزاد كل من أبي هلال العسكري١ صاحب الصناعتين وابن رشيق٢ صاحب العمدة أنواعًا كثيرة، لم تخرج في جملتها عما جمعه ابن المعتز وقدامة.

ولم تميز هذه العلوم، وتبوب وتفصل إلا في العصر التالي. وأول من نزع عن قوسه، ورمى إلى هذا الهدف شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر٣ صاحب دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

وبقيت الحال كذلك، حتى جاء فارس الحلبة أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، فبسط هذه العلوم في كتابه "المفتاح" وهذب مسائلها ورتب أبوابها، فكان كل من جاء بعده عيالًا عليه.

وجه الحاجة إلى دراستها:

إن لهذه العلوم الفضل الأول في بيان أسرار اللغة، والكشف عن كنوزها، والبحث عن نفائسها، وفي معرفة ما لها من ميزة السبق على سائر اللغات حتى نزل بها القرآن الكريم، فوسعته معنى وأسلوبًا -على ما فيه من روعة وجلال- فكان ذلك شهادة لها بإحرازها قصب السبق، واستوائها على عرش السيادة. كذلك لها الفضل الأول في الكشف عن سر إعجاز القرآن بما حواه من بارع اللفظ، ورائع الأسلوب، وما تضمنه من بيان ساحر هو فوق متناول الإدراك، حتى وقف بنو العروبة وحاملو لوائها أمامه واجمين، وخر له عباقرة البيان ساجدين.

من أجل هذا، كانت حاجتنا إلى دراسة هذه العلوم فوق حاجتنا إلى شأن آخر من شئون الحياة، وما ظنك بما يكشف لك عن سر ما للغة آبائك من قوة واعتزاز، وما احتواه كتاب

ربك رمز العظمة وآية الإعجاز!

---

١ هو الحسن بن عبد الله بن سهل، المتوفى سنة ٢٩٥هـ.

٢ هو أبو علي الحسن بن رشيق، المتوفى سنة ٤٠٩هـ.

٣ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المتوفى عام ٤٧١هـ.

معنى الفصاحة والبلاغة:

الفصاحة معناها في اللغة: البيان والظهور. يقال: أفصح الصبي في منطقه، وفصح فيه: إذا بان وظهر كلامه، كما يقال: أفصح الأعجمي، وفصح: إذا انطلق لسانه بالعربية لا تشوبه لكنة. ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى، عليه السلام: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} أي: أبين مني قولًا.

ويقال: أفصح الصبح: إذا بدا ضوءه ولمع، ومنه المثل المشهور: أفصح الصبح لذي عينين[1] كما يقال: هذا يوم مفصح أي: جلي لا غيم فيه.

ويقال: أفصح اللبن: إذا نزعت رغوته فظهر، ومنه المثل المعروف: وتحت الرغوة اللبن الفصيح[2]، فظهر لك مما تقدم من الأمثلة أن الفصاحة في اللغة لم تخرج عن معنى الظهور والبيان.

أما معناها في اصطلاح البلغاء فيختلف باختلاف موصوفها، وهو أحد أمور ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلم.

يقال: هذه كلمة فصيحة؛ إشارة إلى كلمة معينة كلفظ "الأجل" ويقال: هذا كلام فصيح؛ إشارة إلى مركب معين كقولنا: الله الأجل، ويقال: هذا فصيح؛ إشارة إلى متكلم خاص كأبي بكر، أو عمر، أو علي أو غيرهم من فصحاء العرب، وإليك بيان كل على الترتيب.

فصاحة الكلمة:

فصاحتها: أن تسلم من العيوب الثلاثة الآتية:

١- تنافر الحروف.

٢- مخالفة الوضع.

٣- الغرابة.

وبسلامتها من هذه العيوب تسلم مادتها، وصيغتها، ومعناها من الخلل. وهاك العيوب الثلاثة على هذا النسق:

---

١ يضرب للشيء يظهر بعد استتاره.

٢ يضرب للأمر ظاهره غير باطنه.
٣ إنما آثرنا هذا التعبير على قولهم: مخالفة القياس؛ لأنه أدل على المعنى المراد منه على ما يأتي.

تنافر الحروف:
هو وصف في الكلمة التي ينشأ عنه ثقلها على اللسان، وتعسر النطق بها، وهو نوعان: تنافر شديد، وتنافر خفيف.
فالشديد كلفظ "الظش" للموضع الخشن و"كالهعخع" لنبات ترعاه الإبل، في قول أعرابي سئل عن ناقته: تركتها ترعى الهعخع. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف تنافرًا شديدًا، يشعر به كل ناطق، وهو خلل واقع في مادتهما.
الخفيف كلفظ "النقاخ" بضم النون للماء العذب الصافي، و"كمستشزرات" في قول امرئ القيس١:
غدائره مستشزرات إلى العلا ... تضل العقاص في مثنى ومرسل٢
يصف الشاعر حبيبته بكثرة الشعر وغزارته، وأنه لكثافته مقسم إلى أقسام؛ فبعضه مرتفع، وبعضه مرسل، وبعضه مثنى، وبعضه معقوص ملوي، وأن المعقوص منه يتيه ويختفي فيما ثني وأرسل منه. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف، وهو خلل واقع في مادتهما كذلك.
تنبيه:
قيل: إن الضابط المعول عليه في ضبط التنافر: قرب مخارج الحروف أو بعدها، بمعنى: أن تكون الحروف متقاربة في المخرج أو متباعدة فيه؛ فلفظ "الهعخع" مثلًا متنافر ثقيل لتقارب حروفه في المخرج، ذلك: أن الهاء والعين والخاء خارجة كلها من مخرج واحد هو الحلق، إلا أن بعضها خارج من أقصاه، وبعضها من قريب منه.

---

١ هو أسبق شعراء الجاهلية إلى ابتداع المعاني وحسن التعبير عنها، وأول من وقف على الديار واستبكى الأطلال.
٢ الغدائر: جمع غديرة، وهي المسماة في عرفنا بالضفيرة، والضمير راجع إلى "فرع" في الشطر الأول من البيت قبله، وهو "وفرع يزين المتن أسود فاحم" أي: فرع محبوبته و"مستشزرات" بكسر الزاي أو فتحها بمعنى: مرتفعات أو مرفوعات، و"العقاص" جمع عقيصة وهي خصلة ضده.

ولفظ "مستشزرات" متنافر ثقيل أيضًا؛ لتقارب حروفه في المخرج كذلك، إذ إن حروفه –ما عدا الميم– خارجة من مخرج واحد هو اللسان، غير أن بعضها خارج من طرفه، وبعضها من وسطه. ولفظ "ملع" بمعنى: أسرع متنافر ثقيل؛ لتباعد حروفه في المخرج، إذ إن الميم خارجة من الشفتين، والعين من أقصى الحلق، وهكذا.

ورد هذا القول بأن الضابط المذكور غير مطرد؛ لأننا لا نجد تنافرًا في لفظتي "الجيش والشجي" مع تقارب الشين والجيم في المخرج، ولا نجد تنافرًا في {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ} مع تقارب الهمزة والعين والهاء في المخرج، كذلك كما لا نجد تنافرًا في مثل "علم وملح" مع تباعد المخرجين في العين والميم في الأول، والميم والحاء في الثاني. وإذن فقرب المخارج أو بعدها لا يصلح ضابطًا يعول عليه في ضبط التنافر لعدم اطراده كما عرفت، بل الحكم في ذلك للذوق السليم؛ فما عده الذوق السليم ثقيلًا متعثر النطق فهو متنافر، سواء أكان متقارب الحروف أو متباعدها ا. هـ.

مخالفة الوضع: هي أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضع، سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أيضًا أم لا، فمدار المخالفة على ما ثبت عند الواضع كما ستراه بعده.

فمثال ما خالف الأمرين معًا لفظ: "بوقات" جمع مؤنث مفرده "بوق" بمعنى المزمار، في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فإن يك بعض الناس سيفًا لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

يقول: إذا كنت سيفًا لدولتك له خطره وأثره، فغيرك من الملوك بمثابة البوق والطبل لا أثر له، ولا غناء فيه. فلفظ "بوقات" في البيت غير فصيح؛ لمخالفته ما ثبت عن الواضع والقياس الصرفي؛ إذ الثابت عن الواضع جمعه جمع تكسير، والقياس الصرفي يقتضي جمعه مكسرًا أيضًا فيقال: "أبواق"؛ لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة، ليس هذا الاسم منها، وذلك خلل واقع في الصيغة. ومثله لفظ "ضننوا" بمعنى: بخلوا، من قول الشاعر:

مهلًا أعاذل قد جربت من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضننوا

يقول الشاعر لمن لامته على إحسانه لمن بخلوا عليه: اقصدي من لومك، فقد عرفت أن من خلقي مجازاة من يسيء إليَّ بالإحسان إليه؛ لأني إنما أصنع المعروف للمعروف، لا لشيء وراءه. فلفظ "ضننوا" غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ورد عن الواضع، وللقياس الصرفي، إذ الوارد عن الواضع: "وإن ضنوا" بالإدغام لا بالفك، والقياس الصرفي أيضًا يقتضي إدغام المثلين. ومنه لفظ "الأجلل" في قول الشاعر:

الحمد لله العلي الأجلل ... أنت مليك الناس ربا فاقبل

فلفظ "الأجلل" غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ثبت على الواضع، وللقياس الصرفي كما في

المثالين قبله.

ومثال ما خالف الثابت عن الواضع، ووافق القياس قولك: "يأبي" بكسر الباء مضارع "أبى" فهو غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، إذ الثابت عنه "يأبى" بفتح الباء لا بكسرها، في حين أنه موافق للقياس الصرفي؛ لأن "فعَل" بفتح العين لا يأتي مضارعه على "يفعَل" بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق "كسأل يسأل" و"منع يمنع"، وليس "أبى يأبى" من هذا القبيل. كذلك لا يأتي مضارعه على "يفعُل" بالضم إلا إذا كان مضعف العين متعديًا "كمده ويمده"، أو أجوف واويًّا "كقال يقول"، أو ناقصًا واويًّا "كسما يسمو" وليس "أبى يأبى" أحد هذه الأنواع، فكسر عين مضارعه حينئذ موافق للقياس الصرفي، ولكنه مع ذلك غير فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع.

فالشرط إذًا في مخالفته الوضع: أن تخالف الكلمة ما ثبت عن الواضع، سواء خالفت القياس الصرفي أيضًا أو لا "كما عرفت".

تنبيه:

علم مما تقدم: أن ما ثبت عن الواضع، سواء وافق القياس الصرفي أو خالفه فصيح؛ فنحو "آل وماء" من قولك: "هؤلاء آلك فاعطف عليهم، وهذا ماؤك

فاشربه" مخالف للقياس الصرفي؛ لأن الأصل فيهما: "أهل وموه" أبدلت الهاء فيهما همزة، وهذا الإبدال لا يقره القياس، ولكنه فصيح لموافقته ما ورد عن الواضع. ومثله "أبى يأبى" بفتح الباء في المضارع، والقياس كسرها لما تقدم بيانه، ولكنه فصيح لوروده هكذا عن الواضع.

كذلك قولهم: عورت عين فلان، و {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} ، فالقياس فيهما أن يقال: عارت عينه، واستحاذ عليهم بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصحيح الواو حينئذ مخالف للقياس لكنه فصيح؛ لأنه ثبت هكذا عنالواضع.

الغرابة: هي أن تكون الكلمة وحشية أي: غير ظاهرة الدلالة على المعنى، ويكون ذلك لسببين:

الأول: عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص، فيحتاج في معرفتها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة.

فتارة يعثر على معناها بعد البحث، كلفظتي "تكأكأتم وافرنقعوا" من قول عيسى بن عمر النحوي، وقد سقط عن دابته، فاجتمع الناس حوله: ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا، فمعنى "تكأكأتم": اجتمعتم، ومعنى "افرنقعوا": انصرفوا. يقول متعجبًا: ما لكم اجتمعتم علي كاجتماعكم على ذي جنون، تنحوا عني. ومنه لفظ "رخاخ" بفتح الراء قي قولهم: نحن في رخاخ من العيش، أي: في سعة ورغد.

وتارة لا يعثر عليه بعد البحث كلفظ "جحلنجع" من قول أعرابي يسمى أبا الهميسع١: من

طمحة٢ صبيرها٣ جحلنجع٤ بجيم مفتوحة، فمهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فنون ساكنة، فجيم مفتوحة، فعين مهملة.
فهذه الكلمات الثلاث غير فصيحة؛ لأنها غريبة غير ظاهرة المعنى لعدم تداولها، وذلك خلل واقع في المعنى.

---

١ بفتح الهاء والسين.

٢ الطمحة: النظر.

٣ الصبير: السحاب.

٤ لم يعثر على معناها بعد.

الثاني: عدم استعمال الكلمة عند العرب الخلص بالمعنى الذي أريد منها، فيحتاج في معرفتها إلى تخريج على وجه بعيد، كلفظ "مسرجا" في قول العجاج أحد الرجازين المشهورين:
أيام أبدت واضحًا مفلجًا ... أغر براقًا وطرفًا أدعجا
ومقلة وحاجبًا مزججًا ... وفاحمًا ومرسنًا مسرجا١
يصف الشاعر من محبوبته عدة أشياء؛ منها الأنف في قوله: "ومرسنا مسرجا" فقد أراد بالمرسن أنفها، وهو في الأصل أنف البعير؛ إذ هو موضع الرسن٢ منه.
ثم أريد به: مطلق أنف، مجازًا مرسلًا كما سيأتي بيانه في محله فقوله: "مسرجا" غير فصيح؛ لأنه غريب غير ظاهر المعنى لعدم استعماله بالمعنى الذي أريد منه على ما يظهر.
بيان ذلك: أنه لم يعلم ما أراده الشاعر بقوله: "مسرجا"؛ ولذلك اختلف فيه فقيل: هو من قولهم: "سيوف سريجية" أي: منسوبة إلى حداد يقال له: سريج٣ كان يجيد صنعها، فهو يريد أن يشبه أنفها في الدقة والاستواء بالسيف السريجي.
وقيل: هو من السراج أي: المصباح، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج. وهذا التأويل قريب من قولهم: سرج الله وجهه أي: بهجه وحسنه.
وعلى كلا القولين هو غير ظاهر الدلالة على ما ذكر؛ لأن مادة "فعَّل" بالتشديد إنما تدل فقط على مجرد نسبة شيء إلى شيء، فيقال: كفّر فلان فلانًا نسبه إلى الكفر، وفسَّقه نسبه إلى الفسق، فهو مكفر أو مفسق أي: منسوب إلى الكفر والفسق. أما النسبة التشبيهية، وهي أن يكون المنسوب شبيها بالمنسوب إليه، فلا تدل عليه

---

١ ضمير "أبدت" عائد على محبوبته في البيت قبله "وواضحًا" صفة لموصوف محذوف أي: سنًّا واضحًا متميزًا، والفلج بالتحريك: تباعد ما بين الأسنان، والأغر: الأبيض، والدعج

بالتحريك: اتساع العين وحسنها، والتزجيج: التدقيق مع تقويس، و"فاحما" صفة لمحذوف أي: شعرًا أسود كالفحم، فهو نسبة تشبيهية من نسبة المشبه إلى المشبه به.
٢ هو مقود البعير.
٣ بضم السين، وفتح الراء.

المادة المذكورة، فأخذ ذلك منها بعيد؛ لهذا كان هذا اللفظ غريبًا، غير ظاهر الدلالة لعدم استعماله عند العرب بهذا المعنى.

تنبيهات:

الأول: اعلم أن عدم ظهور المعنى المتقدم ذكره في مفهوم الغرابة منظور فيه إلى الخلص من الأعراب سكان البادية، فهم قد يخفى عليهم معنى اللفظ إذا قلَّ تداوله بينهم، أو أهمل استعماله بالمعنى المراد كما ذكرنا. أما غير العرب من المولدين فغير منظور إليهم في ذلك، وإلا خرج كثير من قصائد العرب، بل جلها عن الفصاحة؛ لغلبة الجهل باللغة على غير أربابها.

الثاني: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلّة بفصاحة الكلمة، وهو أن تكون الكلمة مستكرهة، يمجّها السمع، ويأنفها الطبع، كلفظ "النقاخ" بضم النون بمعنى الماء العذب، في قول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماء قال لي ... دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

و"كالجرشى" بمعنى النفس، في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة:

مبارك الاسم أغر اللقب ... كريم الجرشى شريف النسب[1]

والحق: أن في ذكر الغرابة غنية عن ذكر هذا العيب؛ لأن استكراه السمع للفظ إنما جاء من ناحية وحشيته وغرابته ا. هـ.

إذا علمت هذا، علمت أن كل كلمة برئت من العيوب المتقدم ذكرها، عدت في عرف علماء البلاغة فصيحة.

تمرين:

١- تكلم بإيجاز عن تاريخ نشأة العلوم البلاغية، وبين وجه الحاجة إلى دراستها.
٢- عرف معنى الفصاحة في اللغة، ومثل لها بمثالين.

---

١ إنما كان مبارك الاسم لإشعاره بالعلو، ولموافقته لاسم علي بن أبي طالب فهو سميه، وأغر اللقب مشهوره لاشتهاره بسيف الدولة، والملوك يشار إليهم بألقابهم، وشريف النسب لأنه "على ما قيل" من سلالة بني العباس.

٣- بين معنى الفصاحة في الكلمة، ثم بين معنى التنافر فيها مع التمثيل.

٤- اختلف الرأي في ضابط التنافر، فوضح هذا الخلاف، ثم أبطل المرجوح منه بالدليل.

٥- بين معنى المخالفة في الكلمة، وهل المعول عليه فيها القانون الصرفي أو السماع؟ وضح ذلك بالأمثلة.

٦- بين معنى الغرابة في الكلمة، ومرجع الغرابة فيها، ثم وجه غرابة "مسرجا" في قول الشاعر: "وفاحما ومرسنا مسرجا".

٧- بين العيوب التي أخلّت بفصاحة الكلمة فيما يأتي:

١- نقنق الضفدع في المثعنجر[١].

٢- أكلت العرين وشربت الصمادح[٢].

٣- إن بني للئام زهده

ما لي في صدورهم من مودددة[٣]

٤- وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم

خضع الرقاب نواكس الأبصار

٥- مر بي رجل مسعوى به عند الأمير.

٦- ارتخش[٤] المهمل فزعًا عند الامتحان.

٧- اطلخم[٥] الأمر.

٨- تصفحت الكتاب، فإذا هو مصوون عن الحشو.

٩- نحن قوم فواهم ما تقول.

١٠- صون يديك عن الأذى.

١١- ملأ البعاق الجردحل[٦].

١٢- أسمع جعجعة، وأنا أشرب السمالج[٧]

١٣- يوم عصبصب وهلوف ملأ السجسج طلا[٨].

---

١ نقيق الضفدع: صوته، والمثعنجر: البحر.

٢ العرين: اللحم، والصمادح بضم الضاد: الماء الخالص.

٣ معنى البيت: إن أولاده عاقون لا يأخذهم به حنو ولا رحمة، وإنهم لئام يقابلون إحسانه بالإساءة.

٤ اضطراب.

٥ اشتد.

٦ البعاق بكسر الباء، والجردحل بكسر فسكون ففتح فسكون: الوادي.

٧ الجعجعة: صوت الرحى وصوت الجِمَال إذا اجتمعت، والسمالج بضم السين وكسر اللام: اللين.

٨ "العصبصب": الشديد الحر، والهلوف بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة: هو الذي يستر غمامة شمسه، والسجسج: الأرض ليست سهلة ولا صلبة، والطل: المطر الخفيف.

١٤- أمنا أن تصرع عن سماح

وللآمال في يدك اصطراع[1]

١٥- يظل بموماة ويمسي بغيرها

جحيشًا ويعرورى ظهور المسالك[2]

الجواب على السؤال الأخير:

١- في "نقنق والمثعنجر" تنافر حروف، وفي الثاني منهما وحشية وغرابة يحتاج في الكشف عنهما إلى بحث.

٢- في "العرين والصمادح" غرابة في المعنى، تحتاج إلى بحث وتنقيب.

٣- في "موددة" مخالفة لما ثبت عن الواضع، وللقانون الصرفي إذ الثابت عن الواضع "مودة" بالإدغام، والقاعدة الصرفية توجب إدغام المثلين المتحركين.

٤- في "نواكس" مخالفة؛ إذ لا يصح نقلًا عن الواضع، ولا في القانون الصرفي جمع فاعل وصفا لمذكر عاقل على "فواعل".

٥- في "مسعوى" مخالفة، والصواب فيه أن يقال: مسعى بقلب الواو ياء، وإدغام الياء في الياء.

٦- في "ارتخش" تنافر الحروف، وغرابه في المعنى.

٧- "اطلخم" لفظ غريب وغليظ في السمع، يمجه الذوق، ويأنفه الطبع.

٨- في "مصوون" مخالفة، والصواب "مصون" بحذف الواو الثانية لالتقاء الساكنين، بعد نقل حركة الواو إلى الساكن قبلها.

٩- في "فواهم" مخالفة؛ إذ لا يجمع فاعل لمذكر عاقل على "فواعل".

١٠- في "صون" مخالفة، وصوابه: "صن" بحذف الواو لالتقاء الساكنين.

---

١ تصرع بتشديد الراء مع البناء للمجهول، وتمنع بشدة، يريد: أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يمنعه من السماح، واصطراع الآمال في يده: ازدحامها وتدافعها.

٢ الموماة: الفلاة الواسعة، والجحيش بفتح فكسر أو بضم ففتح: المستبد برأيه، واعرورى: ركبها عريانة.

١١- "البعاق والجردحل" كلاهما غريب المعنى، يحتاج إلى بحث.

١٢- في "جعجعة" تنافر الحروف، وفي "السمالج" غرابة في المعنى.

١٣- في الكلمات الثلاث غرابة، وفي الثالثة منها تنافر.

١٤- في لفظ "اصطراع" بمعنى كثرة النوال والكرم غرابة، يحتاج بسببها إلى تأويل بعيد.

١٥- في لفظتي "جحيش ويعرورى" غرابة يمجها الطبع، ويأباها السمع.

تمرين على هذا السؤال مطلوب جوابه:

كتب بعض أمراء بغداد، حين مرضت أمه، رقاعًا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام، قال فيها:

صين امرؤ ورعي دعا لامرأة إنقحلة[1] مقسئنة[2] قد منيت[3] بأكل الطرموق[4]، فأصابها من أجله الاستمصال[5] أن يمن الله عليها بالاطرغشاش[6]؛ فكان كل من يقرأ كلامه يسلقه بحاد لسانه.

وقال أبو الطيب المتنبي:

فلا يبرم الامر الذي هو حالل ... ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم

وقال امرؤ القيس: رب جفنة مثعنجرة[7] وطعنة مسحنفرة[8] وخطبة مستحضرة، وقصيدة محبرة[9] تبقى غدا بأنقرة[10].

---

١ بكسر الهمزة وسكون النون وفتح القاف وسكون الحاء وفتح اللام، ومعناه يابسة.

٣ أصيبت.

٤ الخفاش.

٥ الإسهال.

٦ البرء.

٧ الجفنة: القصعة، والمثعنجرة: المتسعة.

٨ متسعة.

٩ أي: محسنة.

١٠ عاصمة تركيا الآن، قال امرؤ القيس ذلك حين أدركه الموت، وكان قد ذهب إلى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه، فهويته "على ما قيل" بنت الملك، وبلغ ذلك قيصر فأسرها وفي نفسه ووعده بإجابة ما طلب، ولما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسموعة فلبسها فتساقط لحمه، وحين علم ذلك قال ما قال.

وقال أبو تمام:

نعم متاع الدنيا حباك به ... أروع لا جيدر ولا جبس[1]

فصاحة الكلام [2]:

هي أن يبرأ من العيوب الثلاثة الآتية: ١- تنافر الكلمات.

٢- ضعف التأليف.

٣- التعقيد بنوعيه.

غير أن سلامة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه من العيوب السابقة. وإليك بيان العيوب الثلاثة على الترتيب:

تنافر الكلمات: هو وصف في الكلمات مجتمعة، يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، وإن كان كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها.

والتنافر فيها نوعان كذلك: تنافر شديد، وتنافر خفيف.

فالشديد البالغ الغاية، كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر[3]

"قفر" بالرفع نعت "لمكان" على القطع للضرورة، وقيل: هو نعت "القبر" ومعنى كونه قفرًا - على هذا القول- قيامه وحده في هذا المكان. والشاهد فيه المصراع الثاني، فإن كلماته متعادية، ينفر بعضها من بعض أشد النفور حتى لا يكاد اللسان ينطق بها مجتمعة. ومثله قول الشاعر:

"في رفع عرش الشرع مثلك يشرع"

فإن اللسان ليتعثر عند النطق به أيما تعثر.

والخفيف كقول أبي تمام يعتذر لممدوحه، ويتبرأ مما نسب إليه:

---

١ "حباك" أعطاك، و"الأروع" هو الذي يعجبك حسنه، و"الجيدر" بفتح الجيم والدال: القصير، والجبس بكسر فسكون: الجامد الثقيل الروح.

٢ يراد بالكلام هنا ما يشمل التام والناقص.

٣ زعموا أن هذا البيت لأحد الجان، صاح على حرب بن أمية جد معاوية أمير المؤمنين فمات لوقته، فأنشد الجني هذا البيت، والواقع أنه لم يعرف قائله.

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي وإذا ما لمته لمته وحدي

يقول: إذا ما جرى لساني بمدحه رأيت الناس عامة ألسنة مدح وثناء معي لفيض إنعامه، وعموم أياديه، وإذا ما هممت بلومه لم يتبعني فيها أحد لعدم وجود ما يقتضيه. والشاهد في قوله: "أمدحه أمدحه" فإن في اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا عند النطق بهما، يشعر به صاحب الذوق السليم[1].

ضعف التأليف:

هو أن يكون الكلام في تركيبه مخالفًا للمشهور من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحاة، كالإتيان بالضمير متصلًا بعد "إلا" وكالإضمار قبل ذكر المرجع لفظًا، أو معنى، أو حكمًا.

فمثال الأول قول الشاعر:

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ... ألا يجاورنا إلاك ديار[2]

والأصل أن يقال: إلا إياك.

ومثال الإضمار قبل الذكر قول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي:

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدًا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

يقول: لا بقاء لأحد في الدار الدنيا، سواء في ذلك الرفيع والرضيع، ولو أن المجد يخلد صاحبه لبقي مطعم على مدى الدهر، يريد: أنه كان ماجدًا نبيلًا.

والشاهد في المصراع الثاني حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظًا، ومعنى، وحكمًا، ذلك أن الضمير في "مجده" راجع إلى "مطعم" وهو لم يذكر قبل الضمير لفظًا، وهو ظاهر، ولا معنى لأنه مفعول به، فمرتبته التأخير، ولا حكمًا لأنه محكوم عليه بالتأخر لمفعوليته.

---

[1] ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة ابن العميد، فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد: هل تعرف فيه شيئًا من الهجنة؟ قال: نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم أو الهجاء، فقال ابن العميد: غير هذا أريد، فقال الصاحب: لا أدري غير ذلك، فقال ابن العميد: هذا التكرار في "أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافر، فأثنى عليه الصاحب.

[2] ومنه قول الشاعر:

ليس إلاك يا علي همام ... سيفه دون عرضه مسلول

فكل من الإتيان بالضمير متصلًا بعد "إلا" والإضمار قبل الذكر غير جائز عند جمهور النحاة؛ لهذا كان المصراع الثاني من البيتين الأول، والثاني غير فصيح؛ لضعف التأليف فيه.

أما نحو: هزم خالد عدوه، ورفع قبيلته عنترة، ونحو: نعم فارسًا علي[1] وربه رجلًا[2]، و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [3] فكل ذلك فصيح؛ لأنه جاز على قانون النحو المشهور لتقدم المرجع لفظًا في الأول، ومعنى في الثاني؛ لأنه فاعل ومرتبته التقدم على المفعول، ولتقدمه حكمًا في الأمثلة الباقية؛ لأن وضع الضمير على أن يعود على متقدم، وإنما أخر فيها لنكتة بلاغية كما سيأتي في محله.

التعقيد:

هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع فيه[٤]، وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

التعقيد اللفظي:

أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما ينشأ عنه صعوبة فهم المعنى المراد، وهو على ضربين: شديد وخفيف.

فالشديد، كقول الفرزدق[٥] يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مملكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد: وما مثل هذا الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكًا، أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح، أي: لا يحاكيه أحد إلا ابن اخته.

---

١ على رأي من يعرب مخصوص "نعم وبئس" مبتدأ لخبر محذوف أو العكس.

٢ المراد: ضمير رب.

٣ المراد: ضمير الشأن.

٤ احترز به عما خفي المراد منه لا لخلل فيه، بل لإرادة المتكلم إخفاء المراد منه لحكمة، كالذي ورد في القرآن من المتشابه والمشكل والمجمل، فلا مقيد فيه.

٥ أحد الشعراء المعروفين في الدولة الأموية.

ففيه فاصل كبير بين البدل وهو "حي" والمبدل منه وهو "مثله" وفيه تقديم المستثنى وهو "مملكًا" على المستثنى منه وهو "حي" وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما "أبو أمه أبوه" بأجنبي هو "حي" وبين الصفة والموصوف وهما "حي يقاربه" بأجنبي هو "أبوه"، فانظر إلى أحد وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، وكاد يستعصي على الفهم. ومثل هذا النوع في شدة تعقده قول الآخر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما[١]

يصف الشاعر دارًا بالية، وأصل الكلام: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأن قلما خط رسومها، ففيه من الفصل والتقديم والتأخير ما جعل التعقيد اللفظي في أقبح صورة وأشنعها.

والخفيف، كقول أبي الطيب المتنبي:

جفخت[٢] وهم لا يجفخون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

وأصل التركيب هكذا: جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها أي: افتخرت بهم طبائع دالة على ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر، وهم لا يفتخرون بها؛ لأنهم

حاصلون على ما هو خير وأوفى، فقد فصل بين الفعل والفاعل وهما "جفخت شيم" بأجنبي هو جملة "وهم لا يجفخون بها" الواقعة حالًا، وفصل بين الصفة والموصوف وهما "شيم دلائل" بالجار والمجرور وهما قوله: "على الحسب الأغر". ومثله قول الفرزدق من قصيدة يصف فيها ذئبًا:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

يريد: نكن يا ذئب مثل من يصطحبان، ففصل بين الموصول وصلته وهما "من يصطحبان" بأجنبي هو قوله: "يا ذئب" فتعقد اللفظ نوع تعقيد.

التعقيد المعنوي: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود

---

١ "خط" فعل ماضٍ، وبهجتها بكسر التاء على الإضافة، "ورسومها" بفتح الميم على المفعولية.

٢ افتخرت.

بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدًا عن الفهم، يحتاج إلى تكليف وتمحل بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول، كقول العباس بن الأحنف[١]:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا[٢]

يطلب الشاعر البعد عن أحبته، غير مبالٍ بما يعانيه في ذلك من غصص الفرقة وآلام النوى، كما يطلب اكتواءه بنار الأسى على فراقهم، وبلوغه الشوق إليهم عساه فيما بعد يحظى بوصل مقيم، وفرح لا يزول، وكأنه بهذا الطلب يخادع الزمان، ويغالطه ليوافيه بضد ما يطلب، على عادة الدهر من محاربته الناس في مطالبهم ووقوفه حائلًا دون ما يأملون، وبذلك يتم للشاعر في غفلة الدهر ما أراد من لقاء الأحبة، والابتهاج والأنس بهم، على حد قول الشاعر:

ولطالما اخترت الفراق مغالطًا ... واحتلت في استثمال غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها ... تبني الأمور على خلاف مرادي

والشاهد في قوله: "لتجمدا" فإن ابن الأحنف لم يوفق في أداء المعنى الذي أراده من هذا اللفظ على وجه صحيح؛ ذلك أنه أراد أن يكني عما قصده بكنايتين أصاب في إحداهما، وأخطأه الصواب في الأخرى.

بيان ذلك: أنه دل أولًا بسكب الدمع على ما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب المحزن في هذه الكناية، فإن البكاء عادة يكون أمارة الحزن وعنوانه، كما يكون الضحك دليلًا على الابتهاج والسرور، فيقال: أبكاني وأضحكني على معنى: ساءني وسرني.

ومنه قول الشاعر:

أنزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عالٍ إلى خفض[3]

أبكاني الدهر ويا ربما ... أضحكني الدهر بما يرضي

---

١ من ندماء هارون الرشيد، وكان لطيف المجلس فكه الحديث.

٢ تسكب بالرفع عطف على "أطلب" وبالنصب عطف على "بعد" من عطف الفعل على اسم خالص من التأويل، والمراد طلب استمرار السكب لا أصله؛ لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

٣ هو لحصان المعلمي من شعراء الحماسة، وقد كنى في البيت التالي بإبكاء الدهر له عن إساءته، وبإضحاكه له عن سروره.

ثم دل ثانيًا بجمود العين على سرورها بقرب أحبته، واجتماع شمله بهم، فأخطأه التوفيق في هذه الكناية، ولم يكن النجاح حليفه فيها؛ ذلك أن جمود العين جفافها من الدمع عند الدافع إليه، وهو الحزن على فراق الأحبة، فالجمود حينئذ كناية عن بخلها بالدموع وقت الحاجة إليه، لا عما أراده من السرور، يؤيد ذلك قول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود

أي: لبخيلة بالدمع، ومنه قول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟!

أي: أفيضا بالدموع، ولا تبخلا به. كما يرشد إلى ذلك أيضًا قولهم: سنة جماد أي: بخيلة بالقطر، وناقة جماد أي: لا تجود بالدر؛ ولهذا لا يصح عندهم أن يقال في مقام الدعاء للمخاطب بالسرور: لا زالت عينك جامدة، على معنى: لا أبكى الله عينك؛ لأنه دعاء عليه بالحزن لا بالسرور.

إذا علمت هذا، علمت أن المعنى الذي أراده الشاعر وهو السرور لا يفهم من الجمود إلا يدل عليه اللفظ لا لغة ولا عرفًا، اللهم إلا مع ارتكاب شيء من التعسف[1]، ومن هنا كان التعقيد في المعنى.

تنبيهان:

الأول: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلة بفصاحة الكلام، وهو أن يكثر[2] فيه التكرار، أو تتوالى فيه الإضافات.

فمثال التكرار قول أبي الطيب يصف فرسًا له بالنجابة، وحسن الجري:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سبوح لها منها عليها شواهد

"سبوح" فعول بمعنى فاعل من السبح وهو العوم في الماء، شبه به عدو الفرس،

١ هو أن يستعمل الجمود الذي هو خلو العين من الدمع حالة الحزن في خلو العين من الدمع مطلبًا إلى هنا صح أن يكنى به عن السرور؛ لأن المسرور تخلو عينه من الدمع عادة، غير أن استعمال الجمود في الخلو من الدمع مطلبًا لينتقل منه إلى السرور مخالف لاستعمالاتهم؛ لهذا كان الكلام بعيد المعنى.

٢ المراد بالكثرة ما فوق الواحد، وهو أن يذكر اللفظ مرة بعد مرة.

يريد: أن في جريها سلامة وسهولة كأنما تسبح في الماء، وقوله: "لها" متعلق بمحذوف هو خبر مقدم، و"منها" حال من "شواهد"، و"عليها" متعلق به، وشواهد مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لسبوح.

يصف الشاعر فرسه بحسن الجري، وأنها منجاة له من الشدائد بخفة حركتها وشدة عدوها، وأن أمارات النجابة بادية عليها. والشاهد في المصراع الثاني، فإن تكرار الضمير فيه أخل بفصاحته.

ومثال تتابع الإضافات قول ابن بابك يخاطب حمامة:

حمامة جرعاء حومة الجندل اسجعي ... فأنت بمرأى من سعاد ومسمع[1]

يأمر الشاعر حمامة هذا المكان بالسجع والتطريب إعجابًا بمحبوبته، واحتفاء بها. والشاهد في المصراع الأول فإن فيه إضافات متتابعة؛ إذ قد أضيف "حمامة" إلى "جرعاء" المضافة إلى "حومة" المضافة إلى "جندل"، وهذا مخل بفصاحة الكلام.

هكذا زعم القائل وفيه نظر؛ لأن كثرة التكرار، أو تتابع الإضافات إن ثقل اللفظ به على اللسان فقد دخل في باب التنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة، كيف وقد وردا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ} وقال: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ} وقال سبحانه: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} إلى غير ذلك مما تراه في غير موضع من كتاب مقدس هو في أعلى طبقات البلاغة، لا ينكر عليه ذلك أحد. وقد اجتمع الأمران في الحديث الشريف؛ قال صلى الله عليه وسلم: " الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".

الثاني: إنما شرطنا في فصاحة الكلام أن تسلم كل كلمة فيه من العيوب المخلة بفصاحتها؛ لتعلم أن نحو قولهم: "محمد أصدق مودة من أخيه" ونحو: "شعر هند مستشزر"،

١ جرعاء: مؤنث أجرع، وهي الأرض الجرداء لا تنبت شيئًا، وقصرها للضرورة، و"الحومة"

معظم الشيء و"الجندل" الأرض ذات الحجارة و"السجع" تغريد الحمام و"مرأى ومسمع" اسما مكان أي: بمكان تراك منه سعاد وتسمعك.

"أنفها مسرج" غير فصيح، مع أنه كلام سليم من العيوب المخلة بفصاحته، فلا تنافر كلمات فيه، ولا ضعف تأليف، ولا تعقيد، ولكنه لما لم يسلم من العيوب المخلة بفصاحة بعض أجزائه لم يكن فصيحًا؛ إذ الشرط في فصاحة الكلام "كما قلنا" سلامته من عيوبه وعيوب أجزائه، كما تقول في الأمثلة السابقة: محمد أصدق مودة من أخيه، وشعر هند مرتفع، وأنفها مستقيم، دقيق، أو ناضر بهيج ا. هـ.

إذا علمت هذا، علمت أن كل كلام سلم من عيوبه، وعيوب أجزائه عُدَّ في عرف البلغاء فصيحًا، وإن لم يسلم فقد عطل جيده من حلية الفصاحة.

فصاحة المتكلم:

هي ملكة أي: صفة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه، يستطيع بها أن يعبر تعبيرًا صحيحًا عما يجول بخاطره، ويجيش في صدره من الأغراض والمقاصد، فالمدار في فصاحته على أن تكون فيه هذه الصفة كامنة راسخة، يستطيع أن يستخدمها متى شاء في أي ضرب من ضروب الكلام، وفي أي فن من فنونه؛ كالمدح، والذم، والرثاء، والفخر، والتشبيب، وغير ذلك فهو فصيح وإن لم ينطق متى وجد فيه الاستعداد، والقدرة على صوغ اللفظ الفصيح، ولا يكون فصيحًا إذا فقد هذا الاستعداد، وهذه القدرة. كما لا يكون فصيحًا إذا استطاع أن يعبر بلفظ فصيح في مقصد دون آخر؛ إذ لم يكن ذلك منه وليد ملكة فيه.

وتكوين هذه الملكة إنما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها، وحفظ الكثير من عيوب كلامهم، نثرًا وشعرًا.

تمرين:

١- بين معنى الفصاحة في الكلام، مع بيان الفرق بين المتنافر وفي الكلمة، وبين المخالفتين فيها، ومثِّل لكل ما تقول.

٢- وضح معنى التعقيد في الكلام، واذكر نوعيه، وبين وجه التعقيد في قول ابن الأحنف:

وتسكب عيناي الدموع لتجمدا.

٣- عرف فصاحة المتكلم، وهل إذا أجاد القول الفصيح في معنى الرثاء يكون فصيحًا؟ علل لما تقول.

٤- بين العيوب التي أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

١- وازور من كان له زائرًا

وعاف عافي العرف عرفانه١

٢– جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر

وحسن فعل كما جوزي سنمار٢

٣– إلى ملك ما أمه من محارب

أبوه ولا كانت كليب تصاهره

٤– وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيس كلهن قلاقل٣

٥– لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا

وكاد –لو ساعد المقدور– ينتصر٤

٦– أنى يكون أبا البرايا آدم

وأبوك والثقلان أنت محمد؟ ٥

٧– قرب منا فرأيناه أسدًا، أي: أبخر.

٨– "وسلوت كل مليحة إلاك".

٩– نشر الملك ألسنته بالمدينة، يريد جواسيسه

---

١ "ازورّ" انحرف، و"عاف" كره، و"عافي العرف": طالب معروف، و"العرفان" المعرفة. والمعنى: انحرف عنه من كان يزوره، وكمده طالب الإحسان معرفته.

٢ "سنمار" اسم رجل بنى للنعمان بن امرئ القيس قصرًا فخمًا بالكوفة سماه "الخورنق" وقد أتقن بحذقه وبراعته صنعه، ولما أتم بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبني قصرًا مثله لغيره، فمات سنمار لساعته، وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر. ومعنى البيت: أن الشاعر دعا على أبي الغيلان أن يجازيه أولاده مع كبر سنه، وحسن صنيعه معهم شر جزاء، كما وقع لسنمار المذكور.

٣ قلقل: حرك و"قلاقل" الأولى جمع قلقلة، وهي الناقة السريعة "وقلاقل" الثانية جمع قلقلة بمعنى الحركة، وضمير كلهن "للعيس" وهي النوق. والمعنى: حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقًا خفافًا في السير، والمراد أنه سافر ولم يعرج بالمكان الذي يلحقه فيه ضيم.

٤ "مصعب" هو ابن الزبير بن العوام، ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ البرايا: جمع برية، وهي الناس جميعًا، والثقلان: الإنس والجن. والمعنى: كيف تعقل أبو آدم لجميع الناس في حين أن هذا العالم إنسه وجنه هو أنت وأبوك محمد، وفيه من المبالغة ما ترى.

الجواب على السؤال الأخير:

١- "في البيت" في مصراعه الثاني تنافر كلمات.

٢- "في البيت" ضعف تأليف؛ لأن فيه عود الضمير في "بنوه" على متأخر في اللفظ والرتبة، وهو "أبا الغيلان" لأنه مفعول، و"بنوه" فاعل، ومن المعلوم أن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول.

٣- "في البيت" تعقيد لفظي، يريد: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أي: ليست أمه منهم، ولا كان صهرًا لقبيلة "كليب" أي: إنه رفيع النسب أبا وأما.

٤- "في البيت" تنافر كلمات وهو ظاهر.

٥- "في البيت" ضعف تأليف؛ لما فيه من عود الضمير في "طالبوه" على "مصعبا" وهو متأخر لفظًا ورتبة؛ لأنه مفعول.

٦- "في البيت" تعقيد لفظي، والأصل: أنى يكون آدم أبا البرايا، وأنت وأبوك محمد الثقلان؟

٧- فيه تعقيد معنوي؛ لخفاء لزوم البخر للأسد عرفًا، فانتقال الذهن فيه إنما يكون من الأسد إلى معنى الشجاع، لا إلى معنى الأبخر.

٨- فيه ضعف تأليف؛ لمجيء الضمير بعد "إلا" متصلًا، والصواب أن يؤتى به منفصلًا، فيقال: إلا إياك.

٩- فيه تعقيد معنوي؛ لأن في لزوم الجاسوسية للألسنة خفاء وبعدًا، والصواب أن يقال: نشر عيونه؛ لوضوح اللزوم بين العين والنجس.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجل علمي أنه بي جاهل

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ... ورقى نداه ذا الندى في ذرا المجد١

بح صوت المال مما ... منك يشكو ويصبح

أرض لها شرف سواها مثلها ... لو كان مثلك في سواها يوجد

لو كنت كنت كتمت السر كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

والشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا٢

ما أحببنا إلاك يا محمد

البلاغة:

معناها في اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي: غايته. يقال: بلغ٣ محمد بلاغة، إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريدها.

أما معناها في الاصطلاح، فيختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين: الكلام والمتكلم. يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة؛

لعدم ورود السماع بذلك.

بلاغة الكلام:

هي مطابقته لمقتضى حال الخطاب، مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وفصاحة أجزائه.

وحال الخطاب أي: المقام الذي ورد فيه الخطاب، وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة.

و"مقتضى الحال" هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم.

و"مطابقة الكلام للمقتضى" هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة،

---

١ "السؤدد" بسكون الهمزة وضم الدال السيادية، و"الندى" الكرم، و"الذرا" جمع ذروة وهي أعلى الشيء كالقمة.

٢ نجوم الليل والقمرا منصوبان على المفعولية لكاسفة.

٣ على زنة شرف.

فإنكار المخاطب مثلًا "حال" لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة التأكيد محوًا لهذا الإنكار، وصورة التأكيد التي ورد عليها الكلام هي مقتضى الحال، واشتمال الكلام على هذه الصورة هو معنى مطابقته للمقتضى.

مثال ذلك أن تقول لمنكر إمارة شوقي للشعر: "إن شوقيا لأمير الشعر" فإنكار المخاطب هو الحال؛ لأنه أمر دعاك لأن تورد كلامك مصورًا بصورة التأكيد، وصورة التأكيد هي مقتضى الحال، واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هو المطابقة للمقتضى، فهذا القول حينئذ كلام بليغ؛ لأنه مطابق لمقتضى الحال.

ومثل الإنكار "المدح" فهو حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإطناب؛ لأن مقام المدح يقتضي الإطالة في القول، والبسط فيه.

وكذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإيجاز؛ لأن مقام الذكاء يقتضي الاختصار في الكلام، وكل من صورتي الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى، وهكذا يقال في كل حال من أحوال الخطاب١.

ومما ذكرنا نعلم أن:

مقتضيات الأحوال تختلف باختلاف تلك الأحوال، فإن كانت الحال إنكارًا من المخاطب مثلًا كان المقتضى توكيدًا؛ لأنه هو المناسب لحال المنكر

---

١ هناك قول آخر هو أن مقتضى الحال الكلام الكلي المشتمل على التأكيد مثلًا أو الإطناب أو الإيجاز، وليس هو التأكيد نفسه أو الإطناب أو الإيجاز كما هو الرأي الأول، فالإنكار مثلًا إنما يقتضي مطلق كلام مؤكد بأي نوع من أنواع التأكيد لا كلامًا خاصًّا مؤكدًا بتأكيد خاص، وقولنا لمنكر: إن محمدًا لكاتب، فرد من أفراد هذا المطلق المؤكد. ومعنى مطابقة هذا الكلام حينئذ أنه مندرج تحت هذا المطلق، وفرد من أفراده والفرق بين الرأيين واضح.

وإن كانت الحال ذكاء في المخاطب كان المقتضى هو الإيجاز في الكلام، والإتيان بالاعتبارات اللطيفة، والمعاني الدقيقة، اعتمادًا على هذا الذكاء، وإن كانت الحال عبارة فيه كان المقتضى هو الإطناب في القول، والإتيان بالمعاني الصريحة الواضحة لأن ذلك هو الموافق لحال الغبي ... وهكذا: لكل مقام مقال، فللسوقة كلام لا يصح لسراة القوم وأمرائهم، وللذكي خطاب لا يناسب الغبي، وفي مواقف الحروب أو الوعيد والتهديد كلام يخالف ما يقال في مواطن توديع الأحبة، وبث الأشواق، وذكر أيام الفراق، وما قارب ذلك من معاني الاستعطاف والمعاذير، ففي الأول يستعمل اللفظ الضخم، والمعنى الفخم، وفي الثاني يستعمل اللفظ الرقيق الحاشية، الناعم الملمس، اللطيف الموقع، وإن لنا في القرآن والحديث لخير قدوة في استعمال ما يناسب المقام من فنون الكلام.

تنبيهان:

الأول: مما تقدم تعلم أن مراتب البلاغة تتفاوت في العلو والانحطاط بتفاوت مراعاة تلك المقتضيات، والاعتبارات المناسبة للمقام. فكلما كانت رعاية تلك المقتضيات أوفى بالغرض، وأليق بالمقام كان الكلام أبلغ وأسمى، وكلما كانت تلك الرعاية أقل وفاء، وأبعد لياقة كان الكلام أحط مرتبة وأقل بلاغة، فإذا كنت مثلا تخاطب ذكيا منكرا لحكم من الأحكام وجب أن تراعي في خطابك ذكاءه وإنكاره معًا، فتعطي له من الكلام ما يناسب ذكاءه من الإيجاز، وما يلائم إنكاره من التأكيد، فإذا راعيت ذلك كان كلامك أبلغ وأسمى مكانة؛ لأنه أكمل مطابقة لمقتضى حال الخطاب. وإن راعيت في الخطاب معه أحد الأمرين بأن أوجزت ولم تؤكد، أو أكدت ولم توجز كان كلامك أقل بلاغة وأدنى مكانة، فإن لم تراع الأمرين جميعًا كان كلامك عاطل الجيد من حلية البلاغة، وكاد يلتحق بأصوات الحيوان.

ولهذا كان القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة؛ لصدوره عمن هو أعلم بكافة الأحوال: ظاهرها وخفيها، وأدرى بمقتضياتها واعتباراتها {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} .

الثاني: إنما شرطنا في بلاغة الكلام أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه؛ لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحًا ولا عكس. فإذا قلت لمنكر: إن أنف هذا لمسرج، أو قلت: والله ليس بقرب قبر حرب قبر، لم يكن

كلامك بليغًا مع أنه مطابق لمقتضى حال المخاطب، ذلك لفقدان شرط الفصاحة فيه، أما في المثال الأول فلكون بعض أجزائه وحشيًّا غريبًا، وأما في الثاني فلكونه متنافر الكلمات مجتمعة.

وإذا قلت لمن ينكر كرم علي ونبله: "علي كريم الخلق نبيل الطبع" من غير تأكيد، كان كلامك فصيحًا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة، ولكنه ليس بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى حال المنكر؛ إذ إن حاله يقتضي التأكيد محوًا لإنكاره.

فعلم من هذا أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا لأخذ شرط الفصاحة فيه، أما الفصاحة في الكلام فتتحقق بدون البلاغة لعدم أخذ شرط البلاغة فيها، كما يتبين لك ذلك من الأمثلة السابقة ا. هـ.

بلاغة المتكلم:

هي ملكة أو صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه، يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريده.

فالمدار "كلما قلنا في فصاحة المتكلم" على أن تكون فيه هذه الصفة ثابتة راسخة، يستخدمها -متى أراد- في أي فن من فنون الكلام، فهو بليغ وإن لم ينطق متى وجدت فيه هذه القدرة على صوغ الكلام البليغ، فإذا فقد هذه القدرة لم يكن

بليغًا، كما لا يكون كذلك إذا استطاع صوغ الكلام البليغ في معنى دون آخر.

وقياسًا على ما سبق من أن البلاغة أخص من الفصاحة، يكون المتكلم البليغ أخص من الفصيح؛ لأن المتكلم البليغ هو "كما قلنا" من به ملكة الإتيان بكلام بليغ، والكلام البليغ "كما تقدم" مشروط فيه الفصاحة؛ وحينئذ لا يكون المتكلم بليغًا حتى يكون فصيحًا، أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلامًا خاليًا من العيوب المخلة بالفصاحة، غير مطابق لمقتضى الحال كما إذا قلت لمنكر نجاح أخيه: "نجح أخوك" من غير تأكيد. ومما تقدم تعلم أن:

البلاغة يتوقف تحققها على أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب، على ما تقدم بيانه.

الثاني: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، على ما فصلناه لك سابقًا.

تتمة:

علمت مما تقدم في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ما يعرض للفظ من عيوب، وما ينتابه من خلل، فيجمل بنا إذًا أن نعرف: بم نتقي هذه العيوب ونتجنب هذا الخلل في كلامنا حتى

يخرج اللفظ سليمًا معافى في جوهره، وصيغته، ومعناه، لا يشكو عيبًا، ولا يحس نقصًا؟
فنقول:

أ- الغرابة: يمكن اجتنابها بالاطلاع على علم متن اللغة، فمن تتبع كتب اللغة، ووقف على معاني المفردات المستعملة علم أن ما عداها مما يفتقر إلى تنقيب، أو تخريج غير سالم من الغرابة.

ب- المخالفة: يمكن الاحتراز عنها بالوقوف على ما نقل عن الواضع في معاجم اللغة، أو بالاطلاع على قواعد علم الصرف فهو الباحث في صيغ

المفردات ونهج استعمالها، فمن ألم بقواعده عرف أن نحو "الأجلل" مثلًا مخالف دون "الأجل" إذ من قواعدهم أن المثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، وكان ثانيهما متحركًا، ولم يكن زائدًا لغرض وجب إدغامها.

ج- ضعف التأليف والتعقيد اللفظي: يمكن توقيهما بمعرفة قواعد النحو، إذ هو الباحث في طرق استعمال المركبات على الوجه الحق، فمن مارس هذا العلم، ووقف على أصوله ومسائله استطاع أن يصوغ الكلام على نهج قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد.

د- التنافر: ملاك معرفته الذوق السليم، فلا حاكم فيه سواه، فهو الذي يدرك أن نحو "مستشزر" متنافر دون مرتفع، وهو الذي يدرك ما بين الكلمات من تنافر أو تضافر، وقد تقدم في ذلك خلاف.

هـ- التعقيد المعنوي: يعرف من دراسة علم البيان، فمن زاول هذا العلم وأحصى مسائلة عرف كيف يتوقى التعقيد في معاني الكلام، وكيف يبرزه لك فاتحًا صدره، كاشفًا لك عن ضميره.
والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى يعرف من دراسة علم المعاني، فمن مارس هذا العلم، وكشف عن أمره، ووقف على سره عرف كيف يتوقى الخطأ في تأدية المعنى المراد، وكيف يطبق الكلام على مقتضيات الأحوال.
أما الوجوه التي تخلع على اللفظ خلعة البهجة والبهاء فتعرف من علم البديع؛ إذ به نعرف كيف نحلي من اللفظ جيده العاطل، بما يبهج القلب، ويطرب السمع، ويشرح الخاطر.
والثلاثة الأخيرة هي المسماة بعلوم البلاغة، وبعض الأئمة يسمي الكل "علم البيان" لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، قال الجاحظ: البيان: اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى، وبعضهم يسمي الجميع "علم البديع" لما في مباحثه من الإبداع والابتداع.

تمرين:

١- اذكر معنى البلاغة في اللغة، ومعناها في اصطلاح علماء البلاغة.

٢- بين معنى بلاغة الكلام، مع بيان معنى الألفاظ الآتية: الحال، مقتضى الحال، المطابقة، ثم

ائت بمثال من عندك موضحًا فيه ذلك.

٣- إذا استطاع متكلم أن يؤلف كلامًا في الطبقة العليا من البلاغة في أحد الأغراض؛ كالمدح أو الرثاء، فهل يعد في عرف البلغاء بليغًا؟

٤- بين وجه خروج الجمل الآتية عن حد البلاغة:

١- قال رجل لمنكر قدوم الأمير: الأمير قادم.

٢- نزلت بالعدو داهية خنفقيق[١].

٣- قال الفرزدق يمدح خالدًا، ويذم أسدًا أمير خراسان بعد خالد:

وليست خراسان التي كان خالد ... بها أسد إذ كان سيفًا أميرها[٢]

٤- قتل أخوه اللص.

٥- قال ابن نباتة في خطبة له، يذكر فيها أهوال يوم القيامة: اقمطر[٣] وبالها، واشمخر[٤] نكالها، فما ساغت، ولا طابت.

٦-

إذا جاوز الاثنين سر فإنه ... بنشر وتكثير الوشاة قمين[٥]

الجواب على السؤال الأخير:

١- لم يكن القول المذكور بليغًا؛ لعدم مطابقته لمقتضى الحال، إذ إن حال المخاطب يقتضي التأكيد.

---

١ أي: شديدة.

٢ أصل الكلام: وليست خراسان بالبلد التي كان خالد بها سيفا، إذ كان الأسد أميرها، وفي "كان" الثانية ضمير الشأن، والجملة بعدها خبر عنها.

٣ اشتد.

٤ طال.

٥ أي: جدير، يقول الشاعر: إذا جاوز وتعدى السر شخصين، لم يعد سرًّا خافيًا، فإذا شاع وذاع لم يكن بدعًا؛ لأنه خليق بذلك.

٢- غير بليغ؛ لأن في بعض أجزائه غرابة في المعنى، وتنافرًا في الحروف، وهذا مخلّ بفصاحة الكلام التي هي شرط في بلاغته.

٣- ليس من البلاغة في شيء؛ لما فيه من تعقيد في اللفظ، خفي المعنى بسببه. وهذا مخل بفصاحة الكلام المأخوذة شرطًا في بلاغته.

٤- غير بليغ؛ لعدم فصاحته لما فيه من الإضمار قبل الذكر، وهو ضعف في تأليف الكلام.

٥- خرج عن حد البلاغة؛ لأن في بعض أجزائه غرابة في المعنى وتنافرًا في الحروف، وهما مخلان بالفصاحة.

٦- ليس بليغًا؛ لمخالفته في لفظ "الاثنين" ما سمع عن العرب الفصحاء، ولمخالفته للقياس الصرفي، إذ إن هذه الكلمة من مواضع همزة الوصل، لا همزة القطع كما عرف في محله.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

قال رجل لآخر لا ينكر عليه شيئًا: والله إن محمدًا لكريم الخلق. قال بعض الوعاظ في كلام له: حتى جنأت[١] وجنات جنات الحبيب. مر رجل بخياط وقد خرج الرجل يبحث عن فرسه ومهر لها، فقال له: يا ذا النصاح[٢] وذات السم[٣] الطاعن بها في غيره وغى[٤] لغير عدا[٥]، هل رأيت الخيفقانة[٦] القثاء[٧] يتبعها الحاسن[٨] المسرهف[٩] كأن غرته القمر الأزهر ينير في حضره[١٠]

---

١ أي: جنيت.

٢ النصاح بكسر النون: الخيط.

٣ ذات السم بفتح السين: الإبرة.

٤ الوغى: الحرب.

٥ جماع: عدو.

٦ الفرس الطويلة الظهر.

٧ بالثاء المشددة هي: الدقيقة الخصر، الضامرة البطن.

٨ من حسن يحسن.

٩ بفتح الهاء: المنعم المرهف.

١٠ بضم فسكون: الارتفاع عند الجري.

كالخلب[١] ... إلخ. قال الشاعر:

جزى ربه عنه عدي[٢] بن حاتم ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه: أئن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها[٣].

وما من فتى كنا من الناس واحدًا ... به نبتغي منهم عديلًا نبادله[٤]

ألا ليت شعري هل يلومن قومه ... زهيرًا على ما جر من كل جانب؟ [٥]

---

١ بضم الخاء وتشديد اللام المفتوحة: البرق.

٢ هو عدي بن حاتم الطائي، المشهور بكرمه.

٣ الشكر بفتح الشين أو كسرها وسكون الكاف: الفرج، والشبر بفتح فسكون: حق النكاح، وطل كنصر: ماطل، وضهل حقه: نقصه، وبابه منع.

٤ أصل البيت: وما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدًا منهم عدلًا نبادله به.

٥ قومه بالرفع على الفاعلية.

علم البيان

مدخل

...

علم البيان:

واضعه: إن أول من دون فيه كتابًا "كما قدمنا" في أول الكلام هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، أحد رواة اللغة، المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وهو الكتاب المسمى "مجاز القرآن"، ثم كتب فيه بعض الأئمة المبرزين إلى آخر ما تقدم.

وأول من رتب مباحثه، وجعل له أصولًا وقواعد مهذبة الإمام عبد القاهر، فهو من هذه الناحية يعتبر واضع هذا الفن.

وفيه خمسة مباحث:

١- مبحث التعريف.

٢- مبحث الدلالة.

٣- مبحث التشبيه.

٤- مبحث الحقيقة والمجاز.

٥- مبحث الكناية.

المبحث الأول: في تعريف علم البيان

معناه في اللغة: الكشف والإيضاح، أما معناه في الاصطلاح فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد، في تراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة عليه، بمعنى أن يكون تركيب أوضح في الدلالة من تركيب آخر.

وموضع هذا الفن: هو هذا الإيراد للمعنى الواحد في التراكيب المختلفة، في وضوح الدلالة.

فالمعنى الواحد "كالجود" مثلًا، يمكنك إذا كنت ملمًّا بمسائل هذا الفن، عالمًا بأصوله وقواعده أن تؤديه من طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

فتارة من طريق التشبيه، فتقول: "محمد كالبحر في الإفاضة" فتشبه بالبحر محمدًا وتلحقه به في هذا المعنى.

وتارة عن طريق الاستعارة، فتقول: "رأيت بحرًا على فرس يداعب أقرانه" فتشبه محمدًا بالبحر في الإفاضة، ثم تستعير لفظ البحر له كما ستعرفه بعد.
وتارة عن طريق الكناية، فنقول: "محمد كثير الرماد" فإن كثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب الدالة على كثرة الطبخ، وهذه تدل على كثرة الأكلة، وهذا دليل الجود، فكثرة الرماد حينئذ كناية عن الجود.
فهذه التراكيب الثلاثة تؤدي معنى واحدا هو الجود "كما رأيت" وأول هذه التراكيب أوضح من الثاني في تأدية هذا المعنى، والثاني أوضح من الثالث، وكل ذلك سيأتي لك مفصلًا في محاله، ومثل الجود "الشجاعة".
فتارة يعبر عنها من طريق التشبيه، فيقال: "محمد كالأسد في الشجاعة".
وتارة عن طريق الاستعارة، فيقال: "رأيت أسدًا يخطب القوم على المنبر".
وتارة عن طريق الكناية، فيقال: "زارنا أبو الحرب" فإن أبوته لها كناية عن ملازمته إياها كما يلزم الأب ابنه، وهذا كناية عن شجاعته.
وأوضح التراكيب دلالة على هذا المعنى هو الأول، ويليه الثاني، ثم الثالث، وهكذا دواليك.

تنبيهان:
الأول: إن "ال" في لفظ "المعنى" الوارد في التعريف المذكور للاستغراق العرفي، أي: كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم.
فلو استطاع إنسان أن يورد معنى "الجود" في تراكيب مختلفة في الوضوح دون غيره من المعاني، لم يكن بمجرد ذلك عالمًا بعلم البيان، بل لا بد أن يستطيع ذلك في كل معنى يدخل تحت قصده وإرادته ا. هـ.
الثاني: إن في التعريف تقييدين؛ تقييد المعنى "بالواحد"، وتقييد التفاوت "بوضوح الدلالة على المعنى".
أما الأول: فالغرض منه الاحتراز عن المعاني المتعددة المؤداة بطرق متفاوتة في وضوح الدلالة عليها، بأن يكون هذا الطريق مثلًا في معناه أوضح دلالة من الآخر في معناه؛ كأن تعبر عن معنى الجود مثلًا بقولك: "محمد كالسحاب" في الفيض، ثم تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: "مر أسد فحياني" فمن الواضح أن التركيب الأول في معناه أوضح دلالة من الثاني في معناه، ومثل هذا ليس من علم البيان في شيء؛ لأن المعنى في العبارتين مختلف، والشرط: أن يكون المعنى في العبارتين واحدًا "كما عرفت".
وأما الثاني: فالقصد منه الاحتراز عن التفاوت في مجرد اللفظ، لا في وضوح الدلالة، كما إذا أوردت معنى واحدًا في تركيبين مترادفين، وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما، كأن تقول

مثلًا: نكهة[1] فم محمد كالطيب، ثم تقول: رائحة ثغر محمد كالند[2]، فمثل هذا ليس من مباحث علم البيان؛ لأن التركيبين متماثلان في وضوح الدلالة على المعنى، والاختلاف إنما هو في اللفظ والعبارة فقط. والشرط: أن يكون الاختلاف في وضوح الدلالة "كما علمت".

---

١ رائحة الفم.

٢ نوع من الطيب.

المبحث الثاني: في الدلالة

مدخل

...

المبحث الثاني: في الدلالة

تعريفها:

هي فهم أمر من أمر، فالأمر الأول هو المدلول، والثاني هو الدال كدلالة لفظ "محمد" على معناه الذي هو "الذات" فاللفظ هو الدال، والذات هي المدلول، وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة.

ولما لم تكن كل دلالة تقبل الاختلاف في الوضوح الذي هو موضوع هذا الفن، وجب أن تقسم الدلالة، ثم يعين المقصود منها.

تقسيمها:

الدلالة باعتبار الدال قسمان: لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: ما كان الدال فيها لفظا؛ كدلالة لفظ "إنسان" على الحيوان الناطق، وكدلالة لفظ "أسد" على الحيوان المفترس.

وغير اللفظية: ما كان الدال فيها غير لفظ؛ كدلالة الدخان على النار، وكدلالة حمرة الخد على الخجل، ودلالة صفرته على الوجل. والثانية لا علاقة لها بمباحث علم البيان.

والأولى أقسام ثلاثة: وضعية، طبيعية، عقلية.

فالوضعية: ما كان للوضع فيها مدخل؛ كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، فالرابط بين الدال والمدلول وضع الواضع أي: تعيينه هذا اللفظ لهذا المعنى، ومثله دلالة الفرس على الحيوان الصاهل.

والطبيعية: ما كان قوامها الطبع؛ كدلالة التأوه على الوجع، فالربط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو الطبع، إذ إن طبع المريض أن يتأوه عند استشعاره الألم.

والعقلية: ما كان قوامها العقل؛ كدلالة الصوت على حياة صاحبه، كما إذا سمعت صوت

إنسان من وراء جدار، فإن صوته دليل على حياته، فالرابط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو العقل لا غير.

والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضًا بعلم البيان، فهما خارجتان. والأولى وهي اللفظية الوضعية ثلاثة أقسام كذلك: مطابقية، تضمنية، التزامية.
فالمطابقية: دلالة اللفظ على كامل معناه؛ كدلالة الإنسان على الحيوان والناطق، ودلالة الفرس على الحيوان والصاهل. وسميت مطابقية لتطابق اللفظ والمعنى، أي: تساويهما؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على مجموع الحيوان والناطق، كما وضع لفظ "فرس" ليدل على مجموع الحيوان والصاهل.
والتضمنية: دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الحيوان فقط، أو الناطق فقط، وكدلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.
وسميت تضمنية؛ لأن الحيوان أو الناطق جزء من معنى الإنسان، وداخل في ضمنه؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على الحيوانية والناطقية معًا، كما وضع لفظ "بيت" ليدل على جميع أجزائه، فدلالة "الإنسان" على الحيوانية فقط، أو الناطقية فقط دلالة تضمنية؛ لأن الكل متضمن لأحد أجزائه، وكذلك دلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.
والالتزامية: دلالة اللفظ على لازم معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الضحك، وكدلالة "حاتم" على الجود، والأسد على الشجاعة، ودلالة كثرة الرماد على الكرم[1].

---

١ صورة الدلالة التضمنية أن يسألك سائل، مشيرًا إلى شبح: أناطق هذا أم صاهل؟ فتقول مجيبًا: هو إنسان، تريد هو ناطق، فقد دللت "بإنسان" على الناطق دلالة تضمنية؛ لأن الناطق جزء معنى الإنسان، وصورة الدلالة الالتزامية أن يسألك سائل، مشيرًا إلى شبح: أضاحك هذا أم غير ضاحك؟ فتقول مجيبًا: هو إنسان تريد هو ضاحك، فقد دللت "بإنسان" على الضاحك دلالة التزامية؛ لأن الضحك وصف لازم للإنسان.

وسميت التزامية؛ لأن الضحك ليس معنى الإنسان، ولا جزء معناه، وإنما هو خارج عن معناه، لكنه لازم له. وكذلك الجود لحاتم، والشجاعة للأسد، والكرم لكثرة الرماد، فكل ذلك لازم للمعنى الموضوع له.
تنبيهان:
الأول: يكفي في دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين في الذهن، كالتلازم الذي بين الإنسان والضحك، إذ يلزم من حضور معنى الإنسان "وهو الحيوان الناطق" في الذهن حضور معنى الضحك فيه. وكالتلازم الذي بين الأسد والشجاعة، إذ يلزم من تصور معنى الأسد، وهو

الحيوان المفترس، تصور معنى الشجاعة.
أما التلازم في الخارج فليس بشرط، فإن وجد مع التلازم الذهني كان حسنًا كالتلازم بين الزوجية والأربعة، فإن الزوجية "كما يبدو بداهة" لازمة للأربعة ذهنًا وخارجًا، وإن لم يوجد التلازم الخارجي فلا ضير؛ كالتلازم الذي بين العمى والبصر؛ فإن البصر لازم للعمى ذهنًا فقط، إذ يلزم من تصور معنى العمى تصور معنى البصر؛ لأن العمى فقد البصر عما من شأنه الإبصار، أما في الخارج فبينهما التعاند.
كذلك يكفي في دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين عرفيًّا، بأن يتعارف الناس فيما بينهم على التلازم بينهما كالتلازم الذي بين "الأسد" و"الجرأة"، والذي بين "كثرة الرماد" و"الكرم"، والذي بين "الفاعل النحوي" و"حركة الرفع" فقد تعارف الناس على أن الجرأة لازمة للأسد، وتعارف علماء البيان على أن الكرم لازم لكثرة الرماد، وتعارف علماء النحو على أن حركة الرفع لازمة للفاعل، في حين أن لا تلازم عقلًا بين هذه الأشياء؛ إذ يتصور العقل أسدًا جبانًا كما يتصور كثرة رماد بدون كرم كما يتصور فاعلًا منصوبًا أو مجرورًا.
أما التلازم العقلي، وهو ما لا يتصور العقل انفكاكه، فليس بشرط في دلالة الالتزام كالتلازم الذي بين الزوجية والأربعة، أو بين الفردية والثلاثة

إذ لا يتصور العقل أربعة بدون زوجية، أو ثلاثة بدون فردية، فالمدار في دلالة الالتزام على وجود مطلق تلازم، ولو بسبب تعارف عام أو خاص كما مثلنا.
الثاني: اصطلح البيانيون على تسمية المطابقة "وضعية" لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام معناه، لا لجزئه ولا للازمه، فلفظ "الإنسان" مثلًا وضعه الواضع لمجموع الحيوان والناطق ولم يضعه لواحد منهما ولا لوصف لازم "كالضحك". فقوام هذه الدلالة هو العلم بالوضع، بدون حاجة إلى شيء آخر وراءه، واصطلحوا على تسمية كل من التضمنية، والالتزامية عقلية؛ لأن دلالة اللفظ على جزء معناه، أو على لازم هذا المعنى متوقفة على أمر عقلي زائد على العلم بالوضع، وهو أن وجود الكل أو الملزوم يستلزم وجود الجزء أو اللازم. "فالإنسان" مثلًا موضوع لمجموع الحيوان والناطق، فمجرد العلم بهذا الوضع ليس كافيًا في جعل لفظ "إنسان" دالًّا على جزء معناه "كالناطقية" مثلًا، أو على لازمه "كالضاحكية" بل لا بد مع العلم بهذا الوضع من انتقال العقل من المعنى الموضوع له "إنسان" إلى جزئه ضرورة أن الكل يتضمن الجزء، أو إلى لازمه ضرورة أن الملزوم يستلزم اللازم. وإنما اقتصر على العقل في تسمية هاتين الدلالتين، مع أن كلا من العقل والوضع سبب فيهما؛ لأن سببية العقل أقرب من سببية الوضع، ذلك أن انتقال العقل من الكل إلى جزئه، أو من الملزوم إلى لازمه إنما جاء بعد العلم بوضع اللفظ لهذا الكل أو لهذا الملزوم، فهو لذلك سبب قريب، والذهن إلى القريب أكثر التفاتًا منه

إلى البعيد[١] ا. هـ.
والمقصود بالبحث في هذا الفن هو الدلالة العقلية بنوعيها، إذ هي التي يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح الذي هو موضوع هذا الفن.
بيان ذلك في التضمنية: هو أنه يجوز أن يكون المعنى الواحد جزءًا من شيء

---

١ أما المناطقة فيسمون الدلالات الثلاث وضعية؛ لأن للوضع مدخلًا، وهم يعتبرون في تسميتها "وضعية" السبب البعيد.

"كالجسم" فإنه جزء من الحيوان، وأن يكون جزءًا لجزء من شيء آخر "كالجسم" أيضًا، فإنه جزء من الحيوان الذي هو جزء من الإنسان. وإذًا تكون دلالة الحيوان على الجسم الذي هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة الإنسان على الجسم الذي هو جزء جزئه.
ومثل الجسم "فيما قلنا" التراب؛ فإنه جزء من الجدار الذي هو جزء من البيت، فدلالة الجدار على التراب الذي هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة البيت على التراب الذي هو جزء جزئه، وهكذا.
وبيان ذلك في الالتزامية هو أنه يجوز أن يكون للازم الواحد عدة ملزومات، لزومه لبعضها أوضح منه لبعضها الآخر "كالكرم" مثلًا؛ فإنه لازم وله جملة ملزومات تستلزمه وتدل عليه، هي: كثرة الضيفان، وكثرة الطبخ، وكثرة إحراق الحطب، وكثرة الرماد، فهذه الأمور الأربعة تستلزم الكرم، وتدل عليه؛ إذ يلزم من وجودها وجوده، غير أن دلالة بعضها على معنى "الكرم" أوضح من دلالة بعضها الآخر عليه، فدلالة كثرة الأضياف على كرم "محمد" مثلًا أوضح من دلالة كثرة الطبخ عليه؛ لأن كثرة الأضياف أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الطبخ، فقولك: محمد "كثير الأضياف" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير الطبخ"؛ إذ لا واسطة بين كثرة الضيفان والكرم، ودلالة كثرة الطبخ على الكرم أوضح من دلالة كثرة إحراق الحطب عليه؛ لأن كثرة الطبخ أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الإحراق، فقولك: "محمد كثير الطبخ" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير إحراق الحطب" لقلة الوسائط بين كثرة الطبخ والكرم، ودلالة كثرة الإحراق على معنى الكرم أوضح من دلالة كثرة الرماد عليه؛ لأن كثرة الإحراق أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الرماد، فقولك: "محمد كثير الإحراق" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير الرماد" لقلة الوسائط في الأول، وكثرتها في الثاني. وهكذا كلما كان الملزوم أقرب إلى لازمه كانت دلالته عليه أوضح، وأوضح هذه الدلالات على الكرم دلالة كثرة الضيفان عند محمد، وأقلها وضوحًا كثرة الرماد عنده كما رأيت.

ومثل الكرم فيما فصلنا "الحرارة" فهي لازمة لعدة ملزومات هي: "النار" و" الشمس" و"الحركة الشديدة" فدلالة النار على الحرارة أوضح من دلالة الشمس عليها، ودلالة الشمس عليها أوضح من دلالة الحركة الشديدة عليها. فقولك: محمد في جسمه نار، أدل على حرارته من قولك: في جسمه شمس، أو في جسمه حركة شديدة، وهكذا.

إلى هنا وضح لك اختلاف الوضوح في الدلالتين العقليتين: التضمنية والالتزامية، مما لا يقبل المزيد.

أما الدلالة الوضعية المطابقية التي هي دلالة اللفظ على تمام معناه، فليست من مباحث هذا الفن؛ إذ لا يتأتى فيها الاختلاف في وضوح الدلالة.

بيان ذلك: أن السامع لا يخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون عالمًا بوضع الألفاظ لمعانيها.

٢- ألا يكون عالمًا بهذا الوضع، فإن كان الأول فلا تفاوت في الدلالة على المعنى؛ لأن كل لفظ معلوم وضعه لمعناه، وإن كان الثاني فقد انعدم فهم المعنى من اللفظ؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع، وفهم المعنى من اللفظ "كما سبق" هو "الدلالة" عينها؛ إذ "هي كما قلنا" فهم أمر من أمر، وإذا انتفى الفهم المذكور الذي هو "الدلالة" فلا اختلاف في الوضوح؛ إذ لا يتصور اختلاف وضوح فيما لا دلالة له.

فإذا قلت مثلًا: "محمد يشبه السحاب في العطاء" وكان السامع يعلم بوضع هذه الألفاظ لمعانيها، ثم أتيت بتركيب آخر دال على هذا المعنى بألفاظ مرادفة لألفاظ التركيب الأول، فقلت: "محمد يحاكي الغمام في النوال" وكان السامع يعلم أيضًا بوضع هذه الألفاظ لمعانيها، امتنع حينئذ أن يكون التركيب الثاني أوضح دلالة من الأول بل هما في الدلالة سواء. فإذا لم يعلم السامع وضع الألفاظ لمعانيها في التركيبين، أو في أحدهما لم يفهم شيئًا أصلًا؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع "كما قلنا"، وإذا انتفى الفهم فلا دلالة للفظ، فلا اختلاف في الوضوح.

فأنت ترى أن الاختلاف في الوضوح منتفٍ على كلا التقريرين في الدلالة الوضعية المطابقية، فهي إذًا خارجة عن موضع هذا الفن.

تمرين:

١- عرف علم البيان في الاصطلاح، ثم ائت بمثال توضح فيها ما تقول.

٢- بين لماذا قيد المعنى "بالواحد" وقيد الاختلاف "بالوضوح" في الدلالة؟

٣- عرف الدلالة وقسمها، وعرف كل قسم، مع التمثيل لكل ما تذكر.

٤- اذكر أية الدلالات هي موضوع علم البيان، مع التوجيه لما تقول.

٥- بين لماذا لم تكن الدلالة الوضعية المطابقية من مباحث علم البيان؟

تقسيم اللفظ إلى: حقيقة، ومجاز، وكناية

اللفظ المستعمل نوعان: نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أي تصرف، بل يبقى على أصل وضعه، ونوع يتصرف فيه عند الاستعمال.

فالأول يسمى "حقيقة" وهي إما أن تكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن تكون في ذت اللفظ.

فإن كانت في الإسناد سميت "حقيقة عقلية"، وإن كانت في ذات اللفظ سميت بأسماء تختلف باختلاف الواضع.

فإن كان الواضع من أرباب اللغة سميت حقيقة لغوية، وإن كان من أهل الشرع سميت حقيقة شرعية، وإن كان الواضع طائفة معينة كالنحاة مثلًا سميت حقيقة اصطلاحية أو عرفية خاصة، وإن كان الواضع طائفة غير معينة سميت حقيقة عرفية عامة.

والثاني، وهو ما يتصرف فيه عند الاستعمال، يسمى "مجازًا".

وهذا التصرف: إما أن يكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون في ذات اللفظ.

فإن كان التصرف في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه، سمي "مجازًا عقليًّا" وإن كان التصرف في اللفظ ذاته، مفردًا كان أو مركبًا، بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمي اللفظ المفرد "استعارة" فحسب، وسمي المركب "استعارة تمثيلية" بشرط وجود القرينة المانعة فيهما كما سيأتي بيانه بعد. وإن كانت العلاقة غير المشابهة سمي اللفظ "مجازًا مرسلًا" مفردًا كان أو مركبًا، وإن كانت القرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصل سمي اللفظ "كناية" وسيأتي كل ذلك مفصلًا في أبوابه. وإلى هنا وضح لك وجه تقسيم اللفظ إلى: حقيقة ومجاز وكناية.

وإذ قد علمت: أن العلاقة بين المعنيين في الاستعارة هي المشابهة، وجب التعرض أولًا لبحث التشبيه؛ إذ هو منها بمثابة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع.

المبحث الثالث: في التشبيه

مدخل

...

المبحث الثالث: في التشبيه

تعريفه:

هو عند علماء "البيان" إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظًا، أو تقديرًا لغرض.

ويسمى الأمر الأول "مشبهًا" والثاني "مشبهًا به" والمعنى المشترك "وجه شبه" كالتشبيه في قولك: "العلم كالنور في الهداية" فهو إلحاق أمر "كالعلم" بأمر "كالنور" في معنى "كالهداية" بأداة تشبيه "كالكاف". ومثله قولك: "علي مثل الأسد في الإقدام" وهند شبه البدر في الإشراق، وكأن محمدًا بحر في الإمداد، وهكذا. ويصح حذف الأداة ووجه الشبه، فيقال في الأمثلة السابقة: العلم نور، وعلي أسد، وهند بدر، ومحمد بحر.

أركان التشبيه:

أركانه أربعة: ١- المشبه. ٢- المشبه به. ٣- وجه الشبه. ٤- أداة التشبيه.

"فالعلم" في المثال المتقدم هو المشبه، و"النور" هو المشبه به، و"الهداية" وجه الشبه، و" الكاف" أداة التشبيه.

وفيه أربعة مباحث:

أ- مبحث الطرفين. ب- مبحث وجه الشبه. جـ- مبحث الأداة. د- مبحث الأغراض. وإليك بيانها على هذا الترتيب:

مبحث الطرفين:

الطرفان هما -كما قلنا- المشبه والمشبه به كما في قولك: "محمد كسحبان"، فالطرفان هما "محمد وسحبان" والأول مشبه، والثاني مشبه به.

وللتشبيه باعتبار الطرفين تقسيمات ثلاثة:

التقسيم الأول:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

١- أن يكون طرفاه حسيين أي: مدركين بإحدى الحواس الخمس. مثال ذلك فيما يدرك بحاسة البصر قولك: "وجه هند كالبدر، وشعرها كالليل". ومثاله فيما يدرك بحاسة السمع قولك: "أسمع صوتًا كتغريد الحمام، ودويًّا كدوي الرعد". ومثاله فيما يدرك بحاسة الشم قولك: "عرف هند كأريج المسك". ومثاله فيما يدرك بحاسة اللمس قولك: "جسمه كالعجين"، ومنه قول ذي الرمة في تشبيه الجسم بالحرير:

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر ١

ومثاله فيما يدرك بحاسة الذوق قولك: لعابه كالعسل، وشرابه كالحنظل؛ فالطرفان في هذه المثل جميعا حسيان "كما رأيت".

٢- أن يكون طرفاه عقليين أي: مدركين بالعقل، كما تقول في تشبيه العلم والجهل: "العلم

كالحياة" و"الجهل كالموت" فالطرفان في المثالين عقليان.

---

١ رخيم الحواشي: في أطرافه لين ونعومة، والهراء بالضم: الكلام الكثير الفاسد، والنزر: الكلام القليل أي: لا تكثر في الكلام إلى حد الهذيان، ولا تقل منه إلى درجة العي.

٣- أن يكون المشبه عقليًّا والمشبه به حسيًّا كما تقول في تشبيه الخلق الكريم: "خلق كالعطر" وكقولك في تشبيه الرأي الواضح، والحظ العاثر: "رأي كفلق الصبح"، و"حظ كالليل".

٤- أن يكون المشبه حسيًّا والمشبه به عقليًّا، كتشبيه العطر بالخلق الكريم "عكس المثال السابق" وأشباهه بتقدير المعقول محسوسًا مبالغة. إذ ينبغي أن يكون المشبه به أقوى حالًا من المشبه ولو تقديرًا؛ لأنه الأصل.

تنبيه:

من الحسي: ما لا تدركه الحواس بذاته، ولكن تدرك مادته كقول الشاعر:

كأن الحباب[1] المستدير برأسه ... كواكب در في سماء عقيق

يشبه الفقاقيع الطافية على وجه الماء بكواكب من در، منثورة في سماء من عقيق، وليس من شك أن صورة الكواكب المصوغة من الدر المنثور في سماء مصوغة من عقيق شيء لا يدرك بالحس لعدم وجوده خارج الأعيان، وإنما المدرك مادتها وهي: "الدر، والعقيق، والكواكب، والسماء" وهذا كافٍ في جعل مثل هذا التشبيه حسيًّا. فالحسي حينئذ هو ما يدرك بذاته، أو بمادته بإحدى الحواس الخمس؛ ليدخل فيه مثل هذا التشبيه الخيالي، وهو الشيء المتخيل المركب من أمور مدركة بإحدى الحواس.

ومن العقلي: ما يخترعه الوهم من عند نفسه، من غير أن يكون له، ولا لمادته وجود خارج الأعيان، كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟ [2]

وكقوله تعالى في شجرة الزقوم: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} . فإن أنياب الأغوال، ورءوس الشياطين لم توجد هي ولا مادتها، وإنما هي من اختراعات الوهم.

فالعقلى حينئذ ما لا يدرك هو، ولا مادته بإحدى الحواس الخمس ليدخل فيه مثل هذا التشبيه الوهمى أهـ.

---

١ هو الفقاقيع التي تُرَى طافية على وجه الماء.

٢ الأغوال: جمع غول، يزعمون أنه وحش بشع المنظر، لا أصل له.

التقسيم الثاني:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضًا أربعة أقسام:

١- أن يكون طرفاه مفردين، وهما إما أن يكونا مطلقين عند التقييد بنحو وصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، أو يكونا مقيدين بشيء مما ذكر، أو يكون أحدهما مقيدًا، والآخر مطلقًا.

فالمفردان المطلقان كما في قولك: لها لحظ كالسهم، وثغر كالدر، والمقيدان كما في تشبيه من لم يحصل من سعيه على نتيجة بالناقش على الماء، فالمشبه هو الساعي المقيد بأن سعيه لم يأت بنتيجة، والمشبه به هو الناقش المقيد بأن نقشه على صفحة الماء.

ومثال ما فيه المشبه مطلق، والمشبه به مقيد قول ابن المعتز يصف الشمس:

والشمس كالمرآة في كف الأشل ... لما رأيتها بدت فوق الجبل

يريد أن يشبه الشمس في حركتها السريعة المتصلة، وإشراقها المتموج بالمرآة في يد المرتعش، فالمشبه وهو "الشمس" مفرد غير مقيد بشيء، والمشبه به وهو "المرآة" مفرد مقيد بكونه في يد المرتعش.

ومثال ما فيه المشبه مقيد، والمشبه به مطلق عن القيد عكس هذا المثال، أي: تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس، وكما تقول: "اللؤلؤ المنظوم كالثغر" ففيه تشبيه "اللؤلؤ" وهو مقيد "بالثغر" وهو مطلق.

٢- أن يكون طرفاه مركبين، كما في قول الشاعر:

كأن سهيلًا والنجوم وراءه ... صفوف صلاة قام فيها إمامها

يريد: تشبيه هيئة سهيل، والنجوم مصطفة وراءه بهيئة إمام قائم يصلي

والناس خلفه صفوف متراصة. فالمشبه مركب من سهيل ومن النجوم وراءه، والمشبه به مركب كذلك من إمام قائم في محرابه ومن صفوف المصلين خلفه١. ومثله قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه٢

يصف الشاعر ملحمة بين جيشين يقتتلان بالسيوف، وقد انعقد عليهما غبار كثيف. فالمشبه مركب من النقع مثارًا فوق الرءوس، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة في أثنائه، والمشبه به مركب من الليل، ومن الكواكب المتهاوية وهو تشبيه "كما ترى" فيه من الدقة والإبداع ما جعل بشارًا -وهو ضرير- يسمو به إلى درجة يقف دونها العباقرة المبصرون، ولو أنه أفرد التشبيه فشبه النقع وحده بالليل، والسيوف بالكواكب لصح ذلك، ولكن لا تحس تلك الروعة التي أحسستها من قبل، وما كان لبشار بهذا التشبيه أن يستوي على عرش السيادة بين أقرانه.

٢- أن يكون المشبه فردًا، والمشبه به مركبًا؛ كقول الصنوبري يصف زهرًا يتحرك من أسفل

إلى أعلى، وبالعكس حسب اتجاه الريح:

وكأن محمر الشقيق ... إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد3

يريد أن يشبه الزهر حال تصوبه وتصعده بأعلام الياقوت المنشورة على رءوس رماح من زبرجد. فالمشبه مفرد وهو "الشقيق"، والمشبه به مركب من أعلام ياقوت، ورماح من زبرجد.

---

1 التشبيه بهذا الوضع أملك لقلب السامع مما لو أفردت أجزاؤه، فقيل مثلًا: كأن سهيلًا إمام وكأن النجوم صفوف صلاة، يدرك ذلك الذوق السليم.

2 النقع: الغبار، وتهاوى أي: تتهاوى بحذف إحدى التاءين، بمعنى يتساقط بعضها إثر بعض.

3 محمر الشقيق من إضافة الصفة للموصوف أي: الشقيق المحمر، وهو ورد أحمر في وسطه سواد ينبت في الجبال، ويقال له أيضًا: شقائق النعمان، وتصوب: مال إلى أسفل، وتصعد: مال إلى أعلى.

4- أن يكون المشبه مركبًا، والمشبه به مفردًا؛ كقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي يصف الربيع:

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر1

يلفت الشاعر نظري صاحبيه إلى صنيع المبدع القادر فيما أخرج من نبات بهيج ناضر، وكيف أن النبات لشدة اخضراره وكثافته صار لونه يضرب إلى السواد، حتى نقص من ضوء النهار المشرق، وكأنه ليل سرى فيه ضوء القمر. يريد الشاعر أن يشبه هيئة النهار المشرق، وقد خالطت ضوءه خضرة الزهر القائمة، فتضاءل ضوءه بليل بزغ قمره. فالمشبه مركب من نهار تألقت شمسه ومن زهر نابت في الربا، والمشبه به مفرد وهو "الليل المقمر" وتقييده بالوصف المذكور لا ينافي إفراده.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن المراد بالقيد في التشبيه الذي كلا طرفيه أو أحدهما مقيد: هو ما يكون له مدخل في وجه الشبه بحيث لا يتم التشبيه بدونه. ففي المثال المتقدم في تشبيه الساعي المقيد بأن سعيه لم يكلل بالنجاح بالنقاش المقيد بأن نقشه على الماء لا بد فيه من اعتبار هذين القيدين؛ لأن وجه الشبه بين الطرفين هو "تساوي الفعل وعدمه" وهذا المعنى لا يتم إلا باعتبار القيدين المذكورين.

وكذلك الحال في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، إذ لا بد من اعتبار كون المرآة في يد

مرتعش؛ لأن وجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة المتصلة، مع الإشراق المتموج، وهذا المعنى لا يستقيم ولا يكمل بدون ملاحظة هذا القيد، كذلك لا بد في تشبيه اللؤلؤ المنظوم بالثغر من اعتبار قيد "المنظوم"

---

١ يقال: تقصى الشيء: بلغ أقصاه أي: غايته، يريد: أمعنا في النظر وفكرا و"تصور" بحذف إحدى التاءين أي: تتصور و"شابه" أي: خالطه و"الربا" جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض، وخص زهر الربا بالذكر؛ لأنه أنضر وأشد خضرة.

لأن وجه الشبه الهيئة الحاصلة من البريق وحسن التنسيق، وهذا لا يتم إلا بمراعاة القيد المذكور.

فليس المراد إذًا مطلق قيد، بل المراد قيد يكون له تعلق بوجه الشبه "كما علمت"، فإن لم يكن كذلك فلا اعتبار له ا. هـ.

الثاني: الفرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما: أن المقصود بالذات في المركب هو الأجزاء مجتمعة وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه، وإن صح أن يشبه بجزء من الطرف الآخر نحو ما في بيت بشار السابق. فإن المشبه مجموع النقع المثار، والأسياف المسلولة المتحركة إلى جهات مختلفة، والمشبه به مجموع الليل والكواكب المتهاوية ولم يتعلق الغرض بتشبيه النقع وحده بالليل، ولا بتشبيه السيوف وحدها بالكواكب، وإن صح ذلك على ما سبق. وأما المقيد فإن المقصود بالذات فيه هو أحد أجزاء الطرف، مع مراعاة قيد فيه، فالقيد إذًا ليس مقصودًا لذاته، بل لذلك الجزء كما في تشبيه الساعي المقيد بأن سعيه لم ينتج بالنقاش المقيد بأن نقشه على الماء، فإن المقصود بالذات هو كل من "الساعي والناقش" مراعى في كل منهما قيده المذكور، فوضح الفرق بين الأمرين.

التقسيم الثالث:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضًا أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.

فالملفوف: أن يتعدد طرفاه، وبجمع كل طرف مع مثله بأن يؤتى بالمشبهات أولًا، ثم بالمشبهات بها ثانيًا، كقول امرئ القيس يصف عقابًا بكثرة اصطياد الطيور:

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي١

شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب في الشكل والمقدار واللون، وشبه اليابس العتيق منها بالحشف البالي في هذه الثلاثة، وجمع بين المشبهين في المصراع الأول، وبين المشبهين بهما في المصراع الثاني "كما ترى".

وكما تقول: كالقمرين هند وسعاد، أو هما كالشمس والقمر، فقد جمع فيهما كل صنف على

حدة، وسمي "ملفوفًا" لأنه من اللف وهو الضم، وقد لف المشبهان "فيما مثلنا" أي: ضم بعضهما إلى بعض، كما لف المشبهان بهما كذلك.

والمفروق: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف منهما مع صاحبه بأن يجمع كل مشبه مع مشبه به، كقول الشاعر:

الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر كالدرر[1]

جمع الشاعر في هذا البيت كل مشبه مع مشبه به كما ترى. وكقول المتنبي:

بدت قمرًا ومالت غصن بان ... وفاحت عنبرًا ورنت غزالا[2]

فقد شبه وجهها بالقمر، وقدها بالغصن، وريحها بالعنبر، وطرفها بالغزال، وسمى مفروقًا؛ لأنه لم يجمع فيه بين المشبهات على حدة، ولا بين المشبهات بها كذلك كما في القسم الأول بل فرق بينهما، فوضع كل مشبه به بجوار مشبهه على ما رأيت في البيتين.

والتسوية: أن يتعدد المشبه دون المشبه به، كما في قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء ... وأدمعي كاللآلي

---

١ أراد بالطير الجنس الصادق بالكثير والقليل و"رطبًا ويابسًا" حالان من القلوب، والعامل فيهما "كأن" لتضمنها معنى التشبيه أي: أشبه قلوب الطير حال كون بعضها رطبًا وبعضها يابسًا، والوكر: العش، والعناب: حب أحمر مائل إلى الكدرة في حجم قلوب الطير، والحشف: أردأ التمر.

١ المراد بالصدغ: الشعر المتدلي على الخد، والغالية: نوع من الطيب، والثغر: أراد به الأسنان.

٢ البان: نوع من الشجر، وقوله "رنت" من الرنو كسمو، وهو إدامة النظر.

شبه الشاعر في البيت الأول حاله، وصدغ حبيبه بالليالي في السواد، وشبه في البيت الثاني أدمعه، وثغر حبيبه باللآلئ في الصفاء والتألق، فالمشبه فيهما متعدد دون المشبه به، وسمي تشبيه التسوية؛ لأنه سوَّى فيه بين شيئين في إلحاقهما بشيء واحد.

والجمع: أن يتعدد المشبه به دون المشبه، عكس تشبيه التسوية؛ كما في قول الشاعر:

ذات حسن لو استزادت من الـ ... ـحسن لما أصابت مزيدا

فهي الشمس بهجة والقضيب الـ ... ـلدن قدا والريم طرفًا وجيدا[1]

شبه الشاعر في البيت الثاني هذه المرأة بثلاثة أشياء: "الشمس" وهي الكوكب المعروف، و"القضيب" وهو "الغصن"، و"الرئم" وهو الغزال، فالمشبه شيء واحد هو "ذات الحسن"

والمشبه به متعدد كما ترى، وسمي تشبيه الجمع لاجتماع شيئين أو أشياء في مشابهة شيء واحد.

"ملاحظة": إن التفريق بين تشبيهي التسوية والجمع اصطلاح لهم، وإلا فيجوز أن يعتبر في كل منهما ما اعتبر في الآخر، ويسمى أحدهما باسم الآخر.

تمرين:

١- عرف التشبيه لغة واصطلاحًا، وبين أركانه في مثال من عندك.

٢- ائت بتشبيهات خمسة من إنشائك:

أولها: يدرك طرفاه بحاسة البصر، ووجهه بحاسة الشم.

ثانيها: " " " " أيضًا، ووجهه بحاسة اللمس.

---

١ اللدن: الطري الغضّ، والقد: القامة، والطرف: العين، والجيد: العنق.

ثالثها: يدرك طرفاه، ووجهه بحاسة الذوق.

رابعها: يدرك طرفاه، ووجهه بحاسة السمع.

خامسها: فيها المشبه حسي، والمشبه به عقلي.

٣- بين فيما يأتي طرفي التشبيه، والحاسة التي يدرك بها كل منهما:

صوت كتغريد البلابل، ونكهة كريح الند١، دواء كالعلقم، ولسع كلسع الأرقم٢، رضاب٣ كلعاب النحل، وجبين كالفرقد٤، شعر كالحرير، وقد كغصن البان. عبير كأنفاس الأزهار، ونغم كسجع الأطيار.

كإنما الماء في صفاء ... وقد جرى ذائب اللجين٥

٤- بين فيما يأتي طرفي التشبيه وحاليهما ونوع التشبيه باعتبارهما:

١- علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

٢- الصديق المنافق، والأخ الجاهل كجمر الغضا٦.

٣- الحق سيف على أهل الباطل.

٤-

إنما الدنيا كبيت ... نسجه من عنكبوت

٥-

فكم معنى بديع تحت خط ... هناك تزاوج كل ازدواج

كراح في زجاج أو كروح ... سرت في جسم معتدل المزاج

٦-

خود كأن بنانها ... في خضرة النقش المزرد
سمك من البلور في ... شبك تكون من زبرجد٧

-٧

ليل وبدر وغصن ... شعر ووجه وقد

---

١ نوع من الطيب.

٢ نوع خبيث من الحيات.

٣ الرضاب: اللعاب.

٤ نجم.

٥ اللجين: الفضة.

٦ شجر مر، مفرده غضاة.

٧ البلور: معدن شفاف، والزبرجد: جوهر نفيس.

خمر ودر وورد ... ريق وثغر وخد

-٨

الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد١

-٩

بات نديما لى حتى الصباح ... أغيد مجدول مكان الوشاح٢
كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضد أو برد أو أقاح

-١٠

له خال على صفحات خد ... كنقطة عنبر في صحن مرمر٣

جواب السؤال الثالث

---

١ الغالية: نوع من الطيب: والبرد: حب الغمام.

٢ الأغيد: الناعم البدن. الرشاح: جلد عريض يرصع بالجواهر ويشد في الوسط للزينة، ومعنى مجدول مكان الوشاح: أنه ضامر والخاصرتين، والمنضد: المنظم، والأقاح: جمع أفحوان الهمزة والحاء وهو نور كالورد أوراقه أشبه شيء بالأسنان.

٣ المرمر: الرخام.

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين فيما يأتي طرفي التشبيه وحاليهما، ونوع التشبيه باعتبارهما:

النشر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عنم[1]

يكاد يحكيك صوت الغيث منسكبًا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا[2]

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت ... والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا

في رأس مشرقة حصاها لؤلؤ ... وترابها مسك يشاب بعنبر

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ... وأري الجني اشتارته أيد عواسل[3]

كالقمرين محمد وعلي.

{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} .

لها لفظ كالسهم، ولفظ كالسحر.

إني وتزييني بمدحي معشرًا ... كمعلق درًّا على خنزير

تمرين آخر يطلب جوابه:

١- مثل لما يأتي: تشبيه مقيد الطرفين. تشبيه أحد طرفيه حسي والآخر عقلي. تشبيه أحد طرفيه مقيد، والآخر مركب. تشبيه مفروق، وآخر ملفوف. تشبيه طرفاه مركبان حسيان. تشبيه تسوية.

٢- اجعل كلا من الأشياء الآتية مشبها به، ثم بين نوع التشبيه فيه: الدر، الغصن، الورد، ثم بين من أي أنواع التشبيه قولهم: هو بدر حسنًا، وشمس علوًّا.

٣- اجعل ما يأتي من الكلمات وجه شبه في عبارة من محض إنشائك: الطيب، الرعد، السماحة، العدالة، الصلابة، البهجة، القوة، الجمال.

---

[1] النشر: الطيب الرائحة، والعنم: شجر لين الأغصان، يشبه أصابع اليد المخضبة.

[2] صوب الغيث: انصبابه، والمحيا: الوجه.

[3] الأري: عسل النحل، وشار العسل واشتاره: استخرجه.

مبحث وجه الشبه

مدخل

...

مبحث وجه الشبه:

الوجه هو المعنى الذي اشترك الطرفان فيه كما تقول: محمد كأخيه في الكرم، فوجه الشبه هو "الكرم"؛ لأنه المعنى الذي اشترك فيه محمد وأخوه.

غير أنه يشترط فيه: أن يكون مقصودًا للمتكلم، فليس كل معنى يشترك الطرفان فيه "وجه شبه"

ما لم يقصد جعله موضع اشتراك، وإلا فإن الطرفين قد يشتركان في كثير من المعاني كالحيوانية، والجسدية، والوجود، وغير ذلك كما في المثال المذكور، ومع ذلك لا يعد واحد منها وجه شبه إلا إذا قصد إليه المتكلم، واعتبره وجهًا للشبه بين الطرفين، كما تقول لإنسان يقسو على آخر بالضرب المبرح: "أرفق به فهو مثلك" أي: في الحيوانية أو في الجسدية.

وللتشبيه باعتبار هذا الوجه تقسيمات عدة:

التقسيم الأول:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: تحقيقي، وتخييلي.

فالتحقيقي: أن يكون وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة، كما تقول:

وجه هند كالبدر وشعرها كالليل، فوجه الشبه بين الطرفين هو "الإشراق" في الأول "والسواد" في الثاني، وكلا المعنيين قائم بالطرفين على وجه الحقيقة.

والتخيلي: ألا يكون الوجه قائمًا بالطرفين، أو بأحدهما إلا تخيلًا، وهو أن يثبته الخيال بجعل غير المحقق محققًا، كقول الشاعر:

يا من له شعر كحظي أسود ... جسمي نحيل من فراقك أصفر

فوجه الشبه بين الشعر والحظ هو "السواد" وليس موجودًا في المشبه به حقيقة بل تخيلًا؛ لأن الحظ ليس من ذوات الألوان، فإذا قيل: يا من له حظ كحظي أسود، كان مثالًا لما يكون فيه وجه الشبه في الطرفين متخيلًا.

التقسيم الثاني:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام: واحد، ومنزل منزلة الواحد، ومتعدد.

فالواحد: ما لا تركيب فيه ولا تعدد "كالحمرة" في قولك: خده كالورد و"كالكرم" في قولك: محمد كحاتم و"كالهداية" في قولك: العلم كالنور، فوجه الشبه في هذه المثل شيء واحد "كما ترى".

والمنزل منزلة الواحد: ما كان الوجه فيه هيئة مركبة، انتزعها العقل من عدة أمور، بحيث لا يصلح واحد منها على انفراده وجه شبه كقول الشاعر:

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فوجه الشبه "كما ترى" مجموع الهيئة المركبة من عدة أشياء هي ظهور صورة بيضاء، مشرقة مستديرة، في رقعة مبسوطة زرقاء، ولا يصح "بلاغة" جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة؛ لأن القصد تشبيه الطرفين في هذه الهيئة المجتمعة.

وإنما نزل القسم منزلة الواحد؛ لأن الوجه فيه مركب من أشياء تضامّت وتلاصقت حتى صارت كالشيء الواحد، لا يقبل التجزئة. وإنما لم يكن واحدًا حقيقة لتركيب الوجه من هذه الأشياء،

ولا تركيب في الواحد.

والمتعدد:

ما كان وجه الشبه فيه عدة أمور، جعل كل منها وجه شبه على حدة كما في قولك: هذه الفاكهة كالتي أكلناها أمس في الطعم، واللون، والرائحة. وكما في قولك: عباس كأخيه في الطول والضخامة والوسامة، ومثله في الحلم، والكرم، والذكاء. فوجه الشبه في هذه المثل أمور متعددة، كل منها يصلح أن يكون وجه شبه على انفراده؛ إذ ليس القصد تشبيه الطرفين في هيئة مركبة من هذه الأمور، بل في كل واحد منها على حدة.

تنبيهان:

الأول: إن الفرق بين الوجه المركب من عدة أشياء، وبين المتعدد هو أن المركب منظور فيه إلى مجموع الأشياء، والهيئة المركبة منها باعتبارها وحدة لا تتجزأ، إذا حذف أحدها اختل التشبيه، كما في قول الشاعر المتقدم:

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه مجموعة الأمور المتقدم ذكرها، وهي ظهور صورة بيضاء، مشرقة، مستديرة، في رقعة زرقاء، مبسوطة، فلو حذف من هذه المجموعة واحد "كالاستدارة أو الإشراق" مثلًا لم يتم التشبيه بين الطرفين. أما الوجه المتعدد، فإن المنظور فيه إلى أمور متعددة، يقصد جعل كل واحد منها على استقلاله وجه شبه بحيث لو حذف أحدها لم يختل التشبيه كما في المثال السابق في تشبيه الفاكهة بأخرى في الطعم، والرائحة، واللون؛ فإنك لو حذفت اللون مثلًا، أو الطعم، أو الرائحة لم يختل التشبيه إذ ليس الغرض جعل وجه الشبه الهيئة الحاصلة من مجموع هذه الأمور، بل المراد جعل كل واحد وجه شبه، من غير أن يتقيد أحدها بالآخر ا. هـ.

الثاني: إذا كان وجه الشبه مركبًا وجب أن يكون الطرفان مركبين أو مقيدين، أو أحدهما مركبًا، والآخر مقيدًا ولو تقديرًا؛ وذلك أن وجه الشبه قائم بالطرفين، منتزع منهما، وليس معقولا أن تقوم هيئة مركبة من عدة أمور بشيء واحد، أو أن تنتزع من شيء واحد. فوجه الشبه "في البيت السابق" هو الهيئة المركبة من الأشياء المذكورة، وتلك الهيئة لا يمكن أن تقوم بشيء واحد، ولا أن تنتزع منه. كذلك وجه الشبه في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل هو الهيئة الحاصلة من جملة أشياء هي: الاستدارة، والإشراق، وتموجه الناشئ من الحركة السريعة المتصلة، وأحد الطرفين فيه وهو "الشمس" وإن أفرد لفظًا هو مقيد معنى بجملة قيود هي: الإشراق المتموج، والحركة السريعة المتصلة، والاستدارة، وبهذا صح أن يكون منتزعًا للهيئة المذكورة.

التقسيم الثالث:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

أن يكون وجه الشبه فيه حسيًّا أي: مدركًا بالحس، مفردًا كان، أو مركبًا، أو متعددًا.

فالمفرد الحسي "كالإشراق" في قولك: له وجه كالبدر، و"كالنعومة" في قولك:

له جسد مثل الحرير، و"كالطيب" في قولك: عرفه كشذا المسك، إلى آخر ما تقدم من الأمثلة في الأمور الحسية.

والمركب الحسي: ما تقدم في تشبيه "البدر في كبد السماء" بدرهم ملقى على ديباجة زرقاء، فإن وجه الشبه "كما بينا غير مرة" هو الهيئة الحاصلة من ظهور صورة بيضاء مشرقة مستديرة، في رقعة مبسوطة زرقاء، وهذه الهيئة حسية تدرك بحاسة البصر.

والمتعدد الحسي: ما تقدم في تشبيه فاكهة بأخرى في الطعم، واللون، والرائحة. فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة، وجميعها حسي يدرك الأول منها بحاسة الذوق، والثاني بحاسة البصر، والثالث بحاسة الشم.

٢- أن يكون وجه الشبه فيه عقليًّا أي: مدركًا بالعقل، مفردًا كان أو مركبًا أو متعددًا.

فالمفرد العقلي "كالهداية" في قوله صلى الله عليه وسلم: $"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" و"كالجرأة" في قولك: عمر كالأسد، فوجه الشبه في هذين المثالين لا يدرك بشيء من الحواس، وإنما يدرك بالعقل.

والمركب العقلي كقول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر؛ طمعًا في الانتفاع به، وهذه الهيئة مما يدرك بالعقل.

والمتعدد العقلي كقولك: محمد كأبيه في شجاعته، وحلمه، وإيمانه. فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة، والجميع مما لا يدرك بغير العقل.

٣- أن يكون الوجه مختلفًا -بعضه حسي وبعضه عقلي- كما في وجه الشبه المتعدد، كأن تشبه رجلًا بآخر في طوله وجسامته، وكرمه وشهامته. فوجه الشبه كل واحد من هؤلاء الأربعة، غير أن الأولين منها حسيان، والآخرين عقليان، كما ترى.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن الوجه المختلف كما يكون في المتعدد "كما مثلنا" يكون أيضًا في المركب المنزل منزلة الواحد، باعتبار الأجزاء التي تركب منها كما في تشبيه المرأة الحسناء الوضيعة الأصل بخضراء الدمن١ في حسن المنظر، مع سوء المخبر، فإن وجه الشبه مجموع الأمرين

المذكورين، وأولهما حسي والآخر عقلي، غير أن علماء البيان يعتبرون المركب من حسي وعقلي من قبيل العقلي، فالمركب حينئذ -إما حسي فقط، أو عقلي فقط كما هو الشأن في الوجه المفرد- بخلاف الوجه المتعدد؛ فإن فيه الأنواع الثلاثة.

الثاني: اعلم أنه إذا كان الوجه حسيًّا كله أو بعضه، فلا بد أن يكون الطرفان حسيين أيضًا، وذلك لأحد سببين:

أحدهما: أنه لا بد من قيام وجه الشبه بالطرفين؛ تحقيقًا للتشارك بينهما، والحسي لا يقوم بغير الحسي، فالبياض مثلًا مما يدرك بحاسة البصر فلو جعل مشتركًا بين شيئين وجب أن يكون من المبصرات حتى يتأتى قيام البياض بهما، وهكذا يقال في باقي المحسات.

ثانيهما: أنه لا بد من إدراك الوجه في الطرفين ليتحقق لنا التشارك فيه، والحواس لا تدرك غير المحسات، فحاسة البصر مثلًا لا تدرك إلا ما كان مبصرًا، وحاسة اللمس لا تدرك إلا ما كان ملموسًا، وهكذا. ومحال أن تدرك هذه الحواس شيئًا من المعقولات فلا تبصر العين معنى "الكرم" ولا تلمس اليد معنى "الشجاعة" ولا تشم الأنف معنى "الحلم".

أما الوجه العقلي فيصح أن يكون طرفاه عقليين، أو حسيين، أو مختلفين. فالعقليان كأن تشبه وجود الجاهل بعدمه في الخلو من الفائدة، فالطرفان وهما "الوجود والعدم" عقليان. والحسيان كأن تشبه قوي البأس بالجبل في الصمود، والطرفان وهما "قوي البأس والجبل" حسيان.

والمختلفان كأن تشبه السيرة الحميدة بأريج المسك، أو العكس في ارتياح النفس إلى كل، فالطرفان في المثالين مختلفان، أحدهما حسي والآخر عقلي، ووجه الشبه في الجميع عقلي "كما رأيت".

وإنما صح هذا التعميم في الوجه العقلي؛ لجواز قيام المعقول بالمحسوس كقيام معنى الفصاحة "بسحبان" وقيام معنى الشاعرية "بزهير"، ولجواز أن يدرك العقل أمرًا معقولًا في شيء محسوس كإدراك معنى الشجاعة في "خالد بن الوليد" وإدراك معنى الجود في "حاتم".

---

١ هي شجرة تنبت في معاطن الدواب، تكون ناضرة بهجة، ولكن لا ثمر فيها، وهي بمثابة مثل يضرب لكل وضيع يبهرك منظره، ويسوءك مخبره.

التقسيم الرابع:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه إلى قسمين: تمثيل، وغير تمثيل.

فالتمثيل: ما كان وجه الشبه فيه هيئة مركبة من عدة أمور، حسيًّا كان هذا الوجه أو عقليًّا.

فمثال الحسي ما سبق في قول الشاعر:

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه "كما عرفت من قريب" هو الهيئة المركبة من عدة أمور، كلها مدرك بالحس. ومثله قول الشاعر:

وكأن أجرام النجوم لوامعًا ... درر نثرن على بساط أزرق

فوجه الشبه أيضًا هو الهيئة المركبة من صور بيض مشرقة، منثورة في رقعة مبسوطة زرقاء، وكلها أشياء حسية كما ترى. ومثال الوجه العقلي ما تقدم لك في قول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه "كما عرفت" هيئة مركبة من أمور عقلية في الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر، مع الطمع في الانتفاع به. ومثله قوله تعالى في تشبيه حال اليهود بحال الحمار: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} فإن وجه الشبه هيئة مركبة من أمور عقلية هي حرمان الانتفاع، بأبلغ نافع،

مع معاناة الكد في تحمله١.

وغير التمثيل: ما لم يكن الوجه فيه هيئة منتزعة من متعدد، بأن كان أمرًا واحدًا أو متعددًا. "فالأول كحسن النغم" في تشبيه صوت حسن بتغريد البلابل، و"كالمضاء" في تشبيه العزيمة بالسيف، و"كالإشراق" في تشبيه الحجة الواضحة بالشمس، ونحو ذلك مما يكون وجه الشبه فيه شيئًا واحدًا، لا تركيب فيه. والثاني كما في تشبيه فاكهة بأخرى في الطعم، والرائحة، واللون، فإن وجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة، لا الهيئة المركبة منها على ما سبق بيانه.

تنبيه:

ما تقدم في تشبيه التمثيل هو مذهب جمهور البيانيين، فهم "كما عرفت" لا يفرقون فيه بين الحسي والعقلي، فالمدار فيه عندهم على أن يكون هيئة مركبة من عدة أمور، حسية كانت أو عقلية.

وللسكاكي فيه مذهب، وهو أن تشبيه التمثيل عنده خاص بالمركب العقلي كما في تشبيه "المستجير بعمرو عند كربته" في البيت السابق، وكما في تشبيه حال اليهود بحال الحمار في الآية الكريمة؛ وحينئذ يكون تشبيه التمثيل عنده أخص منه عند الجمهور، فمثل قول الشاعر المتقدم:

"وكأن أجرام النجوم لوامعًا" إلخ، وقول الآخر: "والبدر في كبد السماء كدرهم" إلخ، وغيرهما من كل تشبيه، فيه الوجه هيئة منتزعة من أمور محسوسة. كل ذلك من قبيل تشبيه التمثيل عند الجمهور؛ لأن وجه الشبه هيئة مركبة من عدة أمور كما سبق بيانه، وليس من تشبيه التمثيل عند السكاكي؛ لأن وجه الشبه فيها ليس عقليًّا أي: ليس مركبًا من أمور عقلية، كما هو الشرط عنده في تشبيه التمثيل.

أما نحو التشبيه في قول الشاعر: والمستجير بعمرو عند كربته "البيت" وفي آية اليهود السابقة فمن تشبيه التمثيل عند الطرفين، أما عند الجمهور فلأن الوجه فيهما هيئة مركبة من عدة أمور وأما عند السكاكى فلأن وجه الشبه فيهما مركب عقلى أهـ.

---

١ فقد روعي في الحمار فعل خاص هو الحمل، وأن يكون المحمول أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول، وكون الحمار جاهلًا بما فيها مع تكبده مشاق الحمل؛ وروعي مثل ذلك في جانب اليهود وكل هذه الأشياء أمور عقلية.

التقسيم الخامس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين: مفصل، ومجمل. فالمفصل: ما صرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته[1] كما تقول: طبع فؤاد كالنسيم رقة أو في رقته، ويده كالبحر سخاء أو في سخائه، وكلامه كالدر حسنًا أو في حسنه، وقوامه كالسيف استقامة أو في استقامته، فكل هذه المثل من قبيل التشبيه المفصل للتصريح فيها بذكر الوجه كما رأيت.

ومن قبيل المفصل قولهم في تشبيه الكلام السهل، الخفيف على السمع: "ألفاظه كالعسل في الحلاوة" وفي تشبيه الحجة الواضحة: "حجة كالشمس في الظهور" فوجه الشبه في المثالين مذكور "كما ترى" وهو قائم بالطرفين، غير أنه في المشبه تخييلي، وفي المشبه به تحقيقي، وقد سبق الكلام فيه[2].

والمجمل: ما لم يصرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته، وهو نوعان:

١- ظاهر يستوي في إدراكه العامة والخاصة، كتشبيه الشعر بالفحم والقد بالغصن والوجه بالبدر، فأوجه الشبه في هذه المثل من الوضوح، بحيث لا تحتاج إلى إعمال فكر.

---

١ هي أن يذكر الوجه مجرورًا "بفي" أو منصوبًا على التمييز على معنى "في" كالأمثلة المذكورة. ومن هنا يعلم أن وجه الشبه كما يكون مجرورًا "بفي" يكون منصوبًا على التمييز على معنى "في" واحترز به عن نحو قولهم: يد فؤاد كالنهر تفيض، ووجه هند كالبدر يضيء، فليس ذلك من قبيل المفصل لعدم ذكر الوجه على طريقته المذكورة.

٢ أما ما قيل من أن في مثل هذين المثالين تسامحًا من حيث إن الوجه لم يذكر، وإنما ذكر ملزومه وهو "الحلاوة" في الأول "والظهور" في الثاني، فغير سديد؛ لأن ذكر "الحلاوة والظهور" إن كان من قبيل التعبير بالملزوم عن اللازم الذي هو "ميل النفس" في الأول و"زوال الحجاب" في الثاني كان من قبيل المجاز ولا تسامح فيه؛ لأن الوجه مذكور غاية الأمر أنه عبر

عنه بملزومه، وإن لم يكن من المجاز فخطأ إذ لا واسطة بين الحقيقة والمجاز غير الخطأ، ولا ينبغي حمل الكلام الفصيح على الخطأ.

ب- خفي يحتاج في فهمه إلى تأمل ونظر. مثاله ما روي: أن فاطمة بنت الخرشب[1] الأنمارية سئلت عن بنيها الأربعة: أيهم أفضل؟ فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، تريد أن تقول: هم في تناسبهم في الشرف والشجاعة وعدم تفاوتهم فيهما، بحيث يمتنع تفضيل أحدهم على الآخر، كالحلقة المتصلة الجوانب فإن أجزاءها متناسبة في الصورة، يمتنع تعيين بعضها طرفًا وبعضها وسطًا، فوجه الشبه إذًا هو "التناسب الكلي الخالي عن التفاوت" وقد أشعر به قولها: "لا يدرى أين طرفاها" إلا أنه في المشبه تناسب في الشرف، وفي المشبه به تناسب في صورة الأجزاء وهو "كما ترى" خفي دقيق، فوق متناول مدارك العامة، ولا يدركه إلا من ارتفع منهم إلى طبقة الخاصة.

تنبيه:

من هذا المثال السابق يتضح: أن التشبيه المجمل لا يخرجه عن إجماله أن يذكر لأحد الطرفين، أو لكليهما وصف مشعر بوجه الشبه.

فمثال ما ذكر فيه وصف المشبه به دون المشبه قول فاطمة المتقدم، فإن قولها: "لا يدرى أين طرفاها" وصف للمشبه به، مشعر بوجه الشبه الذي هو "التناسب الكلي" إذ يفهم من عدم دراية الطرفين معنى التناسب في الأجزاء. ومثله قول زياد الأعجم:

فإنا وما تلقي لنا أن هجوتنا ... لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق[2]

---

[1] بضم الخاء والشين، وسبب هذا القول أنها سئلت عن بنيها الأربعة الذين رُزِقتهم من زوجها وهم: ربيع الكامل، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ. وأنس الفوارس، سئلت: أيهم أفضل؟ فقالت: عمارة، ثم بدا لها غير هذا فقالت: لا بل فلان، ثم بدا لها غير ذلك فقالت: لا، ثم قالت: ثكلتهم إن علمت أيهم أفضل، هم كالحلقة ... إلخ. وقيل: إنه من قول كعب الأشعري في وصف بني المهلب للحجاج، حين قال له: كيف تركت الناس؟ فقال كعب: تركتهم بخير، أدركوا ما أملوا، وأمنوا مما خافوا، فقال الحجاج: فكيف بنو المهلب فيهم؟ فقال: هم حماة السرح نهارًا، فإذا أليلوا ففرسان البيات؛ فقال الحجاج: فأيهم كان أنجد، أي أشجع؟ فقال: هم كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفاها.

[2] أن هجوتنا بفتح همزة "أن" وهو مصدر مؤول من أن والفعل مجرور بحرف جر مقدر، والتقدير: يهجائك.

يشبه زياد حال قومه إذ يرميهم المخاطب بالنقيصة فلا تضرهم، ولا يظهر لها فيهم أثر لخطورة شأنهم بحال البحر العظيم، لا يتأثر بما يلقى فيه. ووجه الشبه أن كلا الطرفين من العظمة والخطر بحيث لا ينال منهما، وقوله:

"مهما تلق في البحر يغرق" وصف للمشبه به مشعر بهذا الوجه.

ومثال ما ذكر فيه وصف المشبه دون المشبه به قوله عليه الصلاة والسلام: $"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" فوجه الشبه في الحديث "الهداية" وقد أشعر به قوله: $"بأيهم اقتديتم اهتديتم" وهو وصف خاص بالمشبه.

ومثال ما ذكر فيه وصفهما معًا قول أبي تمام يمدح الحسن بن رجاء:

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ... عني وعاوده ظني فلم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريقه أفضل ... وإن ترحلت عنه لج في الطلب[1]

وصف الشاعر الممدوح الذي هو "المشبه" بأن عطاياه مغدقة سابغة عليه، أعرض عنه أو أقبل عليه. ثم وصف الغيث الذي هو المشبه به بأنه يصيبك أقبلت عليه أو تجنبته، ووجه الشبه "مطلق الإفاضة في الحالين" والوصفان المذكوران مشعران بهذا الوجه.

وصفوة القول: أن التشبيه المجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه على طريقته السابقة، ظاهرًا ذلك الوجه أو خفيًّا "كما بينا"، وأن وصف أحد الطرفين أو كليهما بما يشعر بالوجه "كما رأيت" لا يتنافى مع الإجمال؛ لأن المدار في كون التشبيه مجملًا على ألا يذكر وجه للشبه ذاته لا وصف مشعر به ا. هـ.

---

١ صدف من باب ضرب: أعرض، والريق من كل شيء: أفضله؛ ولج في الطلب: ألح فيه.

التقسيم السادس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين: قريب مبتذل، وبعيد غريب، وإليك بيانهما:

فالقريب المبتذل: ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل، ونظر بسبب وضوح وجه الشبه فيهما كتشبيه حسناء الوجه بالقمر في الإشراق وحسن الصوت بالبلبل في حسن النغم، فكلا التشبيهين قريب، في متناول العامة، مبتذل، يكثر تداوله بين الناس لظهور وجه الشبه بين الطرفين "كما ترى".

وأسباب وضوح وجه الشبه ثلاثة:

أ- أن يكون الوجه شيئًا واحدًا لا تعدد فيه، ولا تفضيل كالمثالين السابقين، فإن وجه الشبه في الأول "الإشراق" وفي الثاني "حسن النغم" وكلاهما شيء واحد، ولا شك أن إدراك الشيء الواحد لا يحتاج سوى ملاحظة واحدة، بخلاف غيره فإنه يحتاج إلى عدة ملاحظات.

ب- أن يكون في الوجه نوع تفصيل يحتاج إلى تعدد الملاحظة، غير أنه يسرع حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لشدة التناسب بين الصورتين، كأن تشبه العنب بالبرقوق في حجمه ولونه، ففي وجه الشبه بين الطرفين تفصيل ما إذ لوحظ فيه أمران: الحجم واللون، وهذا يقتضي شيئًا من غرابة التشبيه وبعده، ولكن عارض ذلك ما يقتضي قربه وابتذاله وهو سرعة حضور المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لما بينهما من شدة الانسجام، وقوة المناسبة إذ إن العنب والبرقوق من فصيلة واحدة ويجمعهما زمن واحد وسوق واحدة، فلا أثر للتفصيل في وجه الشبه مع قوة هذه المناسبة. ومثله تشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في "المقدار والشكل" فإن سرعة حضور صورة الكوز في الذهن عند حضور صورة الجرة فيه لشدة المناسبة بين الصورتين عارضت التفصيل في الوجه على نحو ما ذكرناه في المثال الأول؛ لهذا كان التشبيه قريبًا مبتذلًا.

حـ- أن يكون في الوجه شيء من التفصيل "كسابقه" يحتاج إلى تعدد الملاحظة، غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به في الذهن مطلقًا أي: لا بقيد حضور صورة المشبه؛ وذلك لكثرة مشاهدة صورة المشبه به وتكررها على الحس، فإن المشاهد كثيرًا يكثر خطوره بالبال عادة كتشبيه إنسان بالقمر في الرفعة والهداية، وكتشبيه المرآة المجلوة بالشمس في الاستدارة والاستنارة، ففي وجه الشبه بين الطرفين في "المثالين" شيء من التفصيل إذ لوحظ فيه أمران: الرفعة والهداية "في الأول"

والاستدارة والاستنارة في الثاني، وهذا يقتضي غرابة التشبيه وبعده ولكن عارض ذلك ما جعله قريبًا مبتذلًا وهو كثرة حضور صورة المشبه به في الذهن لكثرة مشاهدتها، إذ ليس من شك أن صورة "القمر" في المثال الأول، وصورة "الشمس" في المثال الثاني مما يشاهد كثيرًا.

والغريب البعيد: هو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بعد إعمال فكر، ودقة نظر بسبب خفاء وجه الشبه فيهما.

وأسباب خفاء الوجه ثلاثة أيضًا:

١- أن يكون الوجه كثير التفصيل، يحتاج إلى كثرة الملاحظات والاعتبارات، كما في تشبيه الخد بالشقيق في قول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فوجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء في وسط رقعة مبسوطة حمراء، وفيه من كثرة التفصيل والاعتبارات ما لا يقع في نفس مريد التشبيه إلا بعد تأمل وروية. وكما في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، فإن الهيئة المشتركة في كليهما -على ما تقدم بيانه- لا تقوم بنفس مريد التشبيه إلا بعد أن يتأمل ويتعمل.

ب- أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لبعد التناسب بين الصورتين، وعدم التجانس بينهما كما في تشبيه القمر بالعرجون في قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} ١ فصورة "العرجون" في ذاتها غير نادرة الحضور في الذهن، ولكنها تندر عند استحضار صورة "القمر" للبون الشاسع بين الصورتين؛ فإن القمر مسكنه في السماء، والعرجون في الأرض، والقمر من فصيلة الكواكب، والعرجون من قبيل النباتات، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شيء تافه حقير لا تكاد تظهر له فائدة، فشتان ما بين الصورتين، وناءٍ ما بين الطرفين. وكقول الشاعر:

---

١ هو عذق النخل، إذا يبس.

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت١

كان المناسب للشاعر أن يشبه صورة أزهار البنفسج وهي على سيقانها بما يناسبها من الأزهار، إذ هو الذي يتبادر إلى الذهن عند استحضار صورة البنفسج، ولكنه شبهها بصورة النار في أطراف الكبريت أول شبوبها. ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة ذات لون خاص بجرم دقيق يخالفها لونًا، فصورة النار في أطراف الكبريت غير نادر الحضور في الذهن لأنها في متناول الناس، واقعة بين أيديهم وأرجلهم، لكنها تندر عند حضور صورة البنفسج وهو على سيقانه لما بينهما من عدم التجانس وبعد الموطن. فذاك زهر ندي لطيف، وهذا لهب حار عنيف، وذاك يسكن الخمائل، وهذا يستوطن المنازل، فبعد ما بين الطرفين.

ج- أن يندر حضور المشبه به في الذهن مطلقًا أي: سواء حضرت صورة المشبه في الذهن أو لا؛ وذلك لأمور منها:

١- أن يكون المشبه به وهميًّا أي: من اختراع الوهم، كما في تشبيه النصال المسنونة الزرق بأنياب الأغوال في قول الشاعر السابق، فإن أنياب الأغوال مما لا وجود له إلا في الوهم.

٢- أن يكون المشبه به خياليًّا أي: من نسيج الخيال، كصورة أعلام من ياقوت، منشورة على رماح من زبرجد في قول الشاعر المتقدم. إن هذه الصورة وما شاكلها من الهيئات المركبة لا وجود لها في غير الخيال.

٣- أن يندر تكرر صورة المشبه به على الحس، كصورة المرآة في كف الأشل، فقد ينقضي عمر الإنسان ولا يرى مرآة في كف إنسان أشل.

---

١ لازوردية بكسر الزاي وفتح الواو وسكون الراء صفة محذوف أي: ورب أزهار من البنفسج لازوردية، نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد؛ لكونها على لونها فهي نسبة تشبيهية، وتزهو من الزهو وهو الكبر، ونسبة التكبر إلى البنفسج تجوز، وحمر اليواقيت من إضافة الصفة للموصوف أي: رب أزهار من البنفسج لازوردية نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد استعارة أراد بها الأزهار الحمر؛ لمشابهة الأزهار لها وهو المناسب للبنفسج بدليل قوله: "بين الرياض".

تنبيه:

إنما كانت كثرة حضور صورة المشبه به في الذهن سببًا في ظهور وجه الشبه، وندرة حضور صورته سببًا في خفاء الوجه؛ لأن وجه الشبه "كما علمت" مشترك بين الطرفين، قائم بهما، فتصوره فيهما موقوف على تصورهما، فإذا كان المشبه به كثير الحضور في الذهن، أو نادر الحضور فيه لزم أن يكون وجه الشبه أيضًا كثير الحضور أو نادرًا تبعًا له، ومن هنا كان وضوحه أو خفاؤه.

تمرين:

١- عرف وجه الشبه، ثم ائت بمثال يكون أحد الطرفين فيه حسيًّا والوجه عقليًّا، وبآخر يكون الوجه في أحد الطرفين تخيليًّا.

٢- بين وجه الشبه، ونوع التشبيه باعتبار هذا الوجه فيما يأتي:

١- لفظ كالسحر وخلق كالعطر.

٢- له صوت كرنين الأوتار.

٣- التقي كالمصباح يضيء في الظلام.

٤-

وما المرء إلا كالشهاب وصوته ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

٥- محمد كأبيه شجاعة وإيمانًا وكرمًا.

٦- له قول يخترق القلوب كالسهم.

مهفهف وجنتاه ... كالخمر لونًا وطعما

٧-

٨-

طلق شديد البأس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

٩-

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء ... كالسيف في الرونق والمضاء

-١٠

وقد لاح في الصبح للثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا[١]

---

١ الثريا: طائفة من النجوم متقاربة، على شكل خاص "وملاحية" بضم الميم، وتشديد اللام: عنب أبيض في حبه طول، وتخفيف اللام فيه أكثر والإضافة بيانية، و"نور" ظهر نوره، أي: تفتح زهره.

-١١

كأنك شمس والنجوم كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

-١٢

يا شبيه البدر في الحسـ ... ـن وبعد المنال

١٣- السفرجل كالبرتقال في لونه، وشكله، وحجمه.

١٤- أنت كالمصباح في ضوئه وهدايته.

١٥- النساء حبائل الشيطان.

-١٦

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها ... حصباء در على أرض من الذهب[١]

جواب التمرين الثاني:

---

١ "الفقاقيع" هي ما يطفو على وجه الماء كالبرد، ومفرده: فقاعة على زنة رمانة، و"الحصباء": الحصا.

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

كلام ذي الفهامة كسكوته، وإشارة الفصيح كعبارته؛ قال الشاعر:

الشمس من مشرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت ... يجول فيها ذهب ذائب

الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر. قد بدت هند قمرًا، وتضوعت مسكًا، وخطرت غزالًا. فلان كالبحر لا يعكره ولوغ الكلاب. إنك كالبحر في مده وجزره، وكالدهر في إقباله وإدباره. الأماني حلم اليقظان. حجة كفلق الصبح. مرآة الغريبة كالشمس استدارة، وصفاء النار في أطراف الكبريت كالبنفسج. قال الشاعر:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها ... وقد كحل الليل السماك فأبصرا

مبحث الأداة

مدخل

...

مبحث الأداة:

الأداة: لفظ يدل على معنى التشبيه كالكاف، تقول: محمد كالبدر فالكاف في قولك: "كالبدر" أداة تشبيه لأنها دالة عليه. ومثل الكاف كل ما يفيد معنى المشابهة والمماثلة كلفظ "مثل وشبه"، وكأسماء الفاعل المشتقة مما يفيد معنى التشبيه كمماثل، ومشابه، ومحاك، ومضاهٍ، تقول: هند مثل الغزال، ومحمد شبه الغمام. وتقول: هي مماثلة الغزال، وهو مشابه الغمام، ومحاكي الغيث، ومضاهي النجم، بالإضافة في جميعها.

والأصل في "الكاف" وما شاكلها من الأسماء المضافة لما بعدها "كما رأيت" أن يليها المشبه به لفظا "كما مثلنا" أو تقديرًا كقوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} بعد قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} الآية.

فالمشبه به في الآية قد ولي الكاف تقديرًا والأصل: أو كمثل ذوي صيب، أما تقدير "ذوي" فلأن الضمائر الثلاثة في {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} للمنافقين وهم ليسوا مذكورين في الآية، فبقيت الضمائر بلا مرجع، ولا بد لها منه كما هو الشأن فيها. وأما تقدير "مثل" فلأجل أن يشاكل المعطوف عليه وهو قوله: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} . وقد يليها غير المشبه به إذا كان المشبه به مركبًا أي: هيئة منتزعة من أمور لم يعبر عنها بمفرد دال عليها[1]، لكن بشرط أن يذكر بعد الكاف ونحوها بعض هذه الأمور التي انتزعت منها تلك الهيئة، كما في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء حتى يكون هذا المثال مما ولي فيه المشبه به كاف التشبيه، بل المراد تشبيه حال الدنيا في إقبالها على الإنسان واغتراره بابتسامتها الخادعة، وطلائها الكاذب، وما يعقب ذلك من زوال نعيمها، وامّحاء بهجتها ونضارتها بحال النبات، يغذيه الماء فتنضر خضرته، وتبتسم زهرته ثم لا يلبث أن تنطفئ هذه النضرة، وتذبل هذه الزهرة، ويتحول النبات النضر البهيج إلى هشيم تذروه

---

[1] احترز به عما عبر فيه عن الهيئة بمفرد كما في آية اليهود، فقد عبر فيها عن المشبه به المركب بلفظ "مثل" قال تعالى: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ ... } إلخ.

عواصف الرياح كأن لم يكن، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حسن وبهجة وهناء، يعقبه تلف وشقاء وفناء، فأنت ترى أن المشبه به لم يَلِ الكاف؛ لأنه "الهيئة الحاصلة" لكن وليها

شيء يتعلق به وهو "الماء" إذ هو أحد أجزاء الهيئة المذكورة.
والأصل في "كأن" الدالة على التشبيه أن يليها المشبه "عكس الكاف وأخواتها" تقول: "كأن عنترة أسد" فعنترة هو المشبه. وقد ولي "كأن" ويقول الله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} فضمير النسوة هو المشبه، وما بعده هو المشبه به.
ومثل "كأن" في هذا لحكم كل ما له معمولان من الأفعال، أو الأصناف المفيدة لمعنى التشبيه تقول: ماثل أو يماثل خالد أسدا، وشابه أو يشابه علي حاتمًا، وحاكى أو يحاكي شوقي أبا الطيب، فالذي ولي الأفعال في هذه المثل هو "المشبه". وتقول: خالد ماثل أو يماثل الأسد، وعلي شابه أو يشابه حاتمًا، وشوقي حاكى أو يحاكي أبا الطيب. وتقول: خالد مماثل أسدًا، وعلي مشابه أو مشبه حاتمًا، وشوقي محاك أو مضاهٍ أبا الطيب، فالضمائر المستكنة في هذه الأفعال أو الأوصاف هي "المشبهات" وقد وليتها؛ لأنها فواعل والفاعل مرتبته بعد الفعل، كما عرفته في محله.

تقسيم التشبيه باعتبار الأداة:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: مرسل، ومؤكد.
فالمرسل: ما ذكرت فيه الأداة لفظًا، أو تقديرًا. فمثال ما ذكرت فيه الأداة لفظًا قولك: سجعه كسجع الحمام، ووشيه كوشي الطاووس. ومثال ما قدرت فيه الأداة قولك: "سجعه سجع الحمام" "ووشيه وشي الطاووس" إذا قدرت في نفسك أنه على معنى الكاف، وأن المشبه مثل المشبه به لا عينه.
والمؤكد: ما تركت فيه الأداة لفظًا وتقديرًا أي: ترك التصريح بها، وتُنُوسِي تقديرها في نظم الكلام أيضا؛ إشعارًا بأن المشبه عين المشبه به مبالغة، كما تقول في المثالين السابقين: سجعه سجع الحمام، ووشيه وشي الطاووس، فتترك

ذكر الكاف، ولا تقدرها في نفسك ادعاء منك أن المشبه هو المشبه به نفسه، لا شيء سواء مبالغة. ومثله قوله تعالى: {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} يريد –وهو أعلم بمراده– أن الجبال يوم القيامة بعد النفخة الأولى تسير في الهواء كالسحاب تسوقه الرياح، فهو تشبيه مؤكد تنوسي فيه تقدير الكاف ليكون المعنى: أن مرور الجبال يوم القيامة هو مرور السحاب بعينه، وهذا المعنى هو ما ينبغي أن يفهم تصويرًا للحالة التي ستكون، ولو فرض تقدير الكاف في الكلام لكان تشبيهًا مرسلًا.
إذا علمت هذا، علمت أن كل مثال تركت فيه الأداة يحتمل أن يكون من قبيل المؤكد إن لم تقدر فيه الأداة، وأن يكون من قبيل المرسل إن قدرت الأداة، ما لم تقم قرينة على المراد.
ومن التشبيه المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كما في قول الشريف الرضي

يستمطر الرحمة على قبور الموتى:

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت ... حوامل المزن في أجداثكم تضع[1]

يقول: أقام النسيم بواديكم، تهب عليه نفحاته، ولا فتئت غوادي الحسب ترطب ثرى قبوركم، والشاهد في قوله: "حوامل المزن" يريد: أن المزن الممتلئة بالماء كالحوامل من الحيوان، فقد شبه المزن بالحوامل بجامع المنفعة في كل، ثم تركت أداة التشبيه وتنوسيت، ثم أضيف المشبه به إلى المشبه "كما ترى " وفي التعبير بقوله "تضع" مع قوله: "حوامل المزن" براعة بارعة في مراعاة التناسب. ومثله قول الشاعر يصف اعتدال الريح وقت الأصيل، أي: وقت اصفرار أشعة الشمس حينما تميل إلى الغروب:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء[2]

شبه الشاعر الماء بالفضة في النقاء والصفاء، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة، وتناسيها في نظم الكلام.

وسمي التشبيه "مؤكدًا" لأنه أكد وقرر بدعوى اتحاد الطرفين، وأن المشبه هو المشبه به، لا يتميز أحدهما عن الآخر في شيء.

---

١ "المزن" أراد بها السحاب، والأجداث جمع: جدث بفتح الجيم والدال، وهو "القبر".

٢ الأصيل هو: الوقت بين العصر والغروب، ويعد من أطيب الأوقات، و"ذهبه" صفرته بسبب شعاع الشمس فيه، وإطلاق الذهب عليه "استعارة" و"اللجين": الفضة، وهو مضاف إلى الماء من إضافة المشبه به إلى المشبه.

مبحث أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه: هي البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقد شبها بين شيئين، وهي على ضربين:

١- ما يعود على المشبه، وهو الأكثر.

٢- ما يعود على المشبه به.

الأغراض التي تعود على المشبه، وهي سبعة:

الاول: بيان حال المشبه، إذا كان المخاطب يجهل حال ذلك المشبه، ويريد أن يعرف حاله أي: وصفه الذي هو عليه، فيلحق بمشبه به معروف لدى المخاطب بيانًا لهذه الحال؛ كقول امرئ القيس السابق:

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه الرطب من قلوب الطير، واليابس منها بالعناب، والحشف البالي بيانًا لما فيها من

الأوصاف كالشكل، والمقدار، واللون. وكما في تشبيه ثوب بآخر في بياضه أو سواده، أو نحو ذلك.

وينبغي لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به معروفا عند المخاطب بوجه الشبه؛ لأن الغرض تعريف حال المشبه المجهول للمخاطب، فلو لم يكن المشبه به معروفًا لدى المخاطب من قبل للزم تعريف المجهول بالمجهول.

وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه وإن كان الشأن فيه ذلك؛ لأن المخاطب إنما يجهل حال المشبه، ويريد مجرد تصورها، وهذا يكفي فيه أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب. فإذا قيل: ما لون ثوبك الذي اشتريته؟ فقلت: كهذا الثوب في سواده مثلًا، فقد تم الغرض؛ ولا يتوقف على كون هذا الثوب أتم من الثوب المشترى في سواده؛ لأن ذلك زائد على المطلوب.

الثاني: بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف، وذلك إذا كان المخاطب يعلم

حال المشبه ويجهل مقدار الحال، ويريد الوقوف على مقدارها، فيلحق حينئذ بشيء يعلم المخاطب مقدار حاله، كقول الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودًا كخافية الغراب الأسحم١

شبه النياق السود بخافية الغراب في شدة السواد، وبهذا التشبيه اتضحت حال المشبه واستقر في الذهن مقدار سواده، وأنه بين الحلكة شديدها. وكتشبيه صوت ضعيف بالهمس، أو قوي بالرعد؛ بيانًا لمقدار ضعف هذا الصوت أو قوته.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغي أن يكون المشبه به أعرف، وأشهر بوجه الشبه من المشبه لدى المخاطب، كما في الأمثلة المذكورة.

غير أنه يجب هنا أن يكون المشبه به مساويًا للمشبه في وجه الشبه لا أكثر ولا أقل؛ إذ لو كان المشبه به أتم في وجه الشبه، أو أنقص منه لم يتعين المقدار، فلم يتم الغرض من التشبيه كما في تشبيه شراب بالثلج في شدة البرودة أو بالنار في شدة الحرارة، اللهم إلا إذا قصدت المبالغة.

الثالث: بيان إمكان المشبه أي: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك إذا كان أمرًا غريبًا من شأنه أن ينازع فيه؛ ويدعى امتناعه، فيمثل حينئذ بشيء مسلم الوقوع ليكون دليلًا على إمكان وجوده، كما في قول أبي الطيب من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

ادعى الشاعر أن الممدوح من السمو والرفعة بحيث فاق الجنس البشري الذي هو أحد أفراده، وصار كأنه جنس آخر. ولما كان هذا المعنى "في بادي الرأي" غريبًا في بابه، لا تقبله

العقول لاستبعاد أن يخرج الشيء عن جنسه، أراد أن يؤيده بما لا نزاع فيه ليتبين إمكانه، فشبهه بشيء أقرته العقول، وآمنت به، وهو "المسك" فإنه خرج عن أصله، وتحول إلى جنس آخر لما فيه من معنى ليس في سائر الدماء

---

١ "الحلوبة": الناقة ذات اللبن الغزير، والخافية: ريش في الطائر يختفي إذا ضم جناحيه، و"الأسحم": شديد السواد.

أي: وإذا جاز أن يفوق الشيء أصله لميزة فيه، فليس ببعيد أن يفوق الممدوح جنسه لما فيه من جليل الصفات. ومن هذا البيان يتبين أمران:

أحدهما: أن قوله: "فإن المسك ... إلخ" لم يؤت به جوابًا للشرط في المصراع الأول، وإنما سيق مساق الدليل على هذا الجواب، وكأنه يقول: فإن تفق الأنام وأنت منهم فلا بدع ولا غرابة؛ لأن لك نظيرًا هو "المسك" فقد حذف الجواب، وهو قوله: "فلا بدع ولا غرابة" واستغنى عنه بهذا الدليل.

ثانيهما: أن التشبيه في "البيت" ليس صريحًا، بل دل عليه الكلام ضمنًا، ذلك أن المعنى لهذا الكلام هو أنه لا بدع ولا عجب أن يخرج الممدوح عن بني جنسه لمعنى فيه ليس فيهم؛ لأن المسك بعض دم الغزال، وهو "مع ذلك" لا يعد من الدماء لما اختص به من معنى كريم ليس فيها. ومفهوم هذا أن حال الممدوح شبيهة بحال المسك وبهذا التشبيه الضمني تبين أن المشبه أمر ممكن الوجود.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغي أن يكون المشبه به أعرف وأشهر بوجه الشبه من المشبه كالذي قبله.

وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه؛ لأن المطلوب فيه إثبات نظير المشبه ليفيد عدم استحالته. وهذا يكفي فيه مجرد وجود وجه الشبه به خارجًا، ولا يتوقف الغرض على أن يكون الوجه فيه أتم منه في المشبه. فإذا قلت لإنسان: إنك في خروجك عن جنسك كالمسك تم الغرض بمجرد العلم بخروج المسك عن جنسه وإن لم يكن المسك أتم منه في هذا الخروج، وإن كان الواقع أن المسك أتم خروجًا عن جنسه من الممدوح.

الرابع: تقرير حال المشبه، وتمكينها في نفس السامع بإبرازها في صورة هي فيها أوضح وأقوى، وذلك فيما إذا كان المشبه به مما يدرك بالحس، إذ التمثيل

بالمحسوس يفيد زيادة قوة وتمكين، كما في قول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

شبه الشاعر القلوب المتنافرة بالزجاجة المتصدعة بجامع تعذر العودة إلى الحالة الأولى. ولما كان تنافر القلوب، وتعذر عودتها إلى التواصل كما كانت من الأمور المعقولة التي لا تطمئن إليها النفس أيما اطمئنان أراد أن يبرز هذا المعنى في شيء يرى بالعين لتسكن إليه النفس، وتؤمن به إيمانًا قويًّا. فشبه بالزجاجة إذا تصدعت، ومثل هذا التشبيه تجد فيه من تقرير الغرض، وتمكينه في الذهن ما لا تجده في غيره؛ لأن الجزم بالأمور الحسية أتم منه بالأمور العقلية وليس من شك في أن التئام الزجاجة بعد صدعها من الأمور المقطوع بتعذرها لتقررها في عالم الحس، ألا ترى لو وصفت يومًا بالطول فقلت: يوم كأطول ما يتوهم، أو كأنه لا آخر له أكنت تحس من الأنس والأريحية بمثل ما تجده في قول الشاعر:

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطكاك المزاهر[1]

وهل تراك لو وصفته بالقصر فقلت: هو كأقصر ما يتصور، أو كلمح البصر أكنت ترى فيه من تجسيم المعنى وتشخيصه ما تراه في قولهم: أيام كأباهيم القطا[2]، أو في قول الشاعر:

ظللنا عند باب أبي نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب[3]

ذلك أن اطمئنان القلب إلى المحسوس أقوى وأتم "كما عرفت" لهذا يقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} .

وإن شئت المثل الأعلى لهذا النوع فعليك "بكتاب الله" في غير موضع

---

١ المراد بدم الزق الخمر، وهو على تقدير مضاف أي: شرب دم الزق، والزق: وعاء الخمر، و"عنا" حال من دم الزق أي: حالة كونه صادرا عنا، والمزاهر جمع: مزهر بكسر الميم، وهو العود الموسيقي، واصطكاكها: ضرب بعضها ببعض.

٢ الأباهيم: جمع إبهام بكسر الهمزة، وهو أكبر أصابع اليد والرجل، والقطا جمع: قطاة، وهي طائر سريع الحركة.

٣ سالفة الذباب: مقدم أعناقه.

منه؛ قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} . إلى غير ذلك من إبراز المعاني المحجوبة عن العيان في معارض الحس والمشاهدة؛ ليكون ذلك أمكن في النفس؛ فيقوى إيمانها بالمعنى، واطمئنانها إليه.

وهذا الغرض لا يتحقق إلا بالأمرين جميعًا: أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه لدى المخاطب كما سبق، وأن يكون أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه؛ لأن النفس "كما قلنا"

إلى الأتم الأقوى أميل منها إلى غيره. فإذا قلت مثلًا: إن القلوب المتنافرة يتعذر عودتها إلى التواصل، صح أن يتوهم إمكان عودتها إليه، فإذا مثلت هذا المعنى بالزجاجة المتصدعة التي لا يتوهم فيها مطلقًا أن تعود إلى الالتئام ثانيًا تمكن المعنى في النفس، وآمنت به إيمانها بالمعنى الممثل به.

الخامس: تزيين المشبه للسامع أي: تصويره له بصورة جميلة بأن يلحق بمشبه به قد استقر في النفس حسنه وحبه؛ ليتخيله السامع كذلك فيرغب فيه، كما في قول الشاعر:

سوداء واضحة الجبين ... كمقلة الظبي الغرير[1]

شبه الوجه الأسود بمقلة الظبي في حسن سوادها، واستدارته تزيينا له عند السامع، وكما في تشبيه صوت حسن بصوت داود، أو جلد ناعم بالحرير، أو نكهة فم بالعطر، أو نحو ذلك.

السادس: تقبيح المشبه للسامع أي: تصويره بصورة قبيحة بأن يلحق بمشبه به تتقزز منه النفس؛ ليتخيله السامع كذلك فينفر منه، كما في قول الشاعر:

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

شبه الشاعر إنسانًا يشير في حديثه بقرد يضحك، أو عجوز تلطم خديها في بشاعة المنظر وقبحه؛ تشويها له في نظر السامع.

---

[1] "الغرير": الحسن الشكل.

وإذا كان المقصود تزيين المشبه أو تقبيحه بإلحاقه بمشبه به حسن أو قبيح، وجب لتحقيق هذين الغرضين أن يكون المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه. ولا شك أن في سواد مقلة الظبي من الحسن ما ليس في وجه أسود، وأن فيما نراه من قباحة القرد والعجوز المذكورين ما لا تجده في إنسان يشير محدثًا، مهما قبح منظره، وشاه خلقه.

السابع: استطراف المشبه أي: جعله طريفًا بديعًا في خيال السامع، وذلك يكون بأمرين:

الأول: أن يبرز في صورة ممتنعة الوجود عادة كما في تشبيه فحم سرت فيه النار ببحر من المسك، موجه الذهب. فإن صورة البحر المذكور عزيزة الوجود "كما ترى" فإذا أبرز المشبه المبتذل الذي لا يؤبه له لتفاهته "كالفحم المذكور" في صورة شيء نفيس ممتنع "كالصورة المذكورة للبحر" تخيله السامع طريفًا بديعًا.

الثاني: أن يشبه بشيء يندر حضوره في الذهن عند حضور المشبه؛ لما بينهما من بعد المناسبة، كقول عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها[1]

فصورة القلم عليه أثر المداد قلما تخطر بالبال عند تصور قرن الغزال، فقد أراد الشاعر عناقًا

بين متباعدين، وتآلفًا بين مختلفين، ومن هنا جاء الاستطراف. ومثله ما تقدم لك في تشبيه أزهار البنفسج فوق سيقانها بالنار في أطراف الكبريت، حيث أراك شبها لنبات غض وأوراق رطبة بلهب نار في جسم استولى عليه اليبس، ومبنى للطباع على أن الشيء إذا ظهر في مكان لم يعهد ظهوره فيه كانت صبابة النفس به أكثر، وكان الشغف به والميل إليه أجدر.

ولا يشترط لتحقيق هذا الغرض ما اشترط في غيره، من كون المشبه به أشهر وأتم في وجه الشبه من المشبه، بل كلما كان المشبه به أندر، وأخفى كان التشبيه لتأدية هذا الغرض أتم وأوفى.

---

١ "تزجي": تسوق، و"الأغن": غزال في صوته غنة، و"روقه": قرنه، و"إبرة": طرف القرن، و"المداد": الحبر، و"الدواة": المحبرة.

الأغراض التي تعود على المشبه، وهي اثنان:

الأول: إيهام المتكلم المخاطب أن المشبه أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه به، وذلك كما في التشبيه المقلوب أو المعكوس، وهو أن يجعل فيه الناقص مشبهًا به قصدًا إلى ادعاء أنه أكمل من المشبه به الأصلي مبالغة، كقول محمد بن وهيب يمدح المأمون الخليفة العباسي:

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح١

يريد الشاعر أن يشبه وجه الخليفة بغرة الصباح في الضياء والإشراق، جاعلًا وجه الخليفة مشبهًا به، وغرة الصباح مشبهًا، قاصدًا إيهام أن وجه الخليفة أتم وأكمل في الإشراق من غرة الصبح مبالغة.

وإنما قيد الشاعر إشراق وجه الخليفة بوقت الامتداح؛ ليدل على أمرين:

أحدهما: اتصاف الممدوح بحسن قبوله للمدح الدال على تقديره للمادح وتعظيمه له، ولو كان غير قابل للمدح لعبس في وجهه، وتجهم له.

ثانيهما: اتصافه بالكرم، إذ الكريم هو الذي يتهلل وجهه، وتنبسط أساريره للمدح، ولو كان لئيمًا ضنينًا لقطب جبينه وأشاح بوجهه. ونظيره قول البحتري يصف بركة المتوكل:

كأنها حين لجت في تدفقها ... يد الخليفة لما سال واديها

فقد أراد البحتري أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقًا بالعطاء من البركة بالماء، فعكس التشبيه كما ترى.

الثاني: بيان اهتمام المتكلم بالمشبه به، كأن يشبه الجائع وجه حبيبته بالرغيف في الاستدارة، والاستلذاذ به؛ ليدل بهذا التشبيه على اهتمامه بالرغيف، وأنه لشدة سغبه لا يغيب عن خاطره ويسمى هذا التشبيه "إظهار المطلوب" ولا بد في مثل هذا من قرينة تدل قصد المتكلم،

والقرينة هنا عدوله عن تشبيه الوجه بما يناسبه إلى التشبيه بغير المناسب، كما في المثال المذكور.

---

١ المراد بالغرة هنا الصباح، فالإضافة بيانية، وأصل الغرة بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، وقد استعير للإشراق.

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: مقبول، ومردود، وهاكهما:

فالمقبول: ما كان وافيًا بالغرض الذي سيق لأجله التشبيه.

فإن كان الغرض بيان حال المشبه وجب أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب من قبل؛ لئلا يؤدي إلى التشبيه بالمجهول. وإن كان الغرض بيان مقداره وجب أن يكون المشبه به على حد المشبه في وجه الشبه لا أقل ولا أكثر. وإن كان الغرض بيان إمكانه وجب أن يكون وجه الشبه مسلم الوقوع في المشبه به. وإن كان الغرض تقريره وجب أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه. وإن كان الغرض تزيينه أو تقبيحه، وجب أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه أيضًا. وإن كان الغرض استطرافه وجب أن يكون المشبه به غريبًا في بابه، أو بعيد التصور، وقد تقدمت أمثلة كل هذا، فلا داعي لإعادتها.

والمردود: ما لم يكن وافيًا بالغرض المسوق له التشبيه.

ففي بيان الحال: أن يكون المشبه به مجهول الصفة للمخاطب، كأن تشبه له ثوبًا في لونه بآخر لا يعرف لونه أصلًا.

وفي بيان المقدار: أن يكون المشبه به أقل أو أكثر من المشبه في وجه الشبه، كأن تشبه له ثوبًا أبيض بآخر أقل أو أكثر منه بياضًا.

وفي بيان الإمكان: أن يكون وجه الشبه غير مسلم الوجود في المشبه، كأن أشبه رجلًا فاق جنسه لميزة فيه بآخر جنسه كلك.

وفي التقرير: ألا يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه، كأن تشبه من لم يحصل من سعيه على فائدة بمن ينقش على حجر، أو بساعٍ آخر لم يحصل من سعيه على نتيجة.

وفي تزيينه أو تقبيحه: ألا يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه، كأن تشبه وجهًا أسود بالفحم مريدًا تحسينه، أو أن تشبه إنسانًا يتكلم بحسناء تبتسم مريدًا تقبيحه.

وفي الاستطراف: ألا يكون المشبه به غريبًا في بابه، أو بعيد التصور في الذهن، كأن تشبه فحما تتخلله نار بقطع من حديد في أثنائها لهب، أو أن تشبه أزهار البنفسج بما يماثلها من الأزهار، فليس المشبه به غريبًا في الأول ولا بعيد التصور في الثاني.

تمرين:

١- ما هي أداة التشبيه؟ مثل لنوعين منها في جملتين من عندك، مبينًا أركان التشبيه فيهما.

٢- اذكر الفرق بين "الكاف وكأن" ومثل لما تقول من إنشائك.

٣- هل قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} الآية من قبيل ما ولي فيه الكاف المشبه فيه؟ ومن أي قبيل قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ} الآية، ونحو قولهم: محمد يماثل الأسد؟ وضح ما تقول وضوحًا تامًّا.

٤- عرف كلا من التشبيه المرسل والمؤكد، مع بيان نوع التشبيه في قولهم: صوته مزمار داود، مع بيان علة التسمية في كليهما.

٥- متى يكون التشبيه لبيان الإمكان؟ وبم يتحقق؟ مثل لما تقول.

٦- بم يكون التشبيه مردودًا غير مقبول؟ بين ذلك في مثال من عندك.

٧- بين أركان التشبيه في الأبيات الآتية:

١-

والشمس بين الأرائك قد حكت ... سيفًا صقيلًا في يد رعشاء

٢-

كأن على قلبي قطاة تذكرت ... على ظمأ وردًا فهزت جناحها[١]

٣-

يجود بالوعد ولكنه ... يدهن من قارورة فارغة

٤-

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

---

[١] القطاة: طائر خفيف الحركة، والورد بكسر الواو: الإشراف على الماء.

٥-

وكأن الجو ميدان وغى ... رفعت فيه المذاكي رهجا[١]

٦-

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملًا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

٧-

جمال الوجه مع قبح النفوس ... كقنديل على قبر المجوسي

٨-

وإنما الحقد كمثل النار ... كامنة في باطن الأحجار

٩-

وما كمد الحساد شيئًا قصدته ... ولكنه من يزحم البحر يغرق

١٠-

هو السيف إن لاينته لان متنه ... وحداه إن خاشنته خشنان

٨- بين طرفي التشبيه ووجهه ونوعه باعتبار الأداة، والغرض منه فيما يأتي:

١-

الخل كالماء يبدي لي ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

٢-

وصبغ شقائق النعمان يحكي ... يواقيتا نظمن على اقتران[2]

٣-

كأن سواد الليل والفجر ضاحك ... يلوح ويختفي أسود يتبسم

٤-

أنا الذهب الإبريز ما لي آفة ... سوى نقص تمييز المعاند في نقدي[3]

٥-

والنفس كالطفل إن تهمله شَبَّ على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

٦-

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي ... فكأن القتال قبل التلاقي

٧-

كريشة في مهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

٨-

وكأنما المريخ بين نجومه ... ياقوتة في لؤلؤ متبدد[4]

٩-

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإن في الخمر معنى ليس في العنب

---

١ "المذاكي": الخيل، و"الرهج" بفتح الراء والهاء: الغبار.

٢ "الصبغ": اللون، و"شقائق النعمان": زهر أحمر يشوبه نقط سود، و"اليواقيت" جمع ياقوت: جوهر نفيس صلب شفاف مختلف الألوان مفرده ياقوتة، و"نظمن" بمعنى اجتمعن في سلك واحد، و"الاقتران" بمعنى المقارنة والمماثلة.

٣ "الإبريز": الخالص، و"الآفة": العاهة.

٤ المريخ: نجم، والمتبدد: المتفرق.

الجواب على السؤال السابع:

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين أركان التشبيه فيما يأتي:

وكأن دجلة إذ تلاطم موجه ... ملك يعظم خيفة ويبجل[1]

رضاك شباب لا يليه مشيب ... وسخطك داء لا يعيه طبيب

كأنك من كل النفوس مركب ... فأنت إلى كل النفوس حبيب

إذا الثريا اعترضت ... عند طلوع الفجر

حسبتها لامعة ... سبيكة من ذهب[2]

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرًا يكون كصالح الأعمال

---

١ "دجلة" بفتح الدال وكسرها: نهر ببغداد.

٢ "السبيكة": قطعة من الذهب المذاب.

والنقع ليل سماء لا نجوم له ... إلا الأسنة والهندية البتر[1]

ركبوا على سنن الوفا ودموعهم ... بحر وشدة شوقهم ملاح[2]

وإني جواد لم يحل لجامه ... ونصل يمان أغفلته الصياقل[3]

---

١ "النقع": الغبار، و"الأسنة" جمع: سنان، وهو نصل الرمح، و"الهندية": السيوف، و"البتر" جمع: أبتر، وهو القاطع.

٢ سنن الوفا: طريقه، وهو مقصور "وفاء"، و"الملاح": متعهد النهر.

٣ الجواد: الفرس تجود في سيرها أي: تسرع، و"يحل" من التحلية وهي الزخرفة، و"النصل": حد السيف، و"يمان": نسبة إلى اليمن أي: من صنع أهلها، و"الصياقل": هم الذين يجلون السيوف ويزيلون ما عليها من الصدأ.

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين أركان التشبيه ونوعه والغرض منه فيما يأتي:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} ، {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} . هو كالفراشة. العلماء في الأرض كالكواكب في السماء. النحو في الكلام كالملح في الطعام. الحياة كسحابة الصيف. سكبت عيناي غيث الدموع.

تزدحم الناس على بابه ... والمنهل العذب كثير الزحام

كأن المعلم بين التلاميذ ملك بين الرعية. المشتغل بما لا طائل تحته كالراقم على الهواء. نزل بساحتنا كأنه مطر الربيع. {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ} . لئن أَكُ أسود، فالمسك لوني.

ظهور العدل يمحو كل شر ... إذا جاء الصباح مضى الظلام

كأنك قائم فيهم خطيبًا ... وكلهم قيام للصلاة

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والورد في أعلى الغصون كأنه ... ملك تحف به سراة جنوده

وانظر لنرجسه الجني كأنه ... طرف تنبه بعد طول هجوده

كأنما النهر صفحة كتبت ... أسطرها والنسيم منشئها

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

وحديقة غناء تنتظم الندى ... بفروعها كالدر في الأسلاك

فصل في بيان مراتب التشبيه:

التشبيه مراتب ثلاث، تتفاوت بحسبها قوة وضعفا، وهاك بيانها:

فالأولى وهي عليا المراتب: ما ترك فيها ذكر الوجه والأداة جميعًا، كما نقول: محمد أسد، فهذا التشبيه يفيد من قوة المبالغة ما لا يفيد غيره.

وجه ذلك: أنه مشتمل على معنى الاتحاد بين الطرفين من وجهين:

١- أن ترك الوجه يفيد بحسب الظاهر١ عموم جهة الإلحاق، أي: إن المشبه وهو "محمد" في المثال المذكور يماثل المشبه به وهو "الأسد" في جميع صفاته من القوة، والجرأة، والمهابة، والضخامة، وما إلى ذلك من أوصاف هذا الحيوان، إذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض عند ترك الوجه وهذا يقوي دعوى الاتحاد بين الطرفين، بخلاف ما لو ذكر الوجه لفظًا أو تقديرًا، فقيل: محمد أسد في الجرأة، أو محمد أسد على تقدير "في الجرأة"، فإنه يفيد أن "محمدًا" يماثل الأسد في وصف الجرأة فقط، لا في سائر صفاته؛ فتضعف بذلك دعوى الاتحاد.

٢- أن ترك الأداة يفيد بحسب الظاهر٢ أيضًا: أن المشبه به في المثال المذكور محمول على المشبه، والحمل يقتضي اتحادهما معنى، أي: أن يكون المشبه هو بعينه المشبه به، وليس شيئًا سواه وإلا ما صح الحمل فيهما لامتناع حمل أحد المتباينين على الآخر، بخلاف ما لو ذكرت الأداة لفظًا أو تقديرًا فقيل: محمد كالأسد، أو محمد أسد، على تقدير الكاف، فإنه يفيد أن المشبه غير المشبه به، وهذا يضعف دعوى الاتحاد بينهما.

فترك الوجه والأداة إذًا يفيد معنى اتحاد الطرفين من جهتين، كما بينا؛ لهذا كان التشبيه عند تركهما٣ في المرتبة الأولى.

والثانية وهي الوسطى: ما ترك فيها ذكر أحدهما -الوجه أو الأداة- كما تقول: محمد كالأسد، أو محمد أسد في الجرأة، وإنما كان التشبيه في هاتين الصورتين في المرتبة الوسطى لاشتماله على معنى اتحاد الطرفين من جهة واحدة أي: من جهة عموم الإلحاق كما في صورة ترك الوجه، أو من جهة

---

١ إنما كانت إفادته العموم بحسب الظاهر؛ لأن الوجه في الحقيقة وصف خاص قصد اشتراك الطرفين فيه "كالجرأة" مثلًا كما سبق بيانه.

٢ إنما كان الحمل ظاهرًا أيضًا؛ لأنه لا حمل في الحقيقة، وإنما هو تشبيه أحدهما بالآخر.

٣ إنما عبرنا بالترك في جانب حذف الوجه والأداة؛ لأن معناه عدم الذكر لفظًا وتقديرًا، وهذا هو المراد؛ لأن مدار المبالغة على دعوى الاتحاد، وهي لا تجامع التقدير في نظم الكلام.

حمل أحد الطرفين على الآخر، كما في صورة ترك الأداة.

والثالثة وهي المرتبة الأخيرة: ما ذكر فيها الوجه والأداة جميعًا "عكس الأولى" كما تقول: محمد كالأسد في الجرأة، وإنما كانت هذه المرتبة دنيا المراتب الثلاث؛ لخلو التشبيه فيها عن دعوى الاتحاد التي هي مدار المبالغة فيه.

تنبيهان:

الأول: أن وصف التشبيه بالعلو، والتوسط، والانحطاط فرع من تحققه، وهو إنما يتحقق بالطرفين: المشبه والمشبه به، فلا بد إذًا من ذكرهما. أما المشبه به؛ فلأنه الأصل المقيس عليه، وأما المشبه فلأنه المقيس، غير أنه يجوز حذف المشبه لفظًا فقط إذا دلت عليه قرينة، كأن يكون بينك وبين مخاطبك مذاكرة في شأن "محمد" مثلًا، فتقول له: ما حال محمد؟ فيقول لك: "أسد" على تقدير "محمد أسد"، فتحذف المشبه لدلالة الكلام السابق عليه، لكن لا بد من تقديره في نظم الكلام، وإلا كان استعارة لا تشبيهًا.

الثاني: إن إطلاق وصف البليغ على التشبيه الذي حذفت منه الأداة طريقة لبعضهم، وذهب آخرون إلى أن التشبيه البليغ هو ما كان بعيدًا غريبًا، ذكرت الأداة فيه أو لم تذكر كما سبق في تشبيه الهيئات المنتزعة من أمور متعددة لما هو مركوز في الطباع من أن الشيء الذي ينال بعد مشقة، وعناء يكون وقعه في النفس أحلى وألطف، والنفس به أضن وأشغف، حتى قال بعض الأدباء: ما أشبه هذا الضرب من التشبيه بالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، أو

بالحبيب المتحجب لا يريك وجهه حتى تستأذن، وقديمًا قال الشاعر العربي:

وزاده كلفًا في الحب أن منعت ... وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

خاتمة:

تقدم: أن المشبه به ينبغي أن يكون أعرف بوجه الشبه من المشبه، أو أتم وأقوى منه فيه حقيقة، إذا عاد الغرض على المشبه، أو ادعاء إذا عاد على المشبه به كما سبق تفصيله.

ومتى كان الأمر كذلك جيء بصيغة التشبيه المعروفة؛ إشعارًا بهذا التفاوت، ودلالة على أن أحدهما ناقص. والآخر كامل كما تقول: هذا الشيء كهذا الشيء، أو مثله، أو شبهه، أو يحاكيه، أو يماثله، أو كأنه هو، أو غير ذلك من أنواع صيغة التشبيه الدالة وضعًا على أن بين الشيئين تفاوتًا.

فإذا أريد مجرد الجمع بين الشيئين في أمر من غير قصد إلى تمييز أحدهما -سواء وجد تفاوت بينهما أو لا- فالأفضل العدول عن صيغ التشبيه المذكورة إلى التعبير بصيغة التشابه أو ما يماثلها؛ احترازًا عن ترجيح أحد المتساويين الذي هو غير مقصود، كما تقول: تشابه محمد والأسد، وتماثل وجهه والبدر، وتحاكى نواله والغيث، ونحو ذلك من كل فعل لا مفعول له؛ للإشعار بأن ليس بين الطرفين تفاوت. ومنه قول إسحاق الصابي[1]:

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فوالله ما أدري: أبالخمر أسبلت ... دموعي أم من عبرتي كنت أشرب[2]

خيل للشاعر من شدة ما يعانيه من ألم الجوى، أنه يبكي بدل الدمع دمًا، فشبه دمعه الهاطل على خده بما في كأسه من خمر في الحمرة، غير أنه بالغ في التشبيه فزعم: أن الدمع والخمر تساويا في وجه الشبه، بحيث لا يفضل أحدهما الآخر فيه، حتى أشكل عليه الأمر، فلم يعرف أكان يشرب من دمعه، أو من خمره؛ لهذا عدل عن التعبير بصيغة التشبيه الدالة على التفاوت إلى صيغة التشابه المفيدة لمعنى التساوي الذي أراده. ونظير قول الصابي قول الصاحب:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر[3]

ويجوز في هذه الحالة أيضًا الإتيان بصيغة التشبيه رغم ادعاء التساوي بين الطرفين لغرض ما، كأن يكون أحدهما موضع حديث المتكلم، أو محل اهتمامه،

---

١ هو إبراهيم الصابي اليهودي، كان يحفظ القرآن جيدًا، ولم يشرح الله صدره بالإسلام كما هداه لمحاسن الكلام.

٢ المدامة: الخمر، وأسبلت العين: هطلت وسالت، والعبرة بفتح العين: الدمع وهو المراد،

وبالكسر بمعنى الاعتبار.

٣ "كأن" هنا للشك لا للتشبيه، وذلك أمارة التساوي، والقدح: الكأس.

فيجريه على لسانه أولًا، ويجعله حينئذ مشبهًا، فإذا كان يتحدث مثلًا عن الليل يتألق فيه بياض الصبح، صح أن يشبه ذلك بجواد أدهم ذي غرة، كما في قول الشاعر العربي:

والصبح في طرة ليل مسفر ... كأنه غرة مهر أشقر ١

وإذا شغف بحب فرسه الدهماء، ذات الغرة البيضاء، جاز أن يشبه ذلك بظلمة الليل ينشق عن وجه الصباح، كقول الشاعر:

وجهه صبح ولكن ... سائر الجسم ظلام

فالشاعر في كلا الحالين إنما يرمي إلى ما في الطرفين من مجرد ظهور بياض في سواد أكثر منه، من غير قصد إلى قوة أو ضعف. غير أن الأفضل "كما قلنا" هو التعبير بصيغة التشابه؛ لأنها أدل على المراد وأصرح في معنى التساوي بين الطرفين.

---

١ طرة كل شيء: طرفه، يريد آخر الليل، والأشقر من الخيل: الأحمر المشوب بسواد.

الاختلاف في صيغة التشبيه:

اختلف الرأي في صيغة التشبيه: أهي من قبيل الحقيقة، أم من قبيل المجاز؟ فالرأي الأول –وهو الراجح– أنها من قبيل الحقيقة؛ ذلك أن كلا من المشبه والمشبه به مستعمل في معناه الذي وضع له، "فمحمد" في نحو: "محمد كالبدر" مستعمل في الذات المعروفة، كما أن "البدر" مستعمل في الجرم المعروف.

وقيل: هي من قبيل المجاز؛ لأن المعنى المراد من قولنا: محمد كالبدر، أنه تناهى في الحسن حتى بلغ مستوى البدر فيه، وهذا المعنى غير ما وضع له التركيب؛ إذ إن معناه المفهوم منه وضعًا: أن "محمدًا" قريب في الحسن من البدر، ولم يبلغ فيه مبلغه.

مبحث الحقيقة والمجاز

مدخل

...

المبحث الرابع: في الحقيقة والمجاز

تقدم أن قلنا: إن اللفظ المستعمل نوعان:

١– نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أي تصرف، بل يبقى على أصل وضعه، ويسمى عندهم حقيقة ٢– نوع يتصرف فيه عند الاستعمال، ويسمى عندهم "مجازا". والحقيقة إما أن تكون

في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن تكون في ذات؛ فإن كانت الحقيقة في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى ما حقه أن يسند إليه سميت "حقيقة عقلية"[1] كإسناد الإنضاج إلى الله في قولك: "أنضج الله الثمر" أو إلى ضميره في نحو: "إن الله منضج الثمر" فلفظ "أنضج" أو "منضج" لم يتصرف فيه بشيء، بل أسند إلى ما حقه أن يسند إليه، وهو الله تعالى في الأول، وضميره في الثاني. وإذًا تكون:

الحقيقة العقلية: هي إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى شيء بني الفعل، أو ما يدل على معناه له[2] في اعتقاد المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله. والمراد بالشيء: خصوص الفاعل أو نائب الفاعل، ظاهرًا كان أو ضميرًا.

فمثال إسناد الفعل إلى الفاعل ما تقدم من قولك: أنضج الله الثمر، فقد أسند الفعل وهو "أنضج" مبنيا للمعلوم إلى شيء هو "الله تعالى" والفعل على هذه الصورة مبني وموضوع لأن يسند إلى الله تعالى في اعتقاد المتكلم في ظاهر حاله، إذ ظاهر من حاله أنه مؤمن، يسند الأشياء إلى الله سبحانه لأنه لم ينصب قرينه على أنه غير مؤمن، يضيف الأشياء إلى غير الله.

ومثال إسناد الفعل إلى نائب الفاعل قولك: "أنضج الثمر" بالبناء للمجهول، فقد أسند الفعل وهو "أنضج" مبنيًّا للمجهول إلى شيء هو "الثمر" والفعل على هذه الصورة مبني لأن يسند إلى "الثمر"؛ لأنه المفعول الواقع عليه الإنضاج.

ومثال إسناد ما يدل على معنى الفعل قولك: جاء النابه ذكره، المحمود طبعه، الجميل صنعه "فالنابه" اسم فاعل مسند إلى "ذكره" و"المحمود" اسم مفعول مسند إلى "طبعه" و"الجميل" صفة مشبهة مسندة إلى "صنعه" وكلها دالة على معنى للفعل، ومسندة إلى ما حقها أن تسند إليه.

---

[1] إنما سميت كذلك؛ لأن إسناد الشيء إلى غيره حكم عقلي.

[2] المراد بالفعل: ما اصطلح عليه النحاة، وهو ما دل على حدث مقرون بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد بما يدل على معناه: المصدر وسائر المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وغير ذلك.

أقسام الحقيقة العقلية:

تنقسم الحقيقة العقلية إلى أربعة أقسام:

الأول: ما طابق الواقع والاعتقاد، كقول المؤمن: "أنبت الله الزرع" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم مؤمن، ينسب الآثار كلها لله، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حال المتكلم أنه مؤمن، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في يقينه واعتقاده.

الثاني: ما طابق في الواقع فقط، كقول الكافر وهو يخفي حاله عن المخاطب: "شفى الله المريض" فالظاهر من حال المتكلم أنه مؤمن يعتقد ما يقوله، إذ إنه لم ينصب قرينة على أنه كافر، بل ستر حاله وأخفاها.

الثالث: ما طابق الاعتقاد فقط، كقول الكافر: "أنبت الغيث الشجر" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم كافر، يضيف الإنبات إلى الغيث، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حاله حينئذ أنه كافر يعتقد ما يقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقاده.

الرابع: ما لم يطابق الواقع، ولا الاعتقاد، كقولك كذبًا: "زارني محمد" وأنت وحدك، دون المخاطب تعلم أنه لم يزرك، فالمفهوم من ظاهر حالك حينئذ أنك صادق فيما تقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقادك.

فكل هذه الأقسام الأربعة من قبيل الحقيقة العقلية؛ لأن الفعل أسند في جميعها إلى ما حقه أن يسند إليه عند المتكلم في ظاهر حاله.

وإن كانت الحقيقة في ذات اللفظ سميت "حقيقة لغوية" نسبة إلى اللغة، كلفظ "أسد" المستعمل في الحيوان المفترس في قولك: "رأيت أسدًا في غابة" فلفظ "أسد" لم يتصرف فيه بشيء، بل استعمل في معناه الأصلي. وإذًا تكون الحقيقة اللغوية: هي الكلمة المستعملة في المعنى الذي وضعت له[1]، وهي تسمى بأسماء

---

[1] الوضع: تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه، لا بقرينة تنضم إليه ليخرج المجاز، فإن دلالة اللفظ فيه بواسطة القرينة، ودخل المشترك لأنه معين للدلالة على كل من معنييه أو معانيه بنفسه، فالعين وضعت تارة للدلالة على الجارية وأخرى للدلالة على الباصرة وهكذا، وعدم فهم إرادة أحد معنييه أو معانيه الوضعية لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك.

تختلف باختلاف الواضع.

فإن كان الواضع من أرباب اللغة الفصحاء، سميت "حقيقة لغوية" فقط، كلفظ "الأسد" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة "وهو الحيوان المفترس".

وإن كان الواضع من أهل الشرع، سميت "حقيقة لغوية شرعية" كلفظ "الصلاة" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة الشرعيون "وهو الأفعال والأقوال الخاصة".

وإن كان الواضع طائفة خاصة "كالنحاة" مثلًا، سميت "حقيقة لغوية اصطلاحية، أو عرفية خاصة" كالفاعل المستعمل في المعنى الذي وضعه له علماء اللغة النحاة، وهو الاسم المرفوع بعد فعل مبني للمعلوم أو شبهه.

وإن كان الواضع غير طائفة بعينها، سميت "حقيقة لغوية عرفية عامة" كلفظ "دابة" المستعمل

في المعنى الذي تواضع عليه الناس وتعارفوه، وهو ذات الأربع من الدواب كالحمار، والفرس.

تمرين:

١- عرف الحقيقة العقلية، واذكر لها مثالين من عندك؛ أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعناه، وبين هل إسناد "منبت" إلى "الله" في قول المؤمن: الله منبت الزرع، من قبيل الحقيقة العقلية؟ وَجِّه ما تقول.

٢- اذكر أقسام الحقيقة العقلية، ومثل لكل قسم مع الإيضاح التام.

٣- بين ما طابق الواقع والاعتقاد، وما طابق أحدهما، وما لم يطابق واحدًا منهما فيما يأتي:

١- قال كافر: قوس ظهري الزمان، وشيبتني الهموم والأحزان، لمن يعلم أنه كافر أو لمن يجهل حاله.

٢- قال مؤمن: أذوى الله الزهر، لمن يعلم أنه مؤمن، أو لمن يجهل حاله.

٣- قال كافر: أشاب الله لمتي، لمن يخفى عنه حاله.

٤- قال رجل وهو يكذب: لقيني أخوك اليوم، لمن لا يعلم أنه كاذب.

٥- بين فيما يأتي نوع الحقيقة:

١- "الزكاة" لمقدار من المال يعطى للفقير.

٢- "المفعول" لاسم منصوب بعد فعل.

٣- "الطائر" لذي المنقار من ذوات الجناح.

٤- الدابة لكل ما يدبّ على وجه الأرض.

٥- "الفاعل" لمن وقع منه الفعل.

٦- "الخبر" الركن الثاني من الإسناد الخبري.

والمجاز:

إما أن يكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون في ذات اللفظ؛ فإن كان المجاز في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمي مجازًا عقليًّا[1] أو "إسنادًا مجازيًّا" كإسناد "أنضج" في المثال المتقدم إلى "الربيع" في قول المؤمن لمخاطب يعلم إيمانه: أنضج الربيع الثمر، والأصل: أنضج الله الثمر وقت الربيع "فالله" هو المسند إليه الحقيقي "لأنضج" وقد تصرف في "أنضج" بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه وهو "الربيع" فالربيع إذًا مسند إليه مجازي. ومثل الفعل في ذلك الوصف في نحو قولك: "الربيع منضج[2] الثمر، ولا بد لذلك من علاقة بين المسند إليه الحقيقي والمجازي، كما لا بد من قرينة دالة على التجوز كما سيأتي بيانه. وإذًا يكون:

---

١ سمي بذلك؛ لأن التصرف واقع في الإسناد، وهو أمر عقلي.
٢ أي: بإسناده إلى ضمير الربيع.

المجاز العقلي:

إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أي: على حقيقته.

وذلك كإسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول في قولك: رضيت عيشته، فقولك: "رضيت" فعل مبني للفاعل وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو صاحب العيشة، فيقال مثلًا: رضي محمد عيشته، لكنه أسند إلى المفعول الذي هو "العيشة" إسنادًا مجازيًّا؛ للمشابهة بين "العيشة" و"محمد" في تعلق الفعل بهما. فتعلقه "بمحمد" من حيث صدوره منه، وتعلقه "بالعيشة" من حيث وقوعه عليها "فالعيشة" حينئذ مسند إليه مجازي. ومنه قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير "العيشة" إسنادا مجازيا، من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل في قولك: "غمر السيل" فقولك: "غمر" فعل مبني للمجهول، وكان حقه أن يسند إلى المفعول الحقيقي الذي هو "الوادي" فيقال: غمر الوادي، لكنه أسند إلى الفاعل الذي هو "السيل" إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "السيل والوادي" في تعلق الفعل بهما، أما تعلقه "بالوادي" فمن حيث وقوعه عليه، وأما تعلقه "بالسيل" فمن حيث صدوره منه، فالسيل حينئذ مسند إليه مجازي. ومنه قولهم: "سيل مفعم" بفتح العين، بالبناء للمجهول بمعنى "مغمور" فقد أسند فيه اسم المفعول إلى ضمير "السيل" إسنادًا مجازيًّا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى المصدر في قولك: "جد جده" وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "الإنسان" فيقال: جد الإنسان جدا، لكنه أسند إلى المصدر إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين المصدر والفاعل الحقيقي في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالمصدر من حيث إنه جزء مفهومه، وتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه، فالمصدر إذًا مسند إليه مجازي.

وكإسناد الفعل إلى ظرف الزمان في قولك: "صام نهاره" برفع "نهاره" على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي، فيقال: صام محمد في نهاره، لكنه أسند إلى الطرف الذي هو "النهار" إسنادًا مجازيًّا؛ للمشابهة بين "محمد والظرف" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه "بمحمد" من حيث صدوره منه وتعلقه "بالنهار" من حيث وقوعه فيه. فالظرف حينئذ مسند إليه مجازي، ومنه قولهم: نهاره صائم، وليله قائم فقد أسند فيهما اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو "النهار" في المثال الأول

و"الليل" في المثال الثاني إسنادًا مجازيًّا، من إسناد ما هو بمعنى الفاعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى ظرف المكان في قولك: جرى النهر برفع "النهر" على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "الماء" فيقال: جرى الماء في النهر، لكنه أسند إلى الظرف الذي هو "النهر" أي: مجرى الماء إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "النهر والماء" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالماء من حيث صدوره منه، وتعلقه بالنهر من حيث وقوعه فيه، فالظرف حينئذ مسند إليه مجازي. ومنه قولهم: نهر جارٍ، فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو "النهر" إسنادًا مجازيًّا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى السبب في قولك: "بنى الأمير القصر" وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "العملة" إذ هم البانون حقيقة، فيقال: بنى العملة القصر بأمر الأمير، لكنه أسند إلى السبب الباعث الذي هو "الأمير" إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "الأمير والعملة" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه "بالأمير" من حيث إنه سبب في البناء، وتعلقه "بالعملة" من حيث صدوره منهم، فالأمير إذًا مسند إليه مجازي، ومنه قوله تعالى: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا} فقد أسند فيه الفعل إلى ضمير {هَامَانُ} إسنادًا مجازيًّا من إسناد الفعل إلى السبب وهكذا. ومما تقدم تعلم أن:

علاقة المجاز العقلي:

هي مشابهة المسند إليه المجازي للمسند إليه الحقيقي في تعلق الفعل بكل منهما، وإن اختلفت جهة التعلق كما عرفت مما سردناه عليك من الأمثلة.

وقرينة المجاز العقلي:

هي الأمر الصارف عن أن يكون الإسناد على حقيقته؛ لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة، بمعنى أن ظاهر الكلام بغض النظر عن القرينة يفيد أن الفعل، أو ما في معناه مسند إلى ما حقه أن يسند إليه.

والقرينة نوعان: لفظية، ومعنوية:

فاللفظية: هي لفظ يذكر في الكلام يصرفه عن حقيقته، وبدل على التجوز في الإسناد كما تقول: "هزم الأمير خصمه وهو في قصره" فهو "كما ترى" إسناد الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه؛ لأن الأمير لم يفعل شيئًا، والذي سوغ إسناد الهزيمة إليه أنه سبب فيها، والقرينة الدالة على هذا التجوز قولك: "وهو في قصره" إذ دل على أن الهازم غير الأمير.

والمعنوية: شيء خارج عن اللفظ، يصرف الكلام عن حقيقته، ويدل على التجوز في الإسناد، وذلك أحد أمرين:

الأول: أن يكون قيام المسند بالمسند إليه مستحيلًا عقلًا، أو عادة. فمثال المستحيل عقلًا قولهم: "محبتك جاءت بي إليك" فإسناد المجيء إلى ضمير المحبة مجاز عقلي أسند فيه الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه، والذي سوغ هذا الإسناد أن المحبة سبب في المجيء، وقرينة المجاز استحالة قيام المجيء بالمحبة عقلًا. والمراد بالمستحيل عقلًا: ما كان مستحيلًا بالضرورة، وهو ما لو خلا العقل ونفسه لعده محالًا على البديهة كما في المثال المذكور. ومثله قولك: أقدمني بلدك، حق لي عليك. فالقرينة على التجوز في الإسناد استحالة قيام الإقدام بالحق عقلًا. ومثال المستحيل عادة قولهم: هزم القائد الجيش، فإسناد هزيمة الجيش إلى القائد مجاز عقلي، قرينته استحالة أن يهزم القائد الجيش وحده في العادة، وإن أمكن ذلك عقلًا.

الثاني: أن يكون الكلام صادرًا عن الموحد كأن يقول المؤمن: قوست ظهري أحداث الزمان، وأشابت رأسي نوائبه، فهذان الإسنادان من قبيل المجاز العقلي، أسند فيهما الفعلان إلى غير ما حقهما أن يسندا إليه بناء على أن أحداث الزمان ونوائبه سبب في التقويس والإشابة، وقرينة التجوز فيهما صدور هذا القول من مؤمن يرى أن الله تعالى مصدر الأفعال كلها.

وليس هذا مما استحالته عقلية حتى يكون داخلًا في الأمر الأول؛ إذ لم يجمع ذوو العقول على استحالة مثل هذا بدليل أن كثيرًا من العلماء ذهبوا إليه، وقالوا به، واحتجنا في الرد عليهم إلى الدليل.

فالقرينة في هذين الأمرين معنوية؛ إذ لم يكن في الكلام لفظ صريح يدل على التجوز في الإسناد.

وإن كان المجاز في ذات اللفظ بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، فإما أن يكون هذا اللفظ مفردًا، أو مركبًا.

المجاز المفرد:

هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له العلاقة بين المعنى الأول، والثاني مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول١.

والعلاقة فيه: هي المناسبة٢ بين المعنى الموضوع له باللفظ، والمعنى المقصود.

وقرينته: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له، مثال ذلك لفظ "الأسد" المستعمل في الرجل الجريء في قولك: رأيت أسدًا على فرس، وكلفظ "النبات" المستعمل في الماء في قولك: أمطرت السماء نباتًا، فكل من لفظي "الأسد والنبات" مجاز مفرد؛ لأنه كلمة مستعملة في غير المعنى الموضوع له، والعلاقة بين المعنيين "في الأول" مشابهة الرجل للأسد في الجرأة، "وفي الثاني" سببية الماء للنبات، والقرينة المانعة

من إرادة المعنى الحقيقي قولك في المثال الأول: "على فرس" إذ ليس ذلك من شأن الحيوان المفترس، والقرينة في الثاني قولك: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

تقسيم المجاز المفرد:

ينقسم المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين: استعارة، ومجاز مرسل، ولكل منهما مبحث خاص سيأتي فيما بعد.

فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمي اللفظ "استعارة" كما في لفظ "الأسد" المستعار للجريء في المثال الأول، وإن كانت العلاقة بينهما غير المشابهة سمي اللفظ "مجازًا مرسلًا" كما في لفظ "النبات" المستعمل في "الماء" في المثال الثاني، وإليك بيان القسم الأول.

---

١ بقيد "المستعملة" تخرج الكلمة قبل الاستعمال، فلا توصف بحقيقة ولا مجاز، وبقيد "في غير ما وضعت له" تخرج الحقيقة، وبقيد "العلاقة" يخرج الغلط اللساني كقولك: "هذا أسد" مشيرا إلى حجر؛ إذ لا علاقة بين الأسد والحجر، وبقيد "مانعة" تخرج الكناية، فإن قرينتها غير مانعة كما سيأتي. وهذا التعريف بالمعنى الاسمي هو المشهور، وقد تطلق على فعل المتكلم، فيقال: هي استعمال الكلمة ... إلخ.

٢ تكون بالمشابهة بين المعنيين كما في الاستعارة، وبغيرها كما في المجاز المرسل على ما سيأتي.

الاستعارة

مدخل

...

الاستعارة:

هي الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له كقولك: رأيت قمرًا يتكلم.

وطريقة إجرائها: أن يقال في هذا المثال وأشباهه: شبه الوجه الصبوح بالقمر في الإشراق ثم تنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل في جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به وهو "القمر" للمشبه وأطلق عليه كأنه موضوع له، باعتباره أحد أفراد القمر. وهكذا يقال في كل استعارة، أي: في كل كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة.

أركانها: هي كما يؤخذ من التعريف ثلاثة: "المستعار منه" وهو ذات المشبه به، و"المستعار له" وهو "ذات المشبه" و"المستعار" وهو اللفظ الموضوع في الأصل للمشبه به.

فإذا قيل: "رأيت أسدًا يرمي" فقد شبه الرجل الجريء بالأسد -على ما سبق- ثم استعير اسم

المشبه به للمشبه. فالمعنى المشبه به وهو "الحيوان المفترس" مستعار منه؛ لأن اللفظ الموضوع له وهو "أسد" أخذ منه وأعطي لغيره، فهو كالإنسان يستعار منه ثوبه لغيره، والمعنى المشبه وهو "ذات الرجل الجريء" مستعار له؛ لأن اللفظ الذي لغيره أعطي له فهو كالإنسان يستعار له الثوب من صاحبه، ولفظ "أسد" مستعار؛ لأنه أتي به من صاحبه، واستعير لغيره كاللباس المستعار من صاحبه للابسه، وثلاثتها هي أركان الاستعارة، والدعائم التي تقوم عليها[1].

---

[1] من هذا البيان يعلم أن التشبيه إنما يكون في المعاني، وأما الاستعارة ففي الألفاظ.

ما لا بد منه لتحقيقها:

يتبين مما تقدم في طريقة إجرائها أن لا بد لتحقيقها من أمور أربعة:

١- أن يتناسى التشبيه، ويجعل كأن لم يكن، ويدعى حينئذ أن المشبه فرد من أفراد المشبه به[1] مبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه، غير أن التشبيه الذي يجب تناسيه فيها هو الذي بنيت عليه الاستعارة، وإذًا فلا مانع من أن تقول: "رأيت أسدًا يتكلم مثل الفيل في الضخامة" فالذي بنيت عليه الاستعارة هو تشبيه الرجل بالأسد في الجرأة، وهذا هو الذي يجب تناسيه فيها، فتشبيهه بعد ذلك بالفيل لا يضر بالاستعارة لعدم بنائها عليه.

٢- ألا يذكر وجه الشبه، ولا أداته لا لفظًا ولا تقديرًا، فإن ذكرا، أو ذكر أحدهما كان الكلام تشبيهًا، لا استعارة كما تقول: محمد كأبي العلاء في شعره، أو محمد كأبي العلاء، أو محمد أبو العلاء في شعره.

٣- ألا يجمع فيها بين الطرفين أصلًا، أو يجمع بينهما على وجه لا يدل على التشبيه. فمثال الأول قولك: لقيت بحرًا يعظ الناس، وقولك: أظفار المنية نشبت بفلان، ففي الأول: شبه الواعظ بالبحر في الإفاضة، ثم استُعير لفظ المشبه به للمشبه فالمذكور هو لفظ المشبه به فقط، وهو لفظ بحر، وفي الثاني: شبهت المنية بالأسد في الاغتيال، ثم استعير تقديرًا لفظ "الأسد" للمنية، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو "الأظفار" على ما سيأتي، فالمذكور هو لفظ المشبه لا غير وهو "المنية". ومثال الثاني وهو ما جمع فيه بين الطرفين على وجه لا ينبئ عن التشبيه، قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر[2]

فلفظ "القمر" في الشطر الثاني من البيت استعارة؛ لأنه منقول من معناه الأصلي إلى "الإنسان الجميل" وقد جمع فيها بين الطرفين؛ المشبه وهو الضمير في "أزراره" والمشبه به وهو "القمر" ولكن على وجه لا يدل على التشبيه؛ لأن سياق الكلام إنما

١ ويقدر أن "الأسد في المثال السابق" موضوع لفردين، أحدهما متعارف وهو الحيوان المفترس، والآخر غير متعارف وهو الرجل الجريء.

٢ البلى من بلي الثوب، إذا فسد. والغلالة بكسر الغين: ثوب قصير ضيق الكمين كالقميص.

هو لإثبات فعل واقع على القمر لا لإثبات التشبيه؛ إذ هو مكنون في النفس، لا يدرك إلا بتأمل ونظر.

فإذا جمع بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه، ويدل عليه بألا يصح المعنى إلا بمراعاة التشبيه، كان الكلام تشبيهًا لا استعارة وذلك إذا كان المشبه به خبرًا عن المشبه، أو في حكم الخبر عنه كأن يقع حالًا منه، أو صفة له.

فمثال ما إذا كان خبرًا قولك: "خالد بن الوليد أسد" فقد جمع فيه بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه؛ لأن سياق الكلام "ظاهرًا" إنما هو لإثبات معنى "الأسد" لخالد، وهو يمتنع عن الحقيقة، فيحمل على أنه لإثبات شبه معنى الأسد لخالد، فيكون الإتيان "بالأسد" لإثبات هذا الشبه، ولأن حمل الأسد على "خالد" يقتضي اتحاد المحمول والمحمول عليه في المعنى ليصح الحمل، واتحادهما ممتنع لتباين المفهومين، فتعين الحمل على التشبيه بتقدير أداته فهلذين السببين كان جديرًا أن يسمى تشبيهًا، لا استعارة.

ومثال ما في حكم الخبر قولك: كَرَّ خالد على الأعداء أسدًا، ومررت برجل أسد، جمع فيهما بين الطرفين على وجه يدل على التشبيه للسببين المتقدمين، فكان الكلام فيهما تشبيهًا.

٤- أن يكون المشبه به كليًّا حقيقة، أو تأويلًا، حتى يتأتى ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده.

فالكلي الحقيقي كاسم الجنس في مثل "الأسد" فإن معناه كلي، يصدق على كثيرين، فيصح حينئذ جعله استعارة للرجل الجريء، باعتباره داخلا في جنس الأسد ادعاء، وفردًا من أفراده.

والكلي التأويلي كعلم الشخص الذي اشتهر بوصف، بحيث إذا أطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف، وصار العلم كأنه موضوع للذات المستلزمة لذلك الوصف "كحاتم" علمًا على الطائي المعروف[١]، فإنه اشتهر بالجود وذاع صيته فيه حتى صار إذا أطلق لفظ "حاتم" فهم منه

١ هو عبد الله بن سعد، المضروب به المثل في السماحة والسخاء.

فإذا شبه شخص بحاتم في الجود، وأريد استعارته وجب أن يتأول في حاتم، فيجعل كأنه موضوع لذي الجود وهو "كما ترى" معنى كلي، فيصح حينئذ فردًا من أفراد "حاتم" ادعاء، فيقال مثلًا: رأيت اليوم "حاتمًا" ويراد محمد الكريم. وهكذا كل علم شخص اشتهر بنوع من

الوصف صح جعله استعارة بهذا التأويل المتقدم ك"مادر ١" المشتهر بالبخل و"قس٢" المشتهر بالفصاحة و"باقل٣" المشتهر بالعي والفهاهة.

ولا تصح الاستعارة في علم الشخص بغير تأويله بما يجعله كليًّا "كما عرفت" لأن معناه قبل التأويل جزئي لتشخصه وتعينه خارجًا، فتصوره يمنع من وقوع الاشتراك فيه "فزيد" مثلًا لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين زيد متشابهة، إذ هي تقتضي ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به "كما سبق" وهذا يقتضي عموم المشبه به و"زيد" المذكور لا عموم فيه، إذ لا يشمل غير مسماه الذي وضع له، اللهم إلا إذا عرف بوصف، واشتهر به فإنه حينئذ يصح جعله استعارة بتأويله كليًّا، باعتبار هذا الوصف كما سبق بيانه في "حاتم".

تقسيم الاستعارة باعتبار ذكر أحد الطرفين:

تنقسم بهذا الاعتبار قسمين: تصريحية، ومكنية، فإن كان المذكور هو المشبه به دون المشبه سميت الاستعارة تصريحية، وإن كان العكس سميت مكنية. وإذًا يكون:

---

١ هو رجل من بني هلال، قيل: سمي مادرًا؛ لأنه سقى إبلًا له من حوض، فلما شربت الإبل بقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه، ومدر الماء به أي: خلطه به بخلًا؛ مخافة أن يستقي من حوضه أحد.

٢ هو أحد خطباء العرب الأعلام في العصر الجاهلي.

٣ هو رجل من إياد، كان شديد العي في المنطق. اتفق أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق بين أصابعه، وأخرج لسانه ليشير إلى العدد المذكور، فانفلت منه الظبي فضرب به المثل في العي والفهاهة.

الاستعارة التصريحية:

هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه، كقولك: "زارني بحر في منزلي".

وإجراؤها أن يقال: شبهنا الجواد بالبحر في الإمداد، ثم تناسينا التشبيه، وادعينا: أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعرنا لفظ المشبه به وهو "بحر" للمشبه استعارة تصريحية، وسميت بذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به "كما في المثال المذكور".

وهي باعتبار اللفظ المستعار قسمان: أصلية، وتبعية.

فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس١ حقيقة، أو تأويلًا.

فالأول "كأسد" من قولك: "رأيت أسدًا في منزلنا" تريد رجلًا جريئًا، وكالمصدر من نحو قولك: "هالني قتل عباس خصمه" تريد الضرب المبرح، فيشبه الضرب الأليم بالقتل في قسوة الألم، ثم يستعار لفظ "القتل" للضرب الأليم بعد تناسي التشبيه والادعاء السابقين. فالاستعارة في

المثالين أصلية؛ لأن اللفظ المستعار فيهما اسم جنس حقيقة. فهو معنى كلي بذاته، صادق على كثيرين، غير أنه "في الأول" اسم ذات و"في الثاني" اسم معنى.

والثاني كالأعلام الشخصية المشتهرة بوصف "كمادر" من قولك: "رأيت اليوم مادرًا" تريد رجلًا بخيلًا، فيشبه الرجل البخيل "بمادر" في البخل، ثم يستعار لفظ "مادر" للرجل البخيل بعد التناسي والادعاء، فالاستعارة فيه أصلية أيضًا؛ لأن اللفظ المستعار فيه اسم جنس تأويلًا، وقد سبق لك بيان التأويل فيه.

وسميت أصلية؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولا، كما سيأتي في التبعية.

والتبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلًا، أو اسمًا مشتقًّا، أو حرفًا. والأسماء المشتقة "كما علمت" في غير هذا الفن: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة، وما إلى ذلك من سائر المشتقات، وهاك أمثلتها على التوالي.

---

١ أي: اسما غير مشتق أي: معنى كليا يصدق على كثيرين "كأسد وقمر" في أسماء الذوات في "كالقتل والضرب" في أسماء المعاني.

الاستعارة في الفعل:

الفعل له مادة هي حروفه الدالة على الحدث، وله صيغة وهي الهيئة الدالة على الزمان كما في صيغتي الماضي والمضارع. والاستعارة في الفعل باعتبار مادته غيرها باعتبار صيغته، على ما سيأتي بيانه بعد.

فمثالها في الفعل من حيث مادته، قولك: نطقت الحال بكذا، فالنطق "كما هو معلوم" وصف للإنسان لا للحال، وإنما توصف الحال بالدلالة.

وتقريرها حينئذ أن يقال: شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى، ثم استعير لفظ "النطق" بعد التناسي والادعاء للدلالة الواضحة، فصار النطق بمعنى الدلالة الواضحة، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى "نطقت" بمعنى "دلت" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومنه قوله تعالى: {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فالإحياء وهو إيجاد الروح إنما يناسب الحيوان لا الأرض، والذي يناسب الأرض إنما هو "التزيين" فيشبه حينئذ "تزينها" بالنبات ذي الخضرة والنضرة "بالإحياء" في الحسن والنفع، ثم يستعار لفظ "الإحياء" بعد التناسي والادعاء للتزيين، ثم يشتق من الإحياء بمعنى التزيين "يحيي" بمعنى "يزين" على سبيل الاستعارة التصريحية

التبعية.

ومثالها في الفعل من حيث صيغته قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} فمن المعلوم أن أمر الله لم يأت بعد وإنما سيأتي، بدليل قوله: {فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} فكان سياق الكلام أن يقول: يأتي أمر الله، ولكنه عبر بصيغة الماضي تجوزا في التعبير مبالغة؛ لأن أمر الله آتٍ لا محالة.

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي في تحقيق الوقوع، ثم استعير لفظ "الإتيان في الماضي" بعد التناسي والادعاء للإتيان

في المستقبل، ثم اشتق منه {أَتَى} بمعنى "يأتي" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثله قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} فمما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما يكون في الدار الأخرى، فكان سياق الكلام أن يقول: وينادي أصحاب الجنة، لكنه عبر بصيغة الماضي تجوزًا.

وإجراء الاستعارة فيه على نحو ما سبق في {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} فيقال: شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي في تحقق الوقوع، ثم استعير "لفظ النداء في الماضي" بعد التناسي والادعاء للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه "نادى" بمعنى ينادي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وكما تستعمل صيغة الماضي في المستقبل -كما مثلنا- تستعمل صيغة المضارع في الماضي كما في قوله تعالى: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} فالرؤيا المذكورة وقعت "بالفعل" فكان سياق الكلام أن يقول: "إني رأيت" لكنه عبر بـ {أَرَى} تجوزًا في العبارة.

وتقرير الاستعارة فيها أن يقال: شبهت الرؤيا الماضية بالرؤيا الحاضرة في استحضار الصورة الغريبة، وهي صورة ذبح إبراهيم -عليه السلام- لابنه، ثم استعير لفظ الرؤيا في الحاضر للرؤيا في الماضي، ثم اشتق منه {أَرَى} بمعنى "رأيت" على سبيل الاستعارة التبعية، وعلى هذا يقاس.

ومثالها في "الصفة المشبهة" قولك: "إنما أصادق الأعمى عن العورات" فقد شبه غضّ البصر بالعمى في عدم الرؤية، ثم استعير لفظ "العمى" بعد التناسي والادعاء لغض البصر، ثم اشتق من العمى بمعنى غض البصر "أعمى" بمعنى غاضّ البصر، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في "أفعل التفضيل" قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحًا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

شبهت الدلالة بالنطق على نحو ما سبق، ثم استعير النطق للدلالة، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة "أنطق" بمعنى "أدل" على طريق الاستعارة التبعية.

ومثالها في اسمي الزمان والمكان قولك: "هذا مقتل فلان" مشيرًا إلى مكان ضربه، أو زمانه،

فيشبه الضرب الشديد بالقتل على قياس ما سبق في اسمي الفاعل والمفعول، ثم يشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد "مقتل" اسم زمان أو مكان على سبيل الاستعارة التبعية. ومنه قوله تعالى: {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} ؟ فمما لا ريب فيه أن هذا السؤال منهم إنما يكون بعد البعث من القبور، فالمراد "بالمرقد" حينئذ موضع الموت أي: القبر، لا موضع الرقاد وهو النوم؛ فقد شبه الموت بالرقاد في عدم الحس أو عدم النفع، ثم استعير لفظ "الرقاد" بعد التناسي والادعاء للموت، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت "مرقد" بمعنى مكان الموت، وهو القبر على سبيل الاستعارة التبعية. وإن قدر "المرقد" مصدرًا ميميًّا بمعنى "الرقاد" واستعير للموت كانت الاستعارة أصلية؛ لأن اللفظ المستعار حينئذ اسم جنس غير مشتق.

ومثالها في اسم الآلة قولك: "هذا مفتاح الملك" مشيرًا إلى أحد وزرائه.

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الوزارة[1] بفتح الأبواب المغلقة في التوصل إلى المقصود، ثم استعير لفظ "الفتح" بعد التناسي والادعاء للوزارة، ثم اشتق من الفتح بمعنى الوزارة "مفتاح" بمعنى وزير على سبيل الاستعارة التبعية. وهكذا يقال في سائر المشتقات، ولا يعوزك القياس.

وسميت الاستعارة في الفعل والاسم المشتق تبعية؛ لجريانها فيهما تبعًا لجريانها في المصدر "كما رأيت". فتشبيه الدلالة في قولك: "نطقت الحال بكذا" يتبعه تشبيه "دل بنطق" واستعارة النطق للدلالة يتبعه كذلك استعارة "نطق لدل" لأن الفعل مشتق من المصدر، فكل تصريف يجري في المصدر يجري نظيره في الفعل تبعًا له، وهكذا سائر المشتقات.

---

[1] مصدر بمعنى المؤازرة.

الاستعارة في الحرف:

مثاله قوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} .

اعلم أن لام العلة موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها، ترتب العلة على المعلول، كما تقول: اشتريت هذا الكتاب لأقرأ فيه؛ فإن القراءة مترتبة على الاشتراء، وعلة باعثة عليه.

إذا علمت هذا، فاعلم أن "اللام" في الآية المذكورة مستعملة في غير ما وضعت له؛ لأن ما بعدها -وإن كان مترتبًا على ما قبلها- ليس علة باعثة عليه؛ ذلك أن آل فرعون لم يلتقطوا موسى -عليه السلام- ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وإنما التقطوه ليكون حبيبًا لهم وسرورًا، لكن لما كانت النتيجة المترتبة على التقاطهم هي العداوة والحزن لا المحبة والسرور، شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط في الواقع بالمحبة والسرور اللذين كانا ينبغي أن يترتبا عليه، ثم استعملت اللام فيه تجوزًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط بالعلة الحقيقية التي

هي "المحبة والسرور" بجامع الترتب على الالتقاط في كل، فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط يترتب العلة الحقيقية عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء، ثم استعيرت "اللام" الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قوله تعالى: {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} فلفظ {فِي} موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، كما تقول: الماء في الكوز، فإن الماء مظروف في الكوز، والكوز ظرف له، وحينئذ فكلمة {فِي} في الآية مستعملة في غير ما وضعت

له؛ لأن ما بعدها لا يصلح أن يكون ظرفًا لما قبلها على الحقيقة، لكن لما كانت الجذوع متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في التمكن، ثم استعير لها لفظ {فِي} تجوزًا في التعبير.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن في كل، فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه تلبس الجذوع بالمصلوبين بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين بجامع مطلق تلبس شيء بشيء، ثم استعيرت {فِي} الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلي، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قولهم: "محمود في نعمة" فلفظ "في" كما علمت موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين كما في المثال السابق، وحينئذ فلفظ "في" في المثال المذكور مستعمل في غير ما وضع له؛ لأن ما بعده لا يصلح للظرفية الحقيقية "كما ترى" لكن لما كانت النعمة متمكنة من "محمود" تمكن الظرف من المظروف، شبهت النعمة بالظرف الحقيقي واستعمل فيها لفظ "في" تجوزًا.

وتقرير الاستعارة فيه على نحو ما سبق، فتشبه النعمة بالظرف الحقيقي بجامع التمكن في كل، ثم يسري هذا التشبيه إلى تشبيه تلبس النعمة بمحمود بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، بجامع مطلق تلبس شيء بشيء، ثم تستعار "في" الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس النعمة بمحمود على سبيل الاستعارة التبعية، وهكذا يقال في أمثال ما ذكر.

وسميت الاستعارة في الحروف تبعية؛ لأنها تابعة لتشبيهين سابقين عليها "كما رأيت"، وهذا القدر كافٍ في تسميتها "تبعية".

تنبيه:

علمت مما سبق في استعارة الحرف أنه لا بد من تشبيهين يسبقانها، أحدهما في مدخول الحرف، والثاني في معناه. فالتشبيه في آية: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} جرى

أولًا في مدخول لام العلة، وهو "العداوة والحزن" في جانب المشبه و"المحبة والسرور" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى اللام وهو ترتب العلة على المعلول. والتشبيه في آية {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ} جرى أولًا في مدخول الحرف وهو "الجذوع" في جانب المشبه "والظروف الحقيقية" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى الحرف وهو "تلبس الظرف بالمظروف". والتشبيه في المثال الأخير جرى أولًا في مجرور الحرف وهو "النعمة" في جانب المشبه، "والظرف الحقيقي" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى الحرف وهو تلبس الظرف بالمظروف، وعلى هذا يكون القياس ا. هـ.

تقسيم آخر للاستعارة التصريحية:

تنقسم الاستعارة التصريحية إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة. فالمرشحة: ما قرنت بما يلائم المستعار منه أي: المشبه به، كما في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ} شبه إيثار الباطل على الحق، واختياره دونه بالاشتراء الذي هو استبدال مال بآخر، بجامع استبدال شيء مرغوب عنه بشيء مرغوب فيه. ثم استعير اسم المشبه به وهو "الاشتراء" بعد التناسي والادعاء للمشبه، وهو "الإيثار والاختيار" ثم اشتق من الاشتراء بمعنى الإيثار والاختيار {اشْتَرَوُا} بمعنى آثروا واختاروا استعارة تبعية، والقرينة حالية إذ لم يقع اشتراء حقيقي بين الضلالة والهدى، وقد قرنت بذكر "الربح والتجارة" اللذين هما من ملائمات الاشتراء الحقيقي، وكقولك: "رأيت أسدًا يخطب القوم، له لبد" فقد استعير "أسد" للرجل الجريء بقرينة يخطب القوم استعارة أصلية، وقد قرنت بقولك: "له لبد" وهو وصف خاص بالأسد؛ لأنه الشعر المتلبد على منكبيه.

وسميت "مرشحة" لأن الترشيح معناه التقوية، وذكر ملائم المشبه به يبعدها عن الحقيقة ويقوي فيها دعوى الاتحاد التي هي مبنى الاستعارة.

والمجردة: ما قرنت بما يلائم المستعار له أي: "المشبه" كما تقول: "رأيت بحرًا

على فرس يعطي" فلفظ "بحر" مستعار للجواد بقرينة "على فرس" وقد قرنت بما يلائم المشبه، وهو قولك: "يعطي" وكقول البحتري:

يؤدون التحية من بعيد ... إلى قمر من الإيوان[1] باد

فالقمر مستعار للإنسان الجميل بقرينة قوله: "يؤدون التحية من بعيد" وقوله: "من الإيوان باد" تجريد؛ لأنه من ملائمات الإنسان الذي هو المشبه.

وسميت "مجردة" لتجردها عما يقوي فيها دعوى الاتحاد، ذلك أن ذكر ملائم المشبه يدنيها من المعنى الحقيقي ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين. وقد اجتمع الترشيح والتجريد في قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

فقوله: "شاكي السلاح" أي: تامه تجريد؛ لأنه من ملائمات المشبه وهو الرجل الشجاع، و"له لبد" ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به وهو "الأسد". وإما قوله: "مقذف" فإن أريد به "المقذوف باللحم" كناية عن الضخامة لم يكن تجريدًا ولا ترشيحًا؛ لملاءمته لكل منهما، وإن أريد به الذي يقذف بنفسه في المعارك، سواء أكان بآلة حرب أو بغيرها، فكذلك فإن كان القذف في المعارك بآلة حرب كان تجريدًا؛ لأنه يناسب الشجاع من الرجال إذ هو الذي يحمل السلاح. وأما قوله: "أظفاره لم تقلم" فليس تجريدًا ولا ترشيحًا؛ لأنه كناية عن نفي الضعف فهو قدر مشترك بين الطرفين، وقرينة الاستعارة قوله: "لدى أسد" على تقدير: "أنا لدى أسد" فإن كانت القرينة حالية اعتبر هذا تجريدًا للملاءمته للمشبه. ومما اجتمع فيه الأمران: الترشيح والتجريد قول الشاعر:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

---

١ اسم لبناء ضخم، ومنه إيوان كسرى.

شبه النظر بالسهم في شدة التأثير، واستعار السهم للنظر "وريشه" ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به من قولهم: راش السهم، إذا ألزق عليه الريش ليكون أحكم في الرماية، و"الكحل" تجريد؛ لأنه من ملائمات المشبه والقرينة حالية بهذا الاعتبار، فإن اعتبر "الكحل" قرينة كان قوله: "ريشه" ترشيحًا، واعتبرت الاستعارة مرشحة.

واعلم أن اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد استيفاء الاستعارة قرينتها، فقولك: "رأيت بدرًا يضحك" استعارة لا ترشيح فيها ولا تجريد؛ لعدم اقترانها بما يلائم أحد الطرفين، وأما قوله: "يضحك" فهو قرينة الاستعارة فلا يعتبر تجريدًا، وإن كان من ملائمات المشبه؛ لأن التجريد أو الترشيح "كما قلنا" إنما يعتبر بعد تمام الاستعارة، وهي إنما تتم بالقرينة، ولو أن القرينة في هذا المثال حالية لكان قولك: "يضحك" تجريدًا؛ لأنه يلائم المشبه.

والمطلقة: ما لم تقترن بشيء من ملائمات أحد الطرفين، كقولك: "عطشي إلى لقائك شديد" شبه الشوق بالعطش بجامع ما يترتب على كل من التلهف، ثم استعير العطش للشوق، والقرينة قولك: "إلى لقائك" وكقولك: غرست الجميل فلم يثمر. شبه فعل الجميل بالغرس بجامع ما يترتب على كل من العائدة، ثم استعير الغرس لفعل الجميل، ثم اشتق منه غرس بمعنى فعل الجميل "على سبيل الاستعارة التبعية" والاستعارة في المثالين مطلقة لعدم اقترانها بشيء يلائم أحد الطرفين.

ومن قبيل الاستعارة المطلقة ما اجتمع فيه ترشيح وتجريد "كالبيتين السابقين"؛ لأنهما

باجتماعهما يتعارضان فيتساقطان. فكأن لا ترشيح ولا تجريد، اللهم إلا إذا زاد أحدهما على الآخر فإنه حينئذ يرجح جانبه، وبناء عليه يكون قول "زهير" السابق: "لدى أسد شاكي السلاح" "البيت" من قبيل الاستعارة المجردة إن جعلت القرينة حالية؛ لأن ملائمات المشبه حينئذ تكون أكثر من ملائمات المشبه به، كما أن قولك: "رأيت أسدًا على فرس منتفش اللبدة رهيب الزئير" من قبيل الاستعارة المرشحة على تقدير أن القرينة حالية؛ لأن ملائمات المشبه به أكثر، فهي بهذا الاسم أجدر، ورجح بعضهم جانب السابق لسبقه. وسميت مطلقة لإطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين.

موازنة بين الاستعارات الثلاث:

الاستعارة المرشحة "كما قلنا": ما ذكر فيها ملائم المشبه به، وهذا مما يزيد الاستعارة قوة، ذلك أن مبنى الاستعارة "كما علمت" على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به، لا شيء سواه، والترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به إمعان في هذا التناسي وغلو في دعوى الاتحاد، وكأن ليس هناك استعارة حتى إنك لتجد الشاعر أو الناثر يمعن في إنكارها، ويخيل للسامع أن الأمر محمول على حقيقته، لا تجوز فيه. ألا ترى إلى قول أبي تمام:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء

فقد استعار لفظ "الصعود" وهو العلو الحسي المكاني لعلو المرتبة، ثم بنى كلامه على أنه صعود حسي حقيقة فذكر ما يلائمه من ظن الجهول أن له حاجة في السماء. وإذا كان هذا شأن المرشحة كانت جديرة أن تحل المكان الأول بين أختيها. ويلي المرشحة في القوة الاستعارة المطلقة، إذ هي "كما عرفت" ما لم يذكر معها شيء يلائم أحد الطرفين فهي -وإن خلت مما يقوي تناسي التشبيه، ويدعم دعوى الاتحاد من ذكر ما يلائم المشبه به- ليس فيها ما ينافيها من ذكر ملائم المشبه، وإذا كان هذا حالها كانت خليقة أن تحتل مكانًا وسطًا بين المرشحة والمجردة، ومن هنا يبدو لك واضحًا أن الاستعارة المجردة في المرتبة الدنيا لاشتمالها على ما يلائم المشبه؛ إذ هو يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسي التشبيه، ودعوى الاتحاد قضاء لحق المبالغة.

قرينة الاستعارة التصريحية:

القرينة هي -كما سبق- الأمر الذي يجعله المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلي، وهي أيضًا لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: لفظ يلائم المشبه يذكر في الكلام؛ ليصرفه عن إرادة معناه الأصلي. مثال ذلك "في الأصلية" قولك: "كلمني بحر" فبحر مستعار للرجل العالم أو الكريم "استعارة أصلية" وقرينتها لفظ "كلمني"؛ لأن البحر الحقيقي لا يتكلم. ومثالها "في التبعية" قولك: "قتل علي خصمه

بحادّ لسانه" استعار القتل للإيذاء الشديد بجامع الألم الأليم، ثم اشتق من القتل بمعنى الإيذاء الشديد "قتل" بمعنى آذى إيذاء شديدًا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة قولك: "بحاد لسانه" إذ ليس اللسان أداة قتل، وكل من القرينتين ملائم للمشبه "كما رأيت".
وغير اللفظية: أمر خارج من اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقي كدلالة الحال، أو استحالة المعنى.
فمثال ما قرينته حالية: "أرى قمرًا" والسامع يرى فتاة حسناء مقبلة "فالقمر" مستعار للفتاة الجميلة "استعارة أصلية" وقرينتها دلالة الحال.
ومثال ما قرينته الاستحالة قوله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد بالطغيان بجامع تجاوز الحد في كلٍّ. ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه "طغى" بمعنى كثر حتى جاوز الحد "استعارة تبعية" والقرينة استحالة صدور الطغيان من الماء، إذ هو من شأن الإنسان، وكقول الشاعر:
جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا
استعير القتل للمحو والإزالة، واستعير الإحياء للإكثار. ثم اشتق من القتل "قتل" بمعنى أزال، ومن الإحياء "أحيا" بمعنى أكثر، على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة استحالة وقوع القتل على البخل والإحياء على السماح.
والقرينة إما أمر واحد أو متعدد. فالأول كما في قولنا: "رأيت بين الناس أسدًا" استعير لفظ "أسد" للرجل الجريء، والقرينة أمر واحد هو قولنا:

"بين الناس" لأن الأسد الحقيقي لا يرى بينهم؛ إذ هو حيوان غير مستأنس، وكقولهم: نطقت الحال بكذا فهو استعارة تبعية، قرينتها شيء واحد كذلك هو استحالة قيام النطق بالحال، والثاني كقول الشاعر:
فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن في أيماننا نيرانا١
يقول: إن كرهتم الإنصاف، وإقرار الأمور في نصابها، وأبيتم التصديق بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- قهرناكم عليها بما في أيدينا من سيوف تلمع كمشعل النيران، استعير لفظ "النيران" للسيوف "استعارة أصلية" والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف هي كل من "العدل والإيمان" باعتبار تعلق العيافة أي: الكراهة بهما، ووجه كون ذلك قرينة على أن المراد "السيوف" هو أن الذي يدعو إلى العدل والإيمان آخذ بالشريعة، وهي إنما تحمل من يخالف على الطاعة بحدّ السيف لا بالإحراق، وكقولهم:
رويدك، قد طغى حبي ودمعي ... وبات القلب يحترق اشتياقا
استعير الطغيان للكثرة "كما تقدم" استعارة تبعية، والقرينة هي كل من الحب والدمع، باعتبار

تعلق الطغيان بهما تعلق استحالة.

وقد تكون القرينة معاني ملتئمة، أي: مرتبطًا بعضها ببعض، بحيث يكون المجموع قرينة، لا كل واحد منها كما في قول البحتري:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب[2]

شبه أنامل يد الممدوح بالسحائب في عموم العطايا، ثم استعار لفظ "السحائب" لأنامل يده، وجعل القرينة على الاستعارة مجموع أشياء؛ فذكر أن هناك صاعقة، وأنها ساقطة من حد سيفه، منقلبة على رءوس الأقران، ثم ذكر عدد أصابع اليد،

---

١ "تعافوا" من عاف الشيء يعافه، إذا كرهه ومجّه، "الإيمان" الأول بكسر الهمزة: التصديق، والأيمان الثاني بفتح الهمزة: جمع يمين، والمراد اليد اليمنى.

٢ الصاعقة في الأصل: نار سماوية تهلك من تصيبه، والنصل: حد السيف، وتنكفي: تنقلب، والأقران جمع قرن بكسر القاف وهو المماثل والنظير.

وهو "خمس" فاتضح من مجموع ذلك كله أنه أراد بالسحائب أصابع اليد؛ لما بينها وبين السحائب من جامع النفع، وعموم العطاء.

قد يقال: إن قوله: "وصاعقة من نصله" كافٍ في الدلالة على الاستعارة، وكذا قوله: "على أرؤس الأقران"، وكذلك تحديد العدد بالخمس، فالقرينة إذًا متعددة وليست معاني ملتئمة متضامنة كما قيل، ويجاب بأن الاستعارة لا يكتمل وضوحها إلا بهذه الأمور مجتمعة. وقد يجاب بأن المراد بالتئام المعاني ارتباطها، لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال.

تنبيه:

ما تقدم من أن القرينة قد تكون أكثر من أمر واحد كما في قول الشاعر المتقدم: "وإن تعافوا العدل" "البيت" مبني على جواز تعدد القرينة، وهذا هو الرأي الأغلب؛ إذ لا مانع من اعتبار كل واحد قرينة على حدة.

وقال بعضهم: لا يجوز القرينة؛ لأن الصرف عن إرادة المعنى الحقيقي، إن كان بمجموع الأمور المذكورة، فالقرينة هي تلك الأمور مجتمعة، لا كل واحد منها، وإن كان أحدها كافيًا في الصرف على المعنى الأصلي، فلا حاجة لما عداه، فيعتبر تجريدًا؛ لأنه في التصريحية من ملائمات المشبه.

الاستعارة المكنية:

هي في اصطلاح جمهور البيانيين: لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه يذكر لازمه كقول أبي ذؤيب الهذلي[1]:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع[٢]

---

١ اسمه خويلد بن خالد، أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية.

٢ "أنشبت": علقت و"ألفيت": وجدت و"التميمة": خرزة تجعل معاذة، تعلق بعنق الصبيان؛ صونًا لهم عن العين أو الجن على زعمهم.

يقول الشاعر: إذا حان الأجل عجزت عنده الحيل، ولا مرد لقضاء الله.

وإجراؤها أن يقال: شبهت المنية بالأسد في اغتيال النفوس، ثم استعير في النفس لفظ الأسد "للمنية" بعد تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو "الأظفار" على سبيل الاستعارة المكنية، وكقول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

يقول: إذا حاطك الله بعنايته، وكلأك بعين رعايته كنت بمأمن من كل سوء، وفي حصانة من كل شر.

وإجراؤها بالقياس على ما تقدم أن يقال: شبهت العناية بإنسان في الانتفاع، ثم استعير في النفس لفظ "إنسان" للعناية بعد التناسي والادعاء المعروفين، ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو "العيون" على سبيل الاستعارة المكنية، وكقول الشاعر المتقدم:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحًا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

والاستعارة في لفظ "حالي" شبه الحال بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود، ثم استعير في النفس لفظ "إنسان" للحال، بعد التناسي والادعاء، ثم دل عليه بعد تقدير حذفه بذكر لازمه، وهو "اللسان" على سبيل الاستعارة المكنية.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة حذف لفظ المشبه به، وكني عن مدلوله بذكر لازمه، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه المذكور، وكل ما كان من هذا القبيل ففيه استعارة مكنية.

"ففي المثال الأول" حذف لفظ المشبه به وهو "الأسد" وبقي المشبه وهو "المنية" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "الأظفار" ثم أثبت هذا اللازم للمنية، فقيل: "أظفارها".

"وفي المثال الثاني" حذف لفظ المشبه به، وهو "الإنسان وبقي المشبه" وهو

"العناية" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "العيون" ثم أثبت هذا اللازم للعناية فقيل: "عيونها".

"وفي المثال الثالث" حذف المشبه به وهو "الإنسان" وبقي المشبه وهو "الحال" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "اللسان". ثم أثبت هذا اللازم "للمشبه" فقيل: "لسان حالي".

وهكذا، فالمذكور في المكنية من الطرفين هو المشبه دائمًا "عكس الاستعارة التصريحية".

والدليل على التشبيه حينئذ إثبات ذلك اللازم؛ لأن إثبات لازم الشيء لغيره إنما يدل على أن ذلك الغير مشبه بذلك الشيء، ومنزل منزلته، وإلا ما أثبت له لازمه وسميت الاستعارة المذكورة "مكنية" لأنه كني فيها عن المشبه به بذكر لازمه "كما عرفت".

تنبيه:

ينبغي أن يعلم أن اللازم المراد إثباته للمشبه يجب أن يكون به كمال وجه الشبه في المشبه به، أو أن يكون به قوامه ووجوده. فالأول كما في بيت الهذلي، فإن وجه الشبه فيه بين الأسد والمنية هو "الاغتيال" والاغتيال في الأسد يحصل بشيء آخر غير الأظفار "كأنياب" لكنه بالأظفار يكمل ويتم. الثاني كما في قول الشاعر الآخر: "فلسان حالي بالشكاية أنطق" فإن وجه الشبه بين الإنسان والحال هو "الدلالة" وهي لا تتحقق بدون إنسان ا. هـ.

قرينة المكنية:

هي إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور، كإثبات الأظفار "للمنية" في بيت الهذلي المتقدم، فإن إثباتها لها قرينة على أنها مشبهة بما له أظفار "كالأسد"، وأن لفظ "الأسد" مستعار في النفس للمنية.

وإثبات هذا اللازم يسمى عندهم "استعارة تخييلية"، أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور –وهو الأمر المختص بالمشبه به– قد استعير "للمشبه" واستعمل معه، وأما أن الاستعارة تخييلية، فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به، ومن هنا يتبين لك أمران:

الأول: أن قرينة المكنية استعارة تخييلية دائمًا، وأنهما متلازمان فلا توجد إحداهما بدون الأخرى؛ لأن المكنية لا بد لها من قرينة، وقرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية "كما عرفت".

الثاني: أن طرفي الاستعارة التخييلية مستعملان في المعنى الحقيقي لهما "فالأظفار والمنية" كلاهما مستعمل في المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو في إثبات الأظفار للمنية، إذ إن المنية لا أظفار لها، فهو إثبات الشيء لغير ما هو له كما في إثبات الإنبات للربيع في نحو: أنبت الربيع الزرع، إذا صدر من الموحد فإن كلا من الإنبات والربيع مستعمل في حقيقته، والتجوز إنما هو في إثبات الإنبات للربيع[1].

---

[1] تنقسم المكنية كالتصريحية إلى أصلية وتبعية، وإلى مرشحة ومجردة ومطلقة. فالأصلية كاستعارة اسم الجنس في نحو قول الشاعر: "وإذا العناية لاحظتك عيونها" فالمستعار هنا لفظ "إنسان" المحذوف وهو اسم جنس. والمكنية التبعية كاستعارة اسم المشتق في قولك: يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراؤها أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء

الشديد، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل "قاتل" بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "الإراقة" والقرينة إثبات الإراقة للضارب. والمكنية المرشحة نحو: شم علي رائحة العلم، شبه العلم بالمسك وحذف المشبه به ودل عليه بلازمه وهو "الرائحة" والقرينة إثبات الرائحة للعلم، وقوله: "شم" ترشيح للاستعارة؛ لأنه من ملائمات المسك. والمكنية المجردة كقول الشاعر:

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

"اللهذميات" جمع: لهذم كجعفر القاطع من الأسنة و"القد": القطع، و"الزراد": ناسج الزرد بفتح الراء، وهو الدرع من الحديد، شبه اللهذميات بما يقدم للضيوف من الطعام، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: "نقريهم" فإن "القرى" تقديم الطعام وهو من ملائمات المشبه به، والقرينة إثبات القرى للهذميات، وقوله: "نقد" تجريد للاستعارة؛ لأنه من ملائمات المشبه. والمكنية المطلقة كما في قولهم: نطقت الحال بكذا، استعير الإنسان للحال ثم حذف ودل عليه "بنطق" والقرينة إثبات النطق لها.

تمرين:

١- عرف المجاز العقلي، ومثل له بمثالين من عندك أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعنى الفعل.

٢- بين علاقة المجاز العقلي في مثال من إنشائك، مع بيان القرينة.

٣- عرف قرينة المجاز العقلي، ثم ائت بمثال تكون قرينة المجاز العقلي فيه معنوية، وبآخر تكون القرينة فيه لفظية.

٤- عرف المجاز المفرد، وبين محترزات التعريف، ثم ائت له من إنشائك بمثالين مختلفي العلاقة.

٥- بين علاقة المجاز المفرد، ثم قسمه باعتبارها، عرف كل قسم، ثم أجر الاستعارة في قولك: لقيني قمر أمس، وبين أركانها فيه.

٦- اذكر ما يجب توفره من الشروط لتحقيق الاستعارة، وهل قولهم: رأيت بين برديه القمر من قبيل الاستعارة، مع ما تراه فيه من الجمع بين الطرفين، وهو ممتنع فيها؟ وجه ما تقول.

٧- لم اشترط في الاستعارة أن يكون المستعار منه كليًّا عامًّا؟ وكيف صحت في مثل "حاتم وباقل" مع تشخيصهما المانع من العموم مما وضح ذلك وضوحًا تامًّا؟

٨- قسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار، ثم ائت لكل قسم بمثال، وأجر الاستعارة فيه، ثم بين نوع الاستعارة وأجرها في قولنا: نحن في أمن، ودعة.

٩- قسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم وعدم ذكره، وعرف كل قسم مع التمثيل، ومن أي نوع

قول القائل: بهرني در لم يثقب؟

١٠- أي الاستعارات أبلغ: المرشحة، أم المجردة، أم المطلقة؟ وما وجه الأبلغية؟ مثل لكل ما تقول، مع التوجيه.

١١- بين الاستعارة وقرينتها في قول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن في أيماننا نيرانا

١٢- عرف الاستعارة المكنية، ومثل لها، مع إشرائها فيما تمثل به، وبين علة تسميتها "مكنية" ثم أجرها في قولك: عين الرعاية تلحظك.

١٣- يقولون: إن قرينة المكنية استعارة تخييلية، وإنهما متلازمان بين علة هذه التسمية، وسبب هذا التلازم.

١٤- بين في التشبيهات الآتية وجه الشبه، ثم حَوِّل كلا منها إلى استعارة تصريحية، مبينًا قرينتها:

١- فوق الأغصان بلابل تغرد كأنها القيان.

٢- النجوم في السماء كالدر المنثور.

٣-

قوم إذا نهضوا لنجدة صارخ ... وكبوا الجياد كأنهن رياح

٤-

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

٥-

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

١٥- بين في الاستعارات الآتية الجامع بين الطرفين، ثم حول كلا منها إلى تشبيه:

١- {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} .

٢- {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} .

٣- ما أروع النجم منثورًا على الأغصان.

٤- ما أجمل الخدود تختال على سيقانها.

٥- يابن الكواكب من أئمة هاشم.

٦- أخذت العلم عن بحر لا ساحل له.

٧-

بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي عقيقًا١ ... فصار الكل في نحرها عقدا

١٦- بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتي:

-١

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نئوم

-٢

ومن لم يعشق الدنيا قليل ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

-٣

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

---

١ معدن كريم أحمر اللون.

-٤

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

-٥

وإذا تباع كريمة أو تشترى ... فسواك بائعها وأنت المشتري

-٦

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

-٧

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

-٨

بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي ... عقيقًا فصار الكل في نحرها عقدا

-٩

أنفقت عمري في رضاك وليتني ... أعطي وصولًا١ بالذي منفق

الجواب على سؤال ١٤:

١- وجه الشبه حسن النغم، والاستعارة فيه أن يقال: فوق الأغصان قيان تغنين، والقرينة قوله: فوق الأغصان.

٢- وجه الشبه التألق، والاستعارة فيه أن يقال: في السماء الدر المنثور، والقرينة قوله: "في السماء".

٣- وجه الشبه السرعة، والاستعارة فيه أن يقال: ركبوا الرياح، والقرينة قوله: "ركبوا".

٤- وجه الشبه الوضوح والهداية، والاستعارة فيه أن يقال: راعني علم في رأسه نار، والقرينة حالية.

٥- وجه الشبه الهيئة الحاصلة من ظهور أجرام مشرقة، مستطيلة، متناسبة المقادير، متحركة

بسرعة إلى جهات مختلفة، في جوانب شيء مظلم، والاستعارة فيه أن يقال: هالني ليل تهاوى كواكبه، والقرينة حالية.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

له خال على صفحات خد ... كنقطة عنبر في صحن مرمر

---

١ جمع وصل، وهو صك يؤخذ على المدين استيثاقًا.

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

الجواب على السؤال ١٥:

١- الجامع بين الطرفين: أن كلا موصل إلى المطلوب، والتشبيه فيهما أن يقال: أهدنا دينًا قويمًا كالصراط المستقيم.

٢- الجامع بين الطرفين في الأول عدم الاهتداء، والتشبيه فيهما أن يقال: ليخرج الناس من الضلال الذي كالظلمات، والجامع بينهما في الثاني الهداية، والتشبيه فيهما أن يقال: إلى الإيمان الذي كالنور.

٣- الجامع بين الطرفين التألق والحسن، والتشبيه فيهما أن يقال: ما أروع الزهر منثورًا على الأغصان كالنجم.

٤- الجامع بين الطرفين الحمرة، والتشبيه فيهما أن يقال: ما أجمل الوردة تتوهج كخدود الملاح.

٥- الجامع بين الطرفين الرفعة والهداية، والتشبيه فيهما أن يقال: يابن الأئمة الذين هم كالكواكب.

٦- الجامع بينهما الإمداد والاتساع، والتشبيه فيهما أن يقال: أخذت العلم عن عالم أو كريم كالبحر، لا ساحل له.

٧- الجامع بينهما التألق والصفاء، والتشبيه فيهما أن يقال: بكت دمعًا كاللؤلؤ.

تمرين يجاب عليه قياسًا على ما سبق:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب

فأمطرت لؤلؤًا من نرجس وسقت ... وردًا وعضت على العناب بالبرد

رأيت شمسًا "تريد إنسانًا مشرق الوجه" ونزلت على حاتم "تريد سمحًا جوادًا" رمتني بسهم ريشه الكحل. لدى أسد شاكي السلاح.

الجواب على السؤال ١٦:

١- في "تنام" استعارة تصريحية تبعية مرشحة؛ شبه التغافل بالنوم، والجامع عدم النفع، واستعير النوم للتغافل، واشتق منه "تنام" بمعنى تتغافل.

وفي "المنايا" استعارة مكنية أصلية، شبهت المنايا بالعدو، والجامع الكراهة والأذى، واستعير العدو للمنايا ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "نفي النوم عنه" والقرينة إثبات هذا الفعل منفيًّا للمنايا. وقوله: "تنبه يا نئوم" ترشيح للاستعارة الأولى.

٢- في "يعشق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق، والجامع التعلق والاهتمام في كل، واستعير العشق للاشتغال واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بامرأة جميلة، والجامع الأخذ بمجامع القلوب ثم استعيرت المرأة للدنيا وحذفت ودل عليها بلازمها وهو "يعشق" والقرينة إثبات العشق الذي هو من ملائمات المرأة للدنيا، وقوله: "ولا سبيل إلى الوصال" ترشيح للاستعارتين.

٣- في "الخلافة" استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الخلافة بامرأة حسناء، والجامع ميل النفس في كل، ثم استعيرت المرأة للخلافة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو "أتته" والقرينة إثبات الإتيان للخلافة وقوله: "منقادة" وتجرر أذيالها ترشيح.

٤- في "امتحن" استعارة تصريحية تبعية، شبه الاشتغال بالدنيا بالامتحان والجامع حصول التعب في كل، ثم استعير "الامتحان" للاشتغال واشتق منه "امتحن" بمعنى اشتغل، والقرينة استحالة وقوع الامتحان "بالمعنى المعروف" على الدنيا. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بإنسان مخادع، والجامع عدم الثبات على حال، ثم استعير الإنسان للدنيا ثم حذف ورمز له بلازمه، وهو قوله: "امتحن" والقرينة إثبات الامتحان

الذي هو من ملائمات المشبه به للدنيا، وقوله: "تكشفت له عن عدو ... " إلخ ترشيح.

٥- في "تباع" أو "تشترى" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه الاستبدال بالبيع أو الاشتراء، ثم استعير البيع أو الاشتراء للاستبدال، ثم اشتق منهما "تباع أو تشترى" بمعنى تستبدل.

ويصح أن يكون في لفظ "كريمة" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الخلة الكريمة بجوهرة، والجامع الحسن في كل ثم استعيرت الجوهرة للخلة الكريمة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو "البيع أو الاشتراء" والقرينة إثبات البيع أو الاشتراء اللذين هما من ملائمات الجواهر للخلة الكريمة، وقوله: "فسواك بائعها وأنت المشتري" ترشيح للاستعارة.

٦- في كل من "العزم والهموم" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شُبه كل منهما بماشية، والجامع قبول الانقياد ثم استعير لفظ "الماشية" لكل من العزم والهموم، ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو قوله: "مرعى" والقرينة إثبات المرعى للعزم والهموم، وقوله "لم يزل مهزولا" ترشيح لملاءمته للمشبه به وهو الماشية.

٧- في "عضنا" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إيلام حوادث الدهر بالعض، والجامع التأثير في كل، واستعير العض للإيلام، واشتق منه "عض" بمعنى آلم، والقرينة استحالة قيام العض بالزمان. ويصح أن يكون في لفظ "الدهر" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبه الدهر بحيوان مفترس، والجامع الأذى في كل، واستعير الحيوان للدهر، وحذف ودل عليه بلازمه وهو "العض" والقرينة إثبات العض الذي هو من ملائمات الحيوان للدهر، ولفظ "الناب" ترشيح للاستعارتين.

٨- في "اللؤلؤ" استعارة تصريحية أصلية مرشحة، شبه الدمع باللؤلؤ، والجامع الصفاء والتألق في كل ثم استعير اللؤلؤ للدمع، والقرينة قوله: "بكت" وقوله: "في نحرها عقدا" ترشيح لأنه يناسب المشبه به.

٩- في "أنفق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إفناء العمر بإنفاق المال

والجامع التصرف في كل، ثم استعير الإنفاق للإفناء واشتق منه "أنفق" بمعنى أفنى، والقرينة استحالة وقوع الإنفاق بالمعنى المعروف على العمر. ويصح أن يكون في لفظ "العمر" استعارة مكنية أصلية مرشحة شبه "العمر" بالمال، والجامع الانتفاع في كل، واستعير المال للعمر ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "أنفق" والقرينة إثبات الإنفاق الذي هو من ملائمات المال للعمر، وكل من "وصولا ومنفق" ترشيح للاستعارتين.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتي:

أصون عرضي بمالي، لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

إذا المرء لم يبن افتخارًا لنفسه ... تضايق عنه ما بنته جدوده

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه ... فلا يضيع جميل أينما زرعا

سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت ... إليه ثنايا الموت من كل مرقب

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه

وما الموت بين الناس إلا مهند ... بكف المنايا والنفوس له غمد

لقد نبتت في القلب منك محبة ... كما نبتت في الراحتين الأصابع

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

إذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

يابن النجوم الغر من آل هاشم. رشفت الأدب من بحر لا يسبر غوره[1]. اكفهر[2] وجه السماء.. {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} . أنت في رغد[3] من العيش. الهجر أقتل لي مما أراقبه. إذا غرست جميلًا فاسقه غدقًا[4]. رأيت بالمسجد بحرًا يعظ الناس. {يَنْقُضُونَ ١ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} . محمد قتل الإجرام، وأحيا السلام.

---

١ "السبر" امتحان عمق الشيء، و"الغور": القعر، والمعنى: لا يدرك عمقه.

٢ اغبر وتغير.

٣ في سعة وبسط.

٤ الغدق: الماء الكثير.

فصل في شرائط حسن الاستعارة:

تحسن الاستعارة في اعتبار البلغاء إذا توفرت الآتية بعد:

١- أن تراعى جهات حسن التشبيه؛ لأنها مبنية عليه فهي تابعة له في الحسن والقبح، فإن حسن حسنت، وإن قبح قبحت.

فمن جهات حسن التشبيه:

أن يكون وافيًا بالغرض منه، فإن كان الغرض منه -مثلًا- تزيين المشبه "كوجه أسود"، فشبه بمقلة الظبي ذات السواد الجميل، ثم استعير له لفظها، فقيل: "رأيت مقلة ظبي"، وأريد ذلك الوجه الأسود حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض. فإذا شبه الوجه المذكور بالفحم لإفادة هذا الغرض ثم استعير له لفظه، فقيل: رأيت قطعة فحم، وأريد الوجه الأسود لم تحسن الاستعارة لعدم حسن التشبيه، إذ لم يف بالغرض المطلوب. وإن كان الغرض منه تشويه وجه أسود عليه آثار الجدري، فشبهه بحمأة[2] يابسة قد نقرتها الديكة، ثم استعير له لفظها، فقيل: رأيت حمأة منقورة، وأريد الوجه الأسود المجدور، حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض منه، ولو شبه الوجه المذكور لإفادة هذا الغرض بقطعة منقبة من معدن كريم أسود اللون، ثم استعير له لفظها فات الحسن. وهكذا يقال في سائر أغراض التشبيه السابقة.

ومن جهات حسن التشبيه:

أن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون غريبًا لطيفًا؛ لكثرة التفصيل فيه مثلًا كما سبق في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، إذ قد اعتبر في الوجه: الاستدارة، والإشراق، والتموج، والحركة السريعة المتصلة، فإذا استعير لفظ "المرآة في كف الأشل" للشمس فقيل: رأيت مرآة

في كف

١ نقض البناء: أزال لبناته، ونقض الحبل: فك طاقاته.

٢ الحمأة: الطين الأسود.

أشل" مرادًا به "الشمس" لقرينة حالية، حسنت الاستعارة لحسن التشبيه لما فيه من الدقة بكثرة الاعتبارات. فإذا كان وجه الشبه مبتذلًا كما في استعارة "الأسد" للرجل الجريء فات الحسن.

ويستثنى من جهات حسن التشبيه شيء واحد تحسن فيه الاستعارة، ولا يحسن التشبيه، وهو أن يقوى الشبه بين الطرفين جدا حتى يخيل لك أنهما متحدان كالشبه بين العلم والنور، أو بين الشبهة والظلمة، ففي مثل هذا تحسن الاستعارة، فتقول: في قلبي نور أي: علم، ولا يحسن التشبيه، فلا تقول: في قلبي علم كالنور كما يحسن أن تقول: في قلبي ظلمة أي: شبهة، ولا يحسن أن تقول: في قلبي شبهة كالظلمة.

وإنما قبح التشبيه في مثل هذا لقوة الشبه بين الطرفين حتى كأنهما شيء واحد، فإجراء التشبيه بينهما بمثابة تشبيه الشيء بنفسه، وحسنت فيه الاستعارة لاختفاء شبح التشبيه فيها لفظًا.

٢- أن يزداد بعدها عن الحقيقة بالترشيح؛ ولذلك كانت المرشحة أكثر قبولًا في ذوق البلغاء من أختيها: المجردة، والمطلقة.

٣- ألا يكون وجه الشبه خفيًّا جدًّا، فلا تحسن استعارة لفظ "أسد" للرجل الأبخر، وهو ذو الفم المنتن؛ لخفاء وجه الشبه، إذ إن انتقال الذهن من معنى الأسد إلى الرجل إنما يكون باعتبار المعنى المشهور في الأسد وهو "الجرأة" لا "البخر"، فاستعارة لفظ "الأسد" للأبخر حينئذ يعد إلغازًا وتعمية في المراد.

٤- ألا يشتم فيها رائحة التشبيه لفظًا، بألا يذكر في الكلام لفظ يدل على المشبه كما في قولنا: زارني قمر في منزلي، فليس في العبارة لفظ دال على المشبه. أما الاستعارة في قول الشاعر المتقدم:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

فقليلة الحسن لما فيها من إشمام رائحة التشبيه، بسبب ذكر لفظ دال على المشبه، وهو الضمير في قوله "غلالته" أو في "زر أزراره" وهذا يتنافى مع ما ترمي إليه

الاستعارة. بيان ذلك: أن الغرض من الاستعارة على ما تقدم: إظهار المبالغة في التشبيه بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، ومقتضى هذا: أن يستويا في وجه الشبه، وإشمام رائحة التشبيه بما ذكرنا يلفت الذهن إلى ما هو معلوم في أصل التشبيه من أن المشبه به أقوى في

وجه الشبه من المشبه، وهذا يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من دعوى التساوي بين الطرفين، وتناسي التشبيه فيهما.
هذا وحسن الاستعارة التخييلية تابع لحسن المكنية؛ لأنها تابعة لها في الوجود، فينبغي أن تتبعها في كل ما يعرض لها من حسن أو قبح.

المجاز المرسل

مدخل

...

المجاز المرسل:

سبق أن قسمنا المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين:

أحدهما: الاستعارة وهي مجاز علاقته المشابهة، وقد تقدم الكلام فيها.

والثاني: المجاز المرسل، وهو ما نحن بصدد الكلام فيه.

تعريفه: هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوعة له، كما في قولنا: "رعت الإبل الغيث" ففي "الغيث" مجاز مرسل؛ لأنه كلمة نقلت من معناها الأصلي وهو "الماء" إلى معنى آخر وهو "النبات" بقرينة "الرعي" فإن الغيث لا يرعى، وليست له العلاقة بين النبات والماء المشابهة كما ترى، إنما العلاقة بينهما هي: أن أحدهما سبب في الآخر، ولا شك أن الغيث سبب في النبات، وكفى هذه السببية علاقة تصحح استعمال الغيث في النبات.

وسمي مجازًا مرسلًا؛ لأنه أرسل أي: أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، وأن له عدة علاقات سيأتي بيانها بعد، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة، إذ ليست العلاقة بين المعنيين في المجاز المرسل المشابهة حتى يدعى اتحادهما.

قيل: إن ما عللوا به في تسمية القسم الأول "استعارة" من أن اللفظ منقول ومستعار من معناه الأصلي للمعنى المراد كالثوب المستعار من صاحبه لغيره، يصح التعليل به في المجاز المرسل، فإن اللفظ فيه أيضًا منقول ومستعار من معناه الأول لمعنى آخر، كلفظ "الغيث" المنقول من معنى "الماء" إلى معنى "النبات" ومقتضى هذا أن يسمى المجاز المرسل "استعارة".

أجيب: إن هذه التسمية مجرد اصطلاح؛ قصد بها التفرقة بين نوعين من المجاز، مختلفي العلاقة.

علاقة المجاز المرسل

...

علاقات المجاز المرسل:

للمجاز المرسل علاقات عدة، أشهرها وأكثرها استعمالًا ما يلي بعد:

١- السببية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا في المعنى المراد كما تقدم في قولنا: "رعت الإبل الغيث" أي: النبات، ففي "الغيث" مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المعنى الأصلي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات"، والقرينة قوله: "رعت" إذ إن الغيث لا يرعى.

٢- المسببية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا عن المعنى المراد، كقولك: "أمطرت السماء نباتًا" أي: ماء "فالنبات" مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن المعنى الأصلي "للنبات" مسبب عن المعنى المراد الذي هو "الماء"، والقرينة قوله: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

٣- اللازمية[١]: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور لازمًا للمعنى المراد، أي: يلزم من وجود المعنى المراد وجوده، كما تقول: بزغ الضوء، تريد "الشمس" فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية؛ لأن المعنى الأصلي للضوء لازم للمعنى المراد الذي هو "الشمس"، إذ يلزم من وجود الشمس وجود الضوء، والقرينة قوله: "بزغ" إذ إن البزوغ وصف لجرم الشمس، لا للضوء.

---

١ المراد باللزوم هنا عدم الانفكاك، لا مطلق ارتباط.

٤- الملزومية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور ملزومًا للمعنى المراد أي: يلزم من وجوده وجود المعنى المراد كما تقول: ملأت الشمس المكان، "فالشمس" مجاز مرسل علاقته الملزومية؛ لأن المعنى الأصلي للشمس ملزوم للمعنى المراد الذي هو "الضوء"، والقرينة قوله: "ملأت" فهو وصف للضوء لا للجرم المعروف كما لا يخفى.

٥- الكلية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور كلًّا متضمنًا للمعنى المراد، كقوله تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} أي: أناملهم، ففي {أَصَابِعَهُمْ} مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأن المعنى الأصلي للأصابع كل الأنامل، متضمن لها، والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.

٦- الجزئية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءًا من المعنى المراد، كقوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أي: عبد مؤمن ففي {رَقَبَةٍ} مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للرقبة جزء من العبد، والقرينة أن التحرير إنما يكون للذات كلها، لا لجزء منها؛ إذ إن العتق لا يتجزأ. وكقولهم: "بث الملك عيونه" أي: رقباءه جمع رقيب، وهو يرقب

حركات العدو، ففي "العيون" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للعين جزء من الرقيب، والقرينة استحالة بث العيون وحدها. وكقول معبد بن أوس المزني[1] في ابن أخته:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد[2] ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

يريد: "فلما قال قصيدة" ففي لفظ "قافية" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للقافية جزء من القصيدة، والقرينة قوله: "هجاني" لأن الهجاء لا يتأتى من القافية وحدها، غير أنه يشترط لهذه العلاقة أحد أمور ثلاثة:

الأول: أن يكون انتفاء الجزء مستلزمًا لانتفاء الكل، كما في إطلاق الرقبة

---

١ هو شاعر مخضرم يحسن القول في باب الحكم، وفي الشعر الخلقي.

٢ يروى بالسين المهملة من التسديد في الرمي، أي: الإصابة فيه.

على الذات في المثال الأول، إذ ليس من شك اليقين أن إعدام الرقبة إعدام للذات، فلا يصح حينئذ إطلاق اليد أو الرجل أو الأذن على الإنسان مجازًا مرسلًا؛ لأنها إجراء لا يستلزم انتفاؤها انتفاء الإنسان عادة.

الثاني: أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل، كما في إطلاق العين على الرقيب في المثال الثاني، فإن المعنى المقصود من الرقيب هو الاطلاع والتجسس، ولا شك أن للعين مزيد اختصاص في تحقق هذا المعنى؛ إذ بانعدامها ينعدم معنى الرقابة، فإطلاق الإذن مثلا على الرقيب مجازًا مرسلًا لا يحسن، إذ ليس لها مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الرقيب.

الثالث: أن يكون الجزء أشرف بقية الأجزاء، كما في إطلاق القافية على القصيدة في المثال الثالث؛ إذ لا ريب أن القافية هي الأساس الذي تبنى عليه القصيدة، فهي إذًا أشرف التفاعيل وأولاها بالاعتبار، فلا يجوز إطلاق أي جزء آخر من أجزاء البيت على القصيدة مجازًا مرسلًا، إذ ليس له من الاعتبار ما للقافية.

٧- الحالية: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالا في المعنى المراد، كقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} أي: ففي جنة الله، فقوله: {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إذ إن رحمة الله بمعنى نعمه وآلائه حالة في جنته، والقرينة استحالة ظرفية الرحمة بمعناها الحقيقي. ومثله قول الشاعر:

قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي؟

يريد: إذا تأخر فرسه، أي: تقاعس ورجع إلى خلف خوفًا وجبنًا، "فسرجه" مجاز مرسل علاقته

الحالية؛ لأنه حال فوق ظهر الفرس.

٨- المحلية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلا للمعنى المراد، كقوله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} ١ أي: أهل النادي، ففي {نَادِيَهُ}

---

١ نادي القوم: مجتمعهم كالمنتدى.

مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن المعنى الأصلي للفظ "النادي" محل للمعنى المراد الذي هو الأهل، والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي. وكقوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} أي: أهل القرية "فالقرية" مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن القرية بمعناها الحقيقي محل لساكنيها، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الأصلي أي: على أحد الاحتمالين في المثالين١.

٩- الآلية: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة، ووسيلة للمعنى المراد، كقوله تعالى: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} أي: ذكرًا صادقًا وثناء عطرًا فيمن يأتي بعدي من الأمم، ففي {لِسَانَ صِدْقٍ} مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن اللسان بمعناه الأصلي آلة وواسطة للذكر الحسن الذي هو المعنى المراد، والقرينة: استحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الحقيقي فيمن يأتي من الأمم بعد. ومنه قول الشاعر: "أتاني لسان منك لا أستسيغه" أي: ذكر لا يسر، أطلق عليه اللسان مجازًا مرسلًا؛ لأنه آلة الذكر، وقرينته استحالة إتيان اللسان بمعناه الحقيقي.

١٠- اعتبار ما كان: وهو أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سابق الحصول على المعنى المراد، كقوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى ٢ أَمْوَالَهُمْ} يريد البالغين، ففي لفظ {الْيَتَامَى} مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ لأن المعنى الحقيقي "لليتيم" سابق الوجود على المعنى المراد، وهو "البالغ"، والقرينة على أن المراد باليتامى البالغون منهم الأمر بدفع الأموال لهم أي: تمكينهم منها بالتصرف فيها، ولا يكون ذلك إلا بعد البلوغ.

١١- اعتبار ما يكون: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مستقبل الحصول ظنًّا أو يقينًا. فالأول كقوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} يريد "عنبًا" يئول عصيره إلى خمر، ففي قوله: {خَمْرًا} مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما يكون، أي: ما يئول إليه عصيره فيما بعد من الاختمار، فالمعنى الحقيقي للخمر مستقبل الوقوع وإنما

---

١ والاحتمال الآخر أن يكون مجازًا بالحذف.

٢ اليتامى: جمع يتيم، وهو من الإنسان صغير فقد أباه، ومن الحيوان رضيع فقد أمه.

كان هذا المآل مظنونًا؛ لاحتمال أن يقوم حائل دون الاختمار، والقرينة على أن المراد العنب لفظ "الخمر" لأنها عصير والعصير لا يعصر، ومثل قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ} أي:

بطفل يئول إلى غلام. والثاني قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} يريد: إنك سوف تموت، وإنهم سوف يموتون، فالتعبير "بميت" مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون أي: ما سيئول إليه حالهم من المصير المحتوم، والقرينة على التجوز مقام الخطاب؛ لأن من مات فعلا لا يخاطب.

١٢- المجاورة: أن يكون الشيء مجاورًا لآخر في مكانه كإطلاق "الراوية" على القربة في قولك: "خلت الراوية من الماء" تريد: القربة، ومعنى الراوية في الأصل "الدابة" التي يستقى عليها، فالراوية حينئذ مجاز مرسل علاقته المجاورة؛ لمجاورة الدابة للقربة عند حملها، والقرينة لفظ "خلت" لأن الذي يخلو من الماء هو الوعاء، لا الحيوان. ومما علاقته المجاورة إطلاق العلم على الظن، أو العكس لتقاربهما في المعنى فهما متجاوران.

١٣- البدلية: وهو أن يكون الشيء بدلًا عن آخر، كإطلاق القضاء على الأداء في قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ} يريد: "فإذا أديتم"؛ لأن الإتيان بالصلاة في وقتها يسمى أداء لا قضاء، فالتعبير بالقضاء بدلا عن الأداء مجاز مرسل علاقته "البدلية" والقرينة مقام الخطاب؛ إذ إن الخطاب مع من يوفون الصلاة في أوقاتها، ومثل هذا يسمى عندهم أداء.

١٤- المبدلية: وهي أن يكون الشيء مبدلًا عنه آخر، كإطلاق الدم على الدية في قول شاعر يتبرم بعشرة زوجه ويتوعدها بالزواج عليها:

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر[١]

يريد: أكلت "دية"، ففي قوله: "دما" مجاز مرسل علاقته "المبدلية"

---

١ راعه: أخافه، والضرة بفتح الضاد: إحدى الزوجتين أو الزوجات، والقرط: ما يعلق في شحمة الأذن، وبعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

فإن الدم مبدل منه الدية، والدية يأخذها ولي الدم بدلًا عنه، والقرينة قوله: "أكلت" لأن الدم المسفوك لا يؤكل.

١٥- العموم: وهو أن يكون اللفظ المذكور دالًّا على العموم، شاملًا لكثيرين؛ كإطلاق لفظ {النَّاسَ} على محمد -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} ففي {النَّاسَ} مجاز مرسل علاقته العموم، والقرينة حالية.

١٦- الخصوص: وهو أن يكون اللفظ المذكور دالًّا على الخصوص، كإطلاق اسم أبي القبيلة "كتميم أو تغلب" على القبيلة قبل أن يغلب عليها.

١٧- التعلق الاشتقاقي: وهو أن يكون اللفظ مشتقًّا منه غيره، كإطلاق المصدر على اسم المفعول في قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} أي: مخلوقه، وقوله تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ

عِلْمِهِ} أي: معلومه، فكل من الخلق والعلم مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر واسم المفعول من الربط الاشتقاقي.

١٨- التقييد والإطلاق: هو أن يكون الشيء مقيدًا، ثم يطلق عن قيده كما في إطلاق "المشفر" على شفة "زيد" مثلًا في قولك: "مشفر زيد يسيل دمًا" تريد شفته، فالمشفر "في الأصل" للبعير خاصة، ثم أطلق عن هذا القيد، وأريد به مطلق شفة، فصح إطلاقه على شفة زيد باعتبارها فردًا من أفراد هذا المطلق، فيكون مجازًا مرسلًا علاقته التقييد والإطلاق. ومثله إطلاق "المرسن" على أنف المرأة في قول الشاعر: "وفاحمًا ومرسنًا مرسجًا" فالمرسن في الأصل أنف البعير؛ لأنه موضع الرسن منه، ثم أطلق على قيده وأريد به مطلق أنف، فصح إطلاقه على أنف المرأة باعتباره أحد أفراد هذا المطلق، فهو مجاز مرسل علاقته التقييد والإطلاق[1].

ويصح في مثل هذين المثالين أن تكون العلاقة المشابهة؛ وحينئذ يكون

---

[1] والمجاز المرسل في المثالين ذو مرتبة واحدة، فإذا أطلق المشفر على شفة زيد لا باعتبارها أحد أفراد مطلق شفة، بل باعتبارها خصوص شفة زيد، كان المجاز المرسل ذا مرتبتين، ومثل هذا يقال في المرسن وأشباهه.

اللفظ "استعارة" بأن تشبه شفة زيد بمشفر البعير في الغلظ والتدلي، ثم يستعار لها لفظ "مشفر" -ومثل هذا يقال في "المرسن"- فاللفظ الواحد قد يكون مجازًا مرسلًا واستعارة باعتبارين، فإن اعتبرت العلاقة بين الطرفين غير المشابهة كان اللفظ "مجازًا مرسلًا"، وإن اعتبرت العلاقة المشابهة كان اللفظ "استعارة"، والعبرة بقصد المتكلم وإرادته، فإن لم يعلم قصده بأن لم تقم قرينة عليه احتمل اللفظ الأمرين.

إلى غير ذلك من علاقات المجاز المرسل، فهي لا تقف عند هذا العدد، وإنما أحصينا لك أشهرها، وأكثرها استعمالًا.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن القصد من العلاقة: أن يتحقق ارتباط بين الشيئين على أي وجه، فإطلاق الدال على المدلول مثلًا في قولك: "فهمت الألفاظ" أي: معانيها "مجاز مرسل" علاقته يصح أن تكون "المجاورة"، على اعتبار أن الدال وهو "اللفظ" مجاور للمدلول الذي هو "المعنى. ويجوز أن تكون العلاقة "المحلية" على اعتبار أن الدال محل للمدلول، إذ الألفاظ "كما يقولون" قوالب للمعاني، وإذًا فنوع العلاقة ليس وقفًا على ما ذكرنا، وإنما يرشدك إليها الذوق، ويدلك عليها فهم الكلام.

الثاني: مما تقدم يعلم أن المراعى في علاقات المجاز المرسل جانب المعنى المنقول عنه اللفظ المذكور في الكلام، فإن كان المنقول عنه سببًا في المنقول إليه كانت العلاقة السببية، وإن كان مسببًا كانت العلاقة المسببية، وهكذا فالعلاقة في نحو "رعينا الغيث" السببية؛ لأن المعنى المنقول عنه لفظ "الغيث" سبب في المعنى المنقول إليه وهو "النبات"، والعلاقة في نحو: "أمطرت السماء نباتًا" المسببية؛ لأن المعنى المنقول عنه لفظ "النبات" مسبب عن المعنى المنقول إليه وهو "الغيث". وإنما روعي في العلاقة جانب المعنى المنقول

عنه اللفظ؛ لأنه الأصل فهو أولى بالمراعاة. وقيل: يراعى فيها جانب المعنى المنقول إليه؛ لأنه المراد، وبناء عليه تكون العلاقة في المثال الأول "المسببية" وفي المثال الثاني "السببية" عكس القول الأول. وقيل: يراعى الجانبان معًا، فينص حينئذ على الأمرين فيقال: علاقة المجاز السببية والمسببية، أو الحالية والمحلية، وهكذا، ففي المسألة أقوال أرجحها الأول.

تمرين:

١- عرف المجاز المرسل، ثم وضح التعريف بمثال تختاره من إنشائك، مع بيان علة تسميته "مرسلًا" ولِمَ لم يسم "استعارة" مع أن اللفظ فيه مستعار معناه الأصلي لمعنى آخر؟

٢- بين المجاز المرسل، ووضح علاقته وقرينته في العبارات والأبيات الآتية بعد:

١- عمت أياديك الورى.

٢- تبث الحكومة الأمن في أرجاء البلاد.

٣- شربت ماء النيل.

٤- شربت البن.

٥- غرست القطن في أرضنا.

٦- قرر المجلس الأعلى كذا وكذا.

٧- أقمنا في نعيم ورفاهية.

٨- {وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا} .

٩- {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} .

١٠- أرانا الله وجوهكم في خير.

١١- {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} .

١٢- تناولت من الطبيب الشفاء.

١٣-

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

١٤-

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى له قدم

-١٥

تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

الجواب على السؤال الثاني:

١- في "أياديك" مجاز مرسل علاقته السببية؛ إذ إن المراد بالأيادي العطايا

واليد الحقيقية سبب في إيصالها إلى مستحقها، والقرينة قوله: "عمت" إذ العموم لا يناسب اليد بمعناها الحقيقي.

٢- في "الأمن" مجاز مرسل علاقته المسببيه؛ إذ إن المراد: رجال الأمن وهو مسبب عنهم، والقرينة في قوله: "تبث" لأن الأمن بمعناه الحقيقي لا يبث، وإنما الذي يبث رجاله.

٣- في "ماء النيل" مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ المراد بعض مائه والنيل كل لهذا الجزء المشروب، والقرينة قوله "شربت" لأن النيل لا يشرب كله.

٤- في البن مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ إذ المراد القهوة، وهي كانت قبل ذلك بنًّا، والقرينة قوله: شربت؛ إذ إن البن بمعناه الحقيقي لا يشرب.

٥- في القطن مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون؛ إذ إن المراد الحب الذي سيئول قطنا فيما بعد في غالب الظن، والقرينة قوله: غرست لأن القطن بمعناه الأصلي لا يغرس، وإنما يجنى.

٦- في المجلس مجاز مرسل علاقته المحلية؛ إذ المراد رجال المجلس وهو محل لهم، والقرينة قوله: "قرر" لأن صدور القرار في المجلس بمعناه الحقيقي محال.

٧- في "نعيم ورفاهية" مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إذ المراد المكان الحال فيه النعيم والرفاهية، والقرينة استحالة الإقامة في النعيم والرفاهية بمعناها الحقيقي.

٨- في {السَّمَاءَ} مجاز مرسل علاقته المحلية؛ إذ إن المراد الغيثُ، والسماء محل له، والقرينة قوله: {أَرْسَلْنَا} لأن لمرسل هو الماء لا السماء.

٩- في {الْأَنْهَارَ} مجاز مرسل علاقته المحلية أيضًا؛ إذ المراد الماء الذي يجري في الأنهار، والقرينة قوله: {تَجْرِي} لأن الجري من شئون المياه، لا من صفات الأنهار.

١٠- في وجوهكم مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ المراد الأشخاص أنفسهم والوجه جزء الإنسان، والقرينة عقلية إذ لا معنى لأن يراد رؤية الوجه وحده.

١١- في {يَدُ اللَّهِ} مجاز مرسل علاقته السببية؛ إذ إن المراد القوة، واليد منشأ هذه القوة وأكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد؛ فيها الضرب، والبطش، والدفع، والقطع، والقرينة عقلية إذ لا معنى لوضع اليد الحقيقية فوق أخرى.

١٢- في الشفاء مجاز مرسل علاقته المسببية؛ إذ إن المراد الدواء، والشفاء مسبب عنه،

والقرينة استحالة شرب الشفاء بمعناه الأصلي.

١٣- في القلوب مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ المراد الذات، والقرينة قوله: "تستعبد" لأن الاستعباد إنما يكون اللذات، لا لأجزاء منها.

١٤- في "قدم" محاز مرسل علاقته الجزئية أيضًا؛ إذ إن المراد: "الإنسان الساعي" والقدم جزء منه، والقرينة قوله: "تسعى" لأن السعي من القدم وحدها محال.

١٥- في "نفوسنا" مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ المراد: "دماؤها" والنفس كل يتضمن الدم وغيره، والقرينة قوله: "تسيل" لأن السيلان من صفات الدم.

تمرين يطلب جوابه على نحو ما تقدم:

وكنت إذا كف أتتك عديمة ... ترجي نوالًا من سحابك بلت

غرست الورد في البستان. "كذلك يعادي العلم من هو جاهل". قامت البلاد وقعدت لهذا النبأ. "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن". فرجعوا إلى أنفسهم أي: آرائهم. حكمت المحكمة بكذا. شربنا الزبيب.

بلادي -وإن جارت علي- عزيزة ... وأهلي -وإن ضنوا علي- كرام

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟

{وَجَاءَ رَبُّكَ} . {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} . {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} . {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} .

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

فهمت الكتاب أبرّ الكتب ... فسمعا لأمر أمير العرب

المجاز المركب

الاستعارة التمثيلية

...

المجاز المركب:

قلنا: إن المجاز في اللفظ على نوعين: مفرد، ومركب، وقد فرغنا من الكلام في المفرد وهاك بيان المجاز المركب.

تعريفه: هو اللفظ المركب المستعمل في غير المعنى الذي وضع له؛ لعلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

وينقسم باعتبار هذه العلاقة إلى قسمين: استعارة تمثيلية، ومجاز مرسل.

الاستعارة التمثيلية:

هي ما يكون كل من الطرفين فيها هيئة منتزعة من متعدد، والعلاقة بينهما المشابهة كما تقدم في التشبيهات المركبة أي: في الهيئات المنتزعة من متعدد، إذا استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، كما في قوله تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} وحقيقة الكلام: فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالًا لأمره، وتهوينًا من شأنه.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه، ولم يراعوه بهيئة من كان معه شيء لا يهمه، ولا قيمة له عنده، فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء يهمل احتقارًا لشأنه ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد تناسي التشبيه وادعاء الاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية؛ لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئًا وراء الظهور حقيقة، فحالتهم على غير ما يفيده هذا التركيب وضعًا.

وكقولهم في المتردد في أمره المتحير: أراك تقدم وجلًا، وتؤخر

أخرى١ ، وحقيقة الكلام: أراك متحيرًا في أمرك، مترددًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة المتردد في أمره بين الإقدام والإحجام بهيئة رجل قام ليذهب إلى جهة، فتارة يعقد النية على الذهاب فيقدم رجلًا، وتارة يعدل فيؤخرها ثانيًا، والجامع الهيئة الحاصلة من إقدام تارة، وإحجام أخرى ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسي والادعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية؛ إذ إن المتردد المذكور لا يقدم رجلًا ولا يؤخر أخرى، فحالته على غير ما يدل عليه المركب وضعًا.

وسميت الاستعارة في المركب "تمثيلية" لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة من متعدد كما في هذين المثالين، أو للتنويه بعظم شأنها كأن غيرها لا تمثيل فيه؛ ولذا كانت محط أنظار البلغاء، وموضع تقديرهم.

وإذا فشت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت "مثلًا"، فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية.

والمثل يراعى فيه المعنى الذي ورد فيه أولًا، فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع، مذكرًا، أو مؤنثًا من غير تغيير في أصل العبارة؛ لأنه "كما قلنا" استعارة تمثيلية، والاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه كما في مثال المتردد، فقد ورد في شخص معين ثم فشا استعماله حتى صار مثلًا يضرب لكل متحير في أمره، متردد فيه، مفردًا كان، أو مثنى، أو جمعًا، مذكرًا، أو مؤنثًا، فيقال لكل واحد ممن ذكر: أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، فينطق به كما ورد.

وأصل هذا المثل: أن الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة، وبلغه توقف مروان بن محمد في البيعة كتب له الوليد يقول: أما بعد: فإني أراك تقدم رجلًا وتؤخر

١ قوله: "تقدم رجلًا" أي: تارة، ومفعول "تؤخر" محذوف أي: تلك الرجل المقدمة "وأخرى" نعت "لتارة" المحذوفة، أي: تارة أخرى، وأصل الكلام: أراك تقدم رجلًا تارة، وتؤخرها تارة أخرى.

أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام.

ومثل المثال المذكور قولهم: "الصيف ضيعت اللبن" بكسر تاء الفاعل، فقد ورد في امرأة، ثم شاع استعماله وذاع، حتى صار مثلًا يضرب لمن فرط في تحصيل شيء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه في زمن يتعذر فيه تحصيله. وأصل هذا المثال: أن امرأة شابة كانت تحت شيخ طاعن ذي ثروة، فطلبت إليه الطلاق لضعفه وكبره، وكان ذلك في زمن الصيف، فأجابها إلى ما طلبت وتزوجت بعده بشاب فقير، ثم احتاجت إلى اللبن فذهبت في فصل الشتاء إلى زوجها الأول تطلب منه لبنًا، فلم يجبها إلى طلبها، وقال لها هذا القول المأثور، فصار مثلًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من فرط في شيء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه في وقت يتعذر الحصول عليه فيه، بهيئة امرأة تركت زوجها وعنده لبن، ثم أتت إليه بعد فراقها تطلب اللبن منه، والجامع الهيئة الحاصلة من التفريط في شيء وقت إمكانه، وطلبه وقت تعذره، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد التناسي والادعاء، على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية إذ إن حالة المقول فيه المثل على غير ما يدل عليه اللفظ وضعًا.

وكقولهم: أحشفًا وسوء كيلة١، يضرب لمن يظلم من وجهين. وأصل هذا المثل: أن رجلًا اشترى تمرًا من آخر، فإذا هو حشف وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل باع لآخر تمرًا حشفًا، وكان مع ذلك يطفف المكيال، والجامع الهيئة الحاصلة من ظلم مزدوج، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسي والادعاء استعارة تمثيلية، والقرينة حالية؛ لأن حالة المقول فيه المثل تغاير ما يدل عليه اللفظ وضعًا كما ذكرنا. وكقول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

١ بكسر الكاف اسم بمعنى الكيل، وبفتح الكاف مصدر كال الشيء يكيله بمعنى: قدره بالمكيال.

هو مثل يضرب لمن تحل المشاكل بوجوده. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت حال من تحل المشاكل بوجوده بحال نبي الله موسى -عليه السلام- مع سحرة فرعون بجامع حال

الشيء يحسم عنده النزاع، ثم استعير ... إلخ، أو هو مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجل شأنًا. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يصغر شأنه عند وجود الأجل منه شأنًا بهيئة قوم فرعون، وقد أخفقوا في سحرهم عند مجيء موسى -عليه السلام- وإلقائه العصا، والجامع الهيئة الحاصلة من ضآلة شيء حقير بجانب شيء خطير، والقرينة حالية كسابقاتها، وقس على ذلك جميع الأمثال السائرة نثرًا ونظمًا.

المجاز المرسل المركب [١]:

هو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة كما في الجمل الإخبارية المستعملة في الإنشاء لأغراض لم يوضع لها الخبر؛ كإظهار التحسر، أو الضعف، أو السرور، أو الشماتة، أو نحو ذلك.

فمثال الخبر المستعمل في إنشاء التحسر والتحزن قول الشاعر:

ذهب الصبا وتولت الأيام ... فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

فهذا الخبر -وإن كان في أصل وضعه للإخبار- مستعمل في إنشاء التحسر على فقدان الشباب، وذهاب أيامه، والعلاقة فيه اللزوم؛ إذ يلزم من الإخبار بذهاب الصبا التحسر والتحزن عليه، والقرينة قوله: "فعلى الصبا وعلى الزمان سلام". ومثال الخبر المستعمل في إظهار الضعف قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} فزكريا -عليه السلام- لا يريد بهذا القول أن يخبر الله بحاله؛ إذ يعلم أن الله لا يخفى عليه خافية ولكنه قصد بهذا إظهار الضعف. وإنه بلغ من الوهن غاية لا أمل له بعده في الحياة، والعلاقة اللزوم كالذي قبله، والقرينة مقام الخطاب. ومثال الخبر المستعمل في إظهار السرور قولك لم يعلم بنجاحك

---

[١] إنما أطلق عليه هذا الاسم قياسًا على المجاز المفرد، وإلا فإن العلماء لم يضعوا له اسما، بل إن أكثرهم لم يبحثوه بحثًا تفصيليًّا.

وأنت تعلم منه ذلك: "نجحت في الامتحان" فليس الغرض أن تفيده بنجاحك، وإنما تريد أن تظهر له سرورك بهذا النجاح، والعلاقة والقرينة كالذي قبله.

إلى غير ذلك من الأخبار التي لم يقصد بها الإفادة، غير أن العلماء أهملوا هذا القسم، ولم يبحثوه لتضارب الآراء فيه؛ لهذا لم نشأ الإطالة في البحث فيه.

تمرين:

١- عرف المجاز المركب وقسمه، ومثل لكل قسم.

٢- عرف الاستعارة التمثيلية، وبين لِمَ سميت تمثيلية، ومتى تسمى مثلًا؟ ثم أجر الاستعارة في قولهم: أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا [١]، وهو مثل يضرب لمن يعد ولا يفي بما يعد.

٣- أجر الاستعارة التمثيلية فيما يأتي على قياس ما سبق:

اليد لا تصفق وحدها "لمن يعجز عن القيام بعمل وحده". تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها "لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب".

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها ... عند التقلب في أنيابها العطب

"يضرب لمن يخدع الناس بلينه، ثم يعود عليه طبعه، فينقلب على من خدعه".

بالملح تصلح ما نخشى تغيره ... فكيف بالملح إن حلت به الغير؟

"يضرب لمن فسدت حاله ممن هو قدوة لغيره" كرجال العلم والدين. "إن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى" ٢ "يضرب لمن جاوز الحد في العمل". تلدغ العقرب وتصيء٣ "يضرب لمن يظلم ويتظلم". تسمع بالمعيدي٤ خير من أن تراه

"يضرب لمن منظره دون مخبره". رجع بخفي حنين٥ "لمن يعمل عملًا فيخيب فيه". رمية من غير رامٍ "لمن يصدر منه فعل حسن ليس له أهلًا".

---

١ "الطحن" بكسر الطاء: الدقيق.

٢ "المنبت" هو من أجهد دابته في السير فنفقت قبل الوصول، والمراد بالظهر: الدابة.

٣ يسيل ماؤها.

٤ هو مصغر معدي بتشديد الدال، والياء للنسبة إلى قبيلة "معد"، وهو رجل كان كريه المنظر حسن الصوت.

٥ رجل كان إسكافيا يصنع الأحذية

المبحث الخامس: في الكناية

مدخل

...

المبحث الخامس: في الكناية

تعريفها: هي في اللغة: أن تتكلم بالشيء، وتريد غيره، وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به وبابه رمى يرمي. وورد "كنوت" بكذا عن كذا، من باب "دعا يدعو". وقد أنشد الجوهري:

وإني لأكنو عن قدور بغيرها ... وأعرب أحيانًا بها وأصارح

ومعناها اصطلاحًا: لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحقيقي، مع قرينة غير مانعة من إرادة هذا المعنى، كما تقول: محمد طويل النجاد١، فالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ: هو أن نجاد محمد طويلة وليس هذا مرادًا، إنما المراد لازم هذا المعنى وهو أن محمدًا طويل القامة؛ إذ يلزم عادة

من طول النجاد أن تكون القامة طويلة، ويصح مع هذا إرادة المعنى الحقيقي أيضًا بأن يراد المعنيان معًا –طول النجاد، وطول القامة– وبهذا:

تخالف الكناية المجاز؛ ذلك أن قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي "كما عرفت" من أن نحو: "كلمني أسد" لا يجوز أن يراد منه الحيوان المفترس؛ لأن فيه قرينة تمنع من ذلك، وهو "كلمني" إذ إن الكلام من شأن الإنسان لا من شأن الأسود، أما قرينة الكناية فغير مانعة "كما رأيت".

تنبيه:

ليس بلازم في الكناية أن يكون المعنى الحقيقي للفظ المكنى به متحققًا في الواقع؛ إذ يصح أن تقول: "فلان طويل النجاد" كناية عن طول القامة، وإن

---

١ ما يوضع على العاتق من حمائل السيف.

لم يكن له نجاد بل تصح الكناية حتى مع استحالة المعنى الحقيقي، كما في قولهم: "المجد بين برديه، والكرم تحت ردائه" كناية عن إثبات المجد والكرم للمدوح، فإن المعنى الحقيقي للفظ المذكور وهو حلول المجد بين البردين والكرم تحت الرداء مستحيل الحصول؛ إذ إن الحلول الحسي بين الأشياء أو تحتها من شأن الأجسام لا المعاني. وكما في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كناية عن الاستيلاء والسيطرة، فإن المعنى الحقيقي للاستواء هو "الجلوس" وذلك مستحيل على الله سبحانه. ومن هنا يعلم أن الشرط في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي، لا إرادته بالفعل لامتناع إرادته فيما ذكرنا ا. هـ.

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

١- كناية يطلب بها صفة١.

٢- كناية يطلب بها موصوف.

٣- كناية يطلب بها نسبة صفة إلى موصوف.

فالأولى –وهي المطلوب بها صفة– ضابطها: أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها كما في المثال السابق، وهو قولنا: "محمد طويل النجاد" كناية عن طول القامة، فقد صرح بالموصوف وهو "محمد"، وصرح بالنسبة وهي إسناد طول النجاد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وهي "طول القامة"، ولكن ذكر مكانها صفة أخرى تستلزمها هي "طول النجاد"، كما سبق. وكقولهم: "عباس كثير الرماد" كناية عن جوده، فقد صرح في هذه الكناية بالموصوف، وهو "عباس" وصرح بالنسبة

وهي إسناد كثرة الرماد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، وهي "الجود"

١ المراد بالصفة هنا المعنى القائم بالغير كالجود، وطول القامة لا خصوص النعت النحوي.

ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها هي "كثرة الرماد" إذ يلزم من "كثرة الرماد" صفة الجود كما سيأتي قريبًا، وهكذا.

وهذه الكناية ضربان: قريبة وبعيدة.

فالقريبة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بلا واسطة بين المنتقل عنه، والمنتقل إليه كما في قولنا: "محمد طويل النجاد" فإن المطلوب بقولنا: "طويل النجاد" صفة هي طول القامة -كما بينا- وليس بين طول النجاد وطول القامة واسطة، وإنما ينتقل الذهن من طول النجاد إلى طول القامة مباشرة.

والقريبة نوعان: واضحة، وخفية.

فالواضحة: ما يفهم المقصود لأول وهلة كالمثال المذكور، فإن طول القامة يفهم من طول النجاد بلا حاجة إلى تأمل؛ لوضوح اللزوم بينهما كما عرفت، وقد تسمى إيماء وإشارة١.

والخفية: ما لا يفهم منها المقصود إلا مع شيء من التأمل والتفكير، كما في قولهم: "فلان عريض القفا" كناية عن أنه أبله، فإن عرض القفا بإفراط مما يستدل به على البلاهة إلا أن فهم البلاهة منه يتوقف على إعمال فكر وروية؛ لأن في اللزوم بين المعنيين نوع خفاء وقد تسمى رمزًا٢.

والبعيدة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بواسطة، كما في قولنا: "عباس كثير الرماد" كناية عن أنه جواد سمح، فالمطلوب بهذه الكناية صفة هي "الجود" وبين كثرة الرماد وصفة الجود وسائط عدة لا بد من مراعاتها للوصول إلى هذه الصفة؛ فينتقل أولًا من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ثم إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى "الجود" وقد تسمى تلويحًا٣.

١ لأن أصل الإشارة أن تكون حسية، وهي ظاهرة ومثلها الإيماء.

٢ لأن الرمز أن تشير إلى غيرك من قرب خفية.

٣ لأن التلويح أن تشير إلى غيرك من بعد.

والثانية -وهو المطلوب بها موصوف- ضابطها: أن تصرح بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة تختص به كما في قولك: "فلان صفا لي مجمع لبه" أي: قلبه فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي "مجمع اللب" وصرح

بالنسبة، وهي إسناد الصفاء إليها ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو "القلب" ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو مجمع اللب، فإن القلب "كما يقولون" موضع العقل والتفكير. ومنه قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخزم ... والطاعنين مجامع الأضغان[1]

يصف القوم بالبسالة، وحسن البلاء في الحروب، وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونًا، وقد كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن "القلوب" لاختصاص الوصف المذكور بها؛ إذ إن الضغن لا يكون في غير القلب.

وهذه الكناية أيضًا نوعان:

الأول: ما تكون الكناية فيه معنًى واحدًا، لا تعدد فيه كما تقدم في قولنا: "فلان صفا لبه" فإن مجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد "كما ترى". والمراد بوحدة المعنى هنا ألا يكون من أجناس مختلفة، إن كان مثنى أو جمعًا، فمجامع الأضغان في قول الشاعر السابق –وإن كان جمعًا– هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو القلب، لا أجناس مختلفة.

الثاني: ما تكون الكناية فيه مجموع معانٍ مختلفة كما يقال في الكناية عن الإنسان: "زارني حي، مستوي القامة، عريض الأظافر" فالكناية مجموع هذه المعاني من الحياة، واستواء القامة، وعرض الأظافر، لا كل واحد منها، وهذه المعاني مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد في سواه.

---

[1] "الأبيض": السيف، والمخزم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الزاي: القاطع، والضغن: الحقد.

والثالثة –وهي المطلوب بها نسبة– ضابطها: أن تصرح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها، وهذه النسبة إما أن تكون إثباتًا أو نفيًا، فمثالها في الإثبات قولهم: "الكرم بين ثوبي محمد" كناية عن إثبات الكرم له، فقد صرح في هذه الكناية بالموصوف وهو "محمد" وصرح بالصفة وهي "الكرم" ولكن لم يصرح بنسبة الكرم إليه، وإنما ذكر مكانها نسبة أخرى هي نسبة الكرم إلى ثوبيه إثباتًا، وهي تستلزم نسبة الكرم إليه من حيث وجوده بين ثوبيه الخاصين به. ومنه قول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج[1]

فإن إثبات هذه الأمور الثلاثة للقبة الخاصة بابن الحشرج يستلزم إثباتها له على نحو ما تقدم.

ومثالها في النفي قول الشنفرى، يصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد صرح بالموصوف، وهو الضمير في "بيتها" العائد على المرأة، وصرح بالصفة وهي "اللوم المنفي" في قوله: "بمنجاة من اللوم" ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هي نفي اللوم عن بيت يحتويها، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها.

تمرين:

١- عرف الكناية لغة واصطلاحًا، وبين الفرق بينها وبين المجاز.

٢- اذكر أقسام الكناية باعتبار المكنى عنها، وضابط كل منها مع التمثيل.

٣- عرف الكناية البعيدة، ومثل لها، وبين وجه البعد فيها.

---

١ هو عبد الله بن الحشرج، كان أميرًا على نيسابور، يدل على ذلك قوله: "في قبة" إذ يفهم منه أن الممدوح ممن تضرب له القباب، وذلك عنوان السيادة والإمارة.

٤- ائت بمثالين للكناية المطلوب بها صفة، وبمثلهما للكناية عن الموصوف، وبآخرين للكناية عن النسبة، ثم بين المكنى به، والمكنى عنه، ونوع الكناية في قول الشاعر:

وكلبك آنس بالزائرين ... من الأم بابنتها الزائرة

٥- وضح نوع الكناية فيما يأتي:

١-

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

٢-

أوما رأيت المجد ألقى رحله ... في آل[1] طلحة ثم لم يتحول

٣-

وما يك في من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل[2]

٤-

لا ينزل المجد إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

٥-

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

٦-

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا[3]

٧-

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها[4] ... بحيث يكون اللب والرعب والحقد

٨- هو سمين رخو

٩- فلان يفترش الثرى، ويتوسد الجنادل[٥].

١٠- فلان ملء إهابه[٦] الكرم.

١١- فلان عريض الوسادة.

١٢- {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} ٧.

---

١ على حذف مضاف أي: في خيام آل طلحة.

٢ الفصيل: ولد الناقة.

٣ الروادف جمع: ردف بكسر سكون، وهو عجيزة المرأة، والثدي بضم الثاء مع التشديد وكسر الدال وتشديد الياء جمع: ثدي بفتح فسكون، والقمص بضم القاف والميم وسكن للضرورة جمع: قميص، وقد جمعت هذه الأشياء للمبالغة.

٤ حديد السهم، أو الرمح.

٥ الحجارة.

٦ الإهاب بكسر الهمزة: الجلد.

٧ الدسر بضمتين جمع: دسار، وهو حبل من ليف تشد به ألواح السفينة.

الجواب على السؤال الأخير:

١- في الشطر الثاني من البيت كناية يراد بها صفة هي طول الرقبة؛ إذ يلزم من مهوى القرط أن يكون العنق طويلًا، وهذه الكناية قريبة لعدم وجود الواسطة بين بعد المهوى وطول الرقبة، وواضحة لوضوح اللزوم بين المعنيين.

٢- في البيت كناية يراد بها نسبة هي ثبوت المجد لآل طلحة، ذلك أن إلقاء المجد رحلة في خيام آل طلحة، وعدم تحوله عنها يستلزم ثبوت المجد لهم دائمًا؛ لأن المجد وصف لا يصلح قيامه بالخيام والأخبية وليس في الخيام سواهم، فلزم ثبوته لهم وهي قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٣- في الشطر الثاني من البيت كنايتان يراد بهما صفة هي "الجود"، فقد كنى أولًا عن جوده "يجبن الكلب" إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب واستئناسه بالناس، إلى كثرة مشاهدته لهم، ثم ينتقل من هذا، إلى كثرة من يقصدونه، ثم إلى كثرة قراه للأضياف، ومنه إلى أنه جواد سخي. وكنى ثانيًا عن جوده "بهزال الفصيل" إذ ينتقل الذهن من هزال الفصيل إلى فقدان لبن أمه بنحرها، أو بأخذ اللبن منها، ثم ينتقل من هذا إلى كثرة الآكلين أو الشاربين، ثم إلى كونه مضيافًا سخيًّا. والكنايتان بعيدتان لتعدد الوسائط بين المعنيين، وواضحتان لوضوح اللزوم بينهما.

٤- في الشطر الأول من البيت كناية يراد بها نسبة هي إثبات المجد لهم، ذلك أن نزول المجد في منازلهم الخاصة بهم، مقصورًا عليها لا يتعداها إلى غيرها، يستلزم ثبوت المجد لهم وقصره عليهم؛ إذ إن المجد صفة لا يصلح قيامها بالجدران والحوائط وليس في المنازل سواهم، فلزم أن تقوم الصفة بهم، والكانية قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٥- في الشطر الثاني من البيت كناية يراد بها نسبة هي ثبوت المجد للممدوح، ذلك أن حلول المجد بكل مكان يحل به الممدوح يستلزم ثبوت المجد له؛ لأن المجد "كما قلنا" وصف لا يصلح قيامه بالأماكن، فلزم ثبوته له وقيامه به، والكناية قريبة لعدم وجود الواسطة، وواضحة لوضوح اللزوم.

٦- في هذا البيت كناية عن عدة أوصاف في المرأة هي كبر عجيزتها، وعظم نهديها، وضمور بطنها، ودقة خصرها؛ ذلك أن منع عجيزتها ونهديها قمصها من أن تمس بطنها وظهرها يستلزم هذه الأوصاف المذكورة فصح أن يكون هذا المنع كناية عنها وهي كناية قريبة؛ لعدم وجود الواسطة، وواضحة لوضوح اللزوم بين هذا المنع وهذه الصفات.

٧- في الشطر الثاني من البيت كناية عن موصوف هو "القلب"؛ لأن القلب موطن الأشياء الثلاثة المذكورة، وكونه مواطنًا لها وصف خاص به، فصح أن يكون كناية عنه وهي قريبة واضحة.

٨- فيه كناية عن صفة هي الكسل وفقدان النشاط، ذلك أن بدانة الجسم ورخاوته تستدعيان الرغبة عن العمل، والزهادة فيه، وهذا هو عين الكسل، والكناية فيه قريبة واضحة لوضوح اللزوم بين البدانة والكسل.

٩- فيه كناية يراد بها صفة هي "الفقر"؛ لأن افتراش الثرى وتوسد الجنادل دليل فقدان ما يفترش ويتوسد، وهذا دليل ضيق ذات اليد وهي كناية بعيدة لوجود الواسطة، ولكنها واضحة اللزوم بين المعنيين.

١٠- كناية يراد بها نسبة هي إثبات الكرم للممدوح؛ لأن الكرم صفة لا يصلح إهاب الممدوح وعاء لها؛ فلزم ثبوت الكرم لذي الإهاب، وهي قريبة واضحة اللزوم.

١١- كناية يراد بها صفة هي "البله"؛ إذ يلزم من عرض الوسادة عرض القفا، وهو مما يستدل به على البلاهة، والكناية بعيدة لوجود الواسطة، وخفية لخفاء اللزوم بين عرض الوسادة والبلاهة.

١٢- كناية يراد بها موصوف هو "السفينة"؛ لأن مجموع الأمرين المذكورين وهما الألواح والدسر مشدودًا أحدهما بالآخر، وصف خاص بالسفن والكناية فيه واضحة.

تمرين يطلب جوابه قياسًا على ما سبق:

يكاد إذا ما أقبل الضيف مقبلًا ... يكلمه عن حبه وهو أعجم

لا أمتع العوذ[1] بالفصال ... ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

أبين فما يزرن سوى كريم ... وحسبك أن يزرن أبا سعيد

نشتكي ما اشتكيت ما ألم الشو ... ق إليها والشوق حيث النحول

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

متى تخلو تميم من كريم ... ومسلمة بن عمرو من تميم؟

فلان لا يضع العصا عن عاتقه. عباس طاهر الذيل. لبس الدهر لهم جلد النمر. {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} . فلان رحب الصدر قوي الظهر.

نموذج في التطبيق على جميع ما مر من قواعد علم البيان:

وزاد بك الحسن البديع نضارة ... كأنك في وجه الملاحة خال

الجواب: شبه الممدوح بالخال، ووجه الشبه أن كلا يكسب صاحبه بهجة، والأداة "كأن" وهو تشبيه تحقيقي؛ لأن الوجه متحقق في الطرفين غير تمثيلي؛ لأن الوجه منتزع من شيء واحد، وهو مجمل لحذف وجه الشبه، ومرسل لذكر الأداة، والغرض بيان حال المشبه. وفي الملاحة استعارة مكنية شبهت الملاحة بحسناء بجامع ميل النفس إلى كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو "وجه" على سبيل الاستعارة المكنية، وهي أصلية لأن اللفظ

---

[1] العوذ بضم العين: الإبل الحديثات النتاج، جمع: عائذ كحائل وحول.

المستعار اسم جنس، وقرينتها إثبات الوجه للملاحة، وهذا الإثبات استعارة تخييلية، ودونك القياس على ذلك فيما يأتي من الأبيات:

كأن عيون النرجس الغض حولها ... مداهن در حشوهن عقيق

وفي يده الصمصام تحكي شباته ... نواجذ أفواه المنايا القواضب

هرب النوم عن جفوني فيها ... هرب الأمن من فؤاد الجبان

خير أبي حفص لعاب الليل ... يجري إلى الإخوان جري السيل

تتمة:

أطبق العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الكناية أبلغ من التصريح، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه، ومن المجاز المرسل، والكناية.

أما وجه الأبلغية في المجاز والكناية؛ فلأنهما كدعوى الشيء ببينة، ذلك أنك حين تقول

متجوزًا: "رأيت أسدًا على المنبر" إنما تريد أن تقول: رأيت رجلًا جريئًا على المنبر، وهذه دعوى قام عليها دليلها وهو إثبات معنى الأسد له، إذ يلزم من كونه أسدًا أن يكون جريئًا للزوم الجراءة للأسد كما علمت، وأنك حين تقول مكنيًا: "محمد طويل النجاد" إنما تريد أن تقول: محمد طويل القامة، وهي دعوى قام عليها دليلها وهو اتصافه بطول النجاد، إذ يلزم من كونه طويل النجاد أن يكون طويل القامة، وكأنك قلت في الأول: رأيت رجلًا جريئًا على المنبر لأنه أسد، وقلت في الثاني: محمد طويل القامة؛ لأنه طويل النجاد.

أما الحقيقة في نحو: رأيت رجلًا مقدامًا على المنبر، والتصريح في نحو: محمد طويل القامة، فدعويان لم يقم عليهما دليل وما كان مؤيدًا بدليل أبلغ وآكد مما لم يدعم بدليل، فثبت أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح.

ووجه أبلغية الاستعارة على التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز، مبني على

دعوى اتحاد المشبه والمشبه به، والتشبيه نوع من الحقيقة بناء على الراجح، وقد ثبت لك أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

ووجه أبلغيتها على المجاز المرسل ما فيها من دعوى الاتحاد معنى ولفظًا، أما في المعنى فلإدخال المشبه في جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده. وأما في اللفظ فلإطلاق لفظ المشبه به على المشبه، بخلاف المجاز المرسل نحو: أمطرت السماء نباتًا، ففيه دعوى الاتحاد لفظًا فقط، من حيث إطلاق اللفظ على المعنى الثاني، أما الاتحاد في المعنى فغير موجود فيه؛ إذ ليس بين الماء والنبات تشابه حتى يدعى اتحادهما.

ووجه أبلغيتها على الكناية من جهتين: الأولى: أن فيها جمعًا بين كناية واستعارة، من حيث إن فيها انتقالا من الملزوم "كالأسد" إلى اللازم "كالجريء" كما ينتقل في الكناية من طول النجاد "مثلًا" إلى طول القامة، ومن حيث إن فيها استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة. الثانية: أنها مجاز قطعًا بخلاف الكناية، فإن في مجازيتها خلافًا بين علماء البلاغة، مبسوطًا في محله، فارجع إليه "إن شئت".

تنبيه:

ليس معنى الأبلغية في هذه الثلاثة أنها تفيد زيادة في أصل المعنى لا يفيدها غيرها، إنما المراد أنها تفيد تأكيدًا لإثبات المعنى، لا يوجد في سواها، فليست فضيلة قولنا: "رأيت أسدًا" على قولنا: "رأيت رجلًا لا يتميز عن الأسد في إقدامه" من حيث إن الأول أفاد زيادة في مساواة الرجل للأسد في الإقدام، لم يفدها الثاني إذ إن التركيبين في ذلك سواء في إفادة معنى المساواة.

إنما مزية الأول على الثاني من حيث إن الأول أفاد تأكيدًا وتقريرًا لإثبات معنى المساواة، دون

الثاني؛ لما في الأول من دعوى الاتحاد والتعبير عن المشبه بلفظ المشبه به، ودلالة الاتحاد على المساواة "كما في التركيب الأول" أبلغ من التنصيص على المساواة "كما في التركيب الثاني" يدرك ذلك صاحب الذوق السليم.

هذا: والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة؛ لأنها إنما تكون في الهيئات المنتزعة من أمور متعددة، فهي كثيرة الاعتبارات والملاحظات لا يوفق فيها إلا من أُوتي حسن روية وبعد نظر، ويليها في الأبلغية المكنية؛ لاشتمالها على المجاز العقلي في قرينتها، أما الاستعارة التصريحية ففي المرتبة الثالثة.

تمرين:

بين أنواع التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية فيما يأتي:

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} . {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} . القضاة دعائم العدل، وبأيديهم أزمة الفصل والفضل. قال الحريري: لبثنا في الانتظار إلى أن هرم النهار، وكاد جرف[1] اليوم ينهار. وقال أيضًا: ولما قوض[2] الليل خيامه، ورفع الصبح أعلامه كان كذا وكذا.

والطل[3] في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط

له راحة ينهل جودًا بنانها ... ووجه إذا قابلته يتهلل[4]

إذا أنشب الدهر ظفرًا ونابًا ... وصال على الحر منا ونابا

صبرنا ولم نشك أحداثه ... لأنا نعاف التشكي ونابى[5]

وقفت وما بالموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب[6]

---

[1] ما تجرفه السيول من الأرض.

[2] قاض البناء وقوضه: هدمه.

[3] المطر الضعيف والندى.

[4] يتلألأ بشرا.

[5] أصله نأبى مضارع أبى، سهلت همزته.

[6] الصلال جمع: صل، وهو بالكسر ضرب من الحيات، لا نجاة من لدغه، والرقش جمع: رقشاء، وهي ذات نقط سود في بياض.

وقيل في وصف السماء: أيقظتني ليلة دواعي الهموم، فنظرت نظرة في النجوم فإذا السماء روضة زاهرة، أو صرح أضواؤه مسفرة، أو غدير تطفو عليه القواقع، أو بنفسج نور أقاحه لامع،

أو جمر في خلال رماد، كما قال الشاعر:

بساط زمرد بسطت عليه ... دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة[1] يجري في سندسها، ويسري ليسقي ذوابل نرجسها، فبينما أسرع في درر الدراري[2] نظري وأروض في رياضها جواد فكري، إذ هب نسيم السحر يروي عن أهل نجد أطيب الخبر، ثم تبسم الفجر ضاحكًا، واقتنص بازي الضوء غراب الظلام، وفض[3] كافور النور مسك الختام.

---

١ بياض يبدو في السماء يشبه الهنر.

٢ الدراري: النجوم.

٣ بمعنى فك.

علم البديع

مدخل

...

علم البديع:

قلنا فيما سبق: إن أول من اخترع هذا العلم، وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ، وإنه جمع منه سبعة عشر نوعًا، وقال: "ما جمع قبلي فنون البلاغة أحد، ولا سبقني إليه مؤلف، ومن أراد أن يقتصر على ما اخترعناه فليفعل، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره".

وقلنا: إن مجموع ما جمعه هو ومعاصره قدامة بن جعفر ثلاثون نوعًا، ثم اقتدى بهما كثير من ذوي الفضل كأبي هلال العسكري، وابن رشيق، إلى أن جاء صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ فنظم فيه قصيدة ميمية في مديح النبي -صلى الله عليه وسلم- جمع فيها ما نيف على المائة والخمسين نوعًا، وذكر اسم كل نوع بجانب

كل بيت، وجعل البيت شاهدًا له، ثم جاء بعده "الموصلي" وعارضه بقصيدة على غرار قصيدته، ثم جاء "الحموي" وعارضه كذلك، غير أنه التزم تسمية النوع في البيت. وهكذا طفق العلماء يؤلفون في هذا العلم القصائد والأراجيز، حتى نيف الأنواع على المائة والستين، بل على أكثر من ذلك، نقتصر منها على المهم المتداول حسبما يتسع له المقام.

توضيح الفرق بين علم البديع، وعلمي المعاني والبيان:

اعلم: أن الفرق بينهما هو أن علمي المعاني والبيان يبحثان في صلب المعنى المراد، غير أن الأول منهما يبحثه من حيث مطابقته لمقتضى الحال، أي: أن يكون الكلام موافقًا مدلوله لما

تقتضيه الحال التي وقع فيها، وقد تقدم لك بيانه عند البحث في بلاغة الكلام، وأن الثاني يبحثه من حيث تأديته بطرق مختلفة في الوضوح، وقد سبق البحث فيه عند الكلام في تعريف علم البيان.

أما علم البديع:

فيبحث المعنى أو اللفظ، من حيث تزيينه وتدبيجه، وإلباسه ثوبًا من البهجة والبهاء، يسترق القلب ويستأثر اللب كما ستعرف بعد. ومن هنا يعلم أن أثر علمي المعاني والبيان في تحسين الكلام "ذاتي" في صميم المعنى، وأن أثر علم البديع فيه "عرضي" أي: بعد أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، واضح الدلالة على المعنى المراد.

فعلم البديع من علمي المعاني والبيان حينئذ بمثابة الطلاء الرائع من البناء الفخم، أو بمنزلة القلادة الثمينة من جيد الحسناء، فإن لم يكن الكلام مطابقا لمقتضى الحال، ولا واضح الدلالة على المعنى المراد كان البديع بمثابة الدر يعلق بأعناق الخنازير. إذا علمت هذا فاعلم أن:

علم البديع:

هو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

وتقسيم وجوه التحسين: تنقسم المحسنات البديعية قسمين: معنوية، ولفظية:

فالمعنوية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى أصالة، وهو -إن تبعه تحسين اللفظ- غير مقصود.

واللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة، وهو -وإن تبعه تحسين المعنى- ولكنه أيضًا غير مقصود.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات لا سيما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن، إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر، أو الناثر مندوحة عنها؛ لذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها لأن المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين.

المحسنات المعنوية:

١- المطابقة ١:

هي أن يجمع في كلام واحد بين معنى، ومقابلة، أو ضده، وتكون بلفظين من نوع واحد كأن يكونا "اسمين" كقوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} فالجمع بين "الأيقاظ والرقود" مطابقة لأن اليقظة ضد الرقود وكلاهما من نوع الاسم كما ترى، أو "فعلين" كقوله تعالى: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى} فالجمع بين {يَمُوتُ} و {يَحْيَى} مطابقة؛ لأن الموت ضد الحياة

وكلاهما من نوع الفعل، أو "حرفين" نحو قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} فالجمع بين "اللام وعلى" مطابقة؛ لأن في "اللام" معنى المنفعة، وفي "على" معنى المضرة وهما متضادان.

وتكون المطابقة بلفظين من نوعين مختلفين، كقوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} فالجمع بين {مَيْتًا} و"أحيينا" مطابقة؛ لأن معناهما متضادان، غير أن الأول منهما من نوع الاسم، والآخر من نوع الفعل.

---

١ وتسمى الطباق أيضًا.

ثم إن المعنيين المتقابلين إما أن يتفقا في الإيجاب أو السلب كما مر، وإما أن يختلفا كما في قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فالجمع بين {لا يَعْلَمُونَ} ، و {يَعْلَمُونَ} مطابقة؛ لأن المعنيين تقابلا بالإيجاب والسلب. ومثله قوله تعالى: {فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} وسمي هذا النوع طباق السلب؛ لاختلاف المعنيين إيجابًا وسلبًا.

والتقابل بين المعنيين إما واضح بين كما مر، وإما خفي نوع خفاء، نحو قوله تعالى: {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} فإن صريح قوله: {فَأُدْخِلُوا نَارًا} لا يقابل معنى "الإغراق" ولكنه يستلزم ما يقابله، وهو "الإحراق" فكأنه قال: أغرقوا فأحرقوا؛ لهذا كان في التقابل بينهما بعض خفاء.

ومثله قوله تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} فإن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة.

٢- المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين، أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل كلا على الترتيب اللفظي.

وتكون المقابلة بين معنيين كقوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أتي بالضحك والقلة، ثم بما يقابلهما من البكاء والكثرة على الترتيب، ولا شك أن ليس بين الضحك والقلة، ولا بين البكاء والكثرة تقابل.

وتكوين بين ثلاثة، كقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

أتي بالحسن، والدين، والغنى المفهوم من "الدنيا" ثم أتي بما يقابلها من القبح، والكفر، والإفلاس على الترتيب. ومثله قوله تعالى: {يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} .

وتكون بين أربعة كقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} .

أتي أولًا بالإعطاء، والاتقاء، والتصديق، واليسر، ثم أتي بما يقابلها على الترتيب من البخل، والاستغناء، والتكذيب، والعسر. ووجه مقابلة "استغنى لاتقى" أن معنى "استغنى" زهد فيما عند

الله، فلم يراقبه، أو معناه: استغنى بمتاع الدنيا عن نعيم الجنة، فلم يتق الله في عمله، وإذًا ففي مقابلة "استغنى لاتقى" نوع خفاء.

وتكون بين خمسة، كقوله المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

أتي بالزيارة، والسواد، والليل، والشفاعة له، ثم أتي بما يقابلها على الترتيب من الانثناء، والبياض، والصبح، والإغراء به.

وتكون بين ستة، كما تراه واضحًا في قول الشاعر:

على رأس عبد تاج عز يزينه ... وفي رجل حر قيد ذل يشينه

والمقابلة فيه واضحة أتم وضوح، كما ترى.

تنبيه:

اعلم أن المقابلة نوع من المطابقة من حيث إن فيهما جمعا بين متقابلين، غير أن الشرط في المقابلة أن يكون التقابل فيها بين معنيين على الأقل وبين ما يقابلهما، ويكون بين أكثر من ذلك كما رأيت، بخلاف المطابقة فإنما تكون بين معنى واحد ومقابله كما عرفت ا. هـ.

٣- المشاكلة:

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير، كقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} فالجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة، وإنما هو "عقوبة" يراد بها الإصلاح، فالمعنى حينئذ: وجزاء سيئة عقوبة تعادلها، فتعبيره عن العقوبة بلفظ {سَيِّئَةٌ} مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ. ومثله قول الشاعر:

قالوا: اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا

فتعبيره عن خياطة الجبة بالطبخ مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

٤- الاستخدام:

هو أن يذكر لفظ بمعنى، ويعاد عليه ضمير بمعنى آخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غش ما يراد بأولهما. فالأول كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

ذكر لفظ "السماء" بمعنى الغيث ثم أعاد عليه الضمير في "رعيناه" بمعنى "النبات". والثاني كقول الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن همو ... شبوه بين جوانحي وضلوعي

يدعو الشاعر لأحبته الساكنين هذا المكان بالسقيا، وإن أحرقوا قلبه بنار الجوى، "والغضا": شجر شديد الاشتعال وقد أعاد عليه ضميرين؛ أولهما مجرور بالإضافة في "الساكنيه" وأريد به

المكان، وثانيهما منصوب على المفعولية في "شبوه" وأريد به النار المشتعلة من شجر الغضا.

٥- التورية ١:

هي أن يذكر لفظ له معنيان، أحدهما قريب أي: دلالة اللفظ عليه ظاهرة؛ لكثرة استعماله فيه، والثاني بعيد أي: دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه، ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على قرينة، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فلفظ {اسْتَوَى} له معنيان: قريب وهو الاستقرار في مكان، وبعيد وهو الاستيلاء على الشيء بالقهر والغلبة، والمراد منه في الآية المعنى البعيد، والقرينة على إرادته استحالة المعنى القريب على الله تعالى. ويسمى هذا النوع إيهامًا؛ لأن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ معناه القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أن المتكلم يريده، وهو ليس بمراد.

---

١ هي مصدر ورى عن كذا بتشديد الراء أي: أراده وأظهر غيره، فالتورية من معانيها ستر المعنى البعيد بالقريب.

والتورية قسمان: مجردة ومرشحة.

فالمجردة: هي التي لم تقترن بشيء يلائم المعنى القريب كالآية المتقدمة، فإن المعنى القريب "لاستوى" الاستقرار في مكان ولم يذكر شيء يلائم هذا المعنى.

والمرشحة: هي التي ذكر فيها شيء يلائم المعنى القريب، سواء ذكر الملائم قبلها أو بعدها. فمثال ذكره قبلها قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} فاليد تطلق على الجارحة وهو المعنى القريب، وتطلق على القدرة وهو المعنى البعيد المقصود بقرينة استحالة المعنى القريب على الله، وقد ذكر قبلها ما يلائم المعنى القريب، وهو قوله: {بَنَيْنَاهَا} لأن البناء إنما يكون باليد بمعنى الجارحة. ومثال ذكر الملائم بعدها قول الشاعر:

مذ همت من وجدي في خالها ... ولم أصل منه إلى اللثم

قالت: قفوا واستمعوا ما جرى ... خالي قد هام به عمي

"فالخال" يطلق على خال النسب وهو المعنى القريب، ويطلق على الخال الذي يكون في الخد وهو المعنى البعيد المقصود، وقد ذكر بعده ما يلائم معناه القريب، وهو قوله: "عمي".

اللف والنشر:

هو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده من غير تعيين؛ اتكالًا على أن السامع يرد إلى كلٍّ ما يليق به لوضوح الحال.

وهو قسمان: مفصل، ومجمل.

فالمفصل: أن يذكر المتعدد على سبيل التفصيل لفًّا، ثم يذكر ما لكل واحد نشرًا، سواء كان

النشر على ترتيب اللف، أو على غير ترتيبه.
فالأول: كقوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}
فقد ذكر المتعدد مفصلًا وهو {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} ثم ذكر ما لليل

من السكون فيه؛ لأنه وقت نوم وراحة، وما للنهار من ابتغاء الرزق؛ لأنه وقت كد وعمل،
والنشر فيه على ترتيب اللف، فالأول للأول والثاني للثاني. وكقول الشاعر:
ألست أنت الذي من ورد نعمته ... وورد راحته أجني وأغترف
فقد ذكر متعددًا على سبيل التفصيل، وهو ورد نعمته بفتح الواو وورد راحته بكسر الواو، ثم
ذكر ما للأول من "الجني" وما للثاني من "الاغتراف" والنشر على ترتيب اللف كما ترى.
والثاني: وهو ما يكون النشر فيه على غير ترتيب اللف، يكون على صورتين:
الأولى: أن يكون النشر على عكس اللف، كقول الشاعر:
كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال، لحظًا، وقدًّا، وردفا
فهو كما ترى معكوس، فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف وهو "الرمل المتراكم".
الثانية: أن يكون النشر مختلطًا كقوله: هو شمس وأسد وبحر جودًا وبهاء وجرأة، فالجود للبحر
والبهاء للشمس والجرأة للأسد.
والمجمل: أن يذكر المتعدد على سبيل الإجمال، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده، كقوله
تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} .
فقد ذكر المتعدد مجملًا، وهو "الواو" في "قالوا" إذ هي عبارة عن اليهود والنصارى، ثم ذكر
ما يخص كلا من الفريقين في قوله: {إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} أي: قالت اليهود: لن يدخل
الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فكل أمة منهما
تكفر الأخرى.

التوجيه ويسمى "الإيهام": وهو أن يؤتى بكلام يحتمل على السواء معنيين متباينين، أو مضادين
كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه. مثاله ما حكي عن محمد بن حزم:
أنه هنأ الحسن بن سهل مع من هنأ بتزويج ابنته "بوران" للخليفة المأمون، فأثابهم وحرمه،
فكتب إليه يقول: إن أنت تماديت في حرماني قلت فيك بيتًا لا يعرف أمدح هو أو هجاء؟
فاستحضره وسأله عما كان منه فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك، أوتفعل؟ فقال ابن حزم:
بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ... ت ولكن ببنت من؟
فلم يدر "ببنت من" في العظمة وعلو الشأن، أم في الدناءة والضعة، فاستحسن الحسن منه
ذلك، وسأله: أمن مبتكراتك؟ فقال: لا، بل نقلته من شعر بشار بن برد، وكان كثير العبث بهذا

النوع.

ومما يروى عنه في ذلك: أنه كلف خياطًا أعور العين يسمى "عمرًا" أن يخيط له قباء فقال له الخياط مازحًا: لأخيطنه، فلا تدري أهو جبة أم قباء؟ فقال له بشار: إذًا أنظم فيك شعرًا، لا يدري من سمعه: أدعوت لك أم عليك؟ فلما خاطه له على الصورة التي وعده بها، قال بشار:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء[1]

قل لمن يعرف هذا ... أمديح أم هجاء

هكذا أخفى الشاعر مراده فلم يدر: أطلب أن تسوى العوراء بالصحيحة، فيكون دعاء له بالإبصار الكامل أم طلب أن تسوى الصحيحة بالعوراء، فيكون دعاء عليه بالعمى الكامل؟

٨- الاقتباس:

هو أن يضمن الكلام -نثرًا كان أو نظمًا- شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، ويحسن أن يمهد للمقتبس، بحيث يكون مندمجًا

---

١ روي أن اسم الخياط "زيد"، والقباء بفتح القاف: ضرب من الثياب.

في الكلام اندماجًا تامًّا. وأحسنه: ما كان في معاني الوعظ، والتذكير والزهد، وكل ما يراد به إصلاح الحال، وهو ضربان:

١- ما لا ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي، كقول الحريري:

"فلم يك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب"، وكقول الشاعر:

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم "فصبر جميل"

وإن تبدلت بنا غيرنا ... "فحسبنا الله ونعم الوكيل"

٢- ما ينتقل فيه المقتبس من معناه الأصلي، كقول ابن الرومي الشاعر العباسي:

لئن أخطأت في مدحـ ... ـك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

فإن معنى "الوادي غير ذي الزرع" المقتبس من القرآن الكريم: المكان الجدب، لا ماء فيه ولا نبات، فنقله الشاعر من هذا المعنى إلى جانب لا خير فيه.

هذا، ولا يضر يسير التغيير لضرورة الشعر، كما تراه في قول الشاعر:

قد كان ما خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

ونصه في القرآن: {وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} . وكما تراه في قول الصاحب في الاقتباس من الحديث الشريف:

قال لي: إن رقيبي ... سيئ الخلق فداره

قلت: دعيني وجهك ... الجنة حفت بالمكاره

ونص الحديث هكذا: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات".

٩- الجمع: هو أن يجمع بين شيئين فأكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} جمع بين "المال والبنين" في حكم واحد هو أنهما زينة الحياة وبهجتها. وكقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

جمع بين هذه الأشياء الثلاثة في حكم واحد هو تألقها كالنجوم، يهتدى بها في دياجير الأحداث والمحن.

١٠- التفريق:

هو أن يفرق المتكلم بين أمرين متدرجين تحت جنس واحد، كقول الشاعر:

ما نوال الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بدرة عين[١] ... ونوال الغمام قطرة ماء

فالأمران هما "النوالان" وقد اندرجا تحت جنس واحد، وهو "العطاء" ففرق الشاعر بينهما في المنزلة، إذ جعل نوال الأمير فوق نوال الغمام، من حيث إن الأول يحل منفعة عن الثاني، وكقول الآخر:

من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف في الحكم بين مثلين

أنت إذا جدت ضاحك أبدًا ... وهو إذا جاد دامع العين

فرق بين الجمودين، مستندًا في التفريق إلى ما ابتدعه من هذا التعليل الجميل.

١١- التقسيم:

هو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من آحاده ما يخصه على التعيين، وبهذا القيد يفترق عن اللف والنشر إذ لا تعيين فيه، بل هو موكول إلى الأفهام كما ذكرنا. مثال التقسيم قول الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد[٢]

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

ذكر متعددًا وهو "العير والوتد" ثم أضاف إلى الأول "الربط على الخسف" وهو الذل، وأضاف إلى الثاني "الشج بلا هوادة".

١٢- المبالغة:

هي أن يدعى بلوغ وصف في الشدة، أو الضعف حدًّا يستحيل، أو يبعد.

---

١ البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم.

٢ الأذلان: مثنى الأذل، وهو المهين الحقير، والعير: الحمار، والوتد ككتف: ما يسمر في الأرض من الخشب، والرمة بضم الراء: قطعة من الحبل.

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: تبليغ، وإغراق، وغلو.

فالتبليغ: ما يكون المدعى فيه ممكنًا عقلًا، وعادة كقول امرئ القيس:

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكًا فلم ينضح بماء فيغسل[١]

يريد "بالثور": الذكر من بقر الوحش، و"بالنعجة": الأنثى منه. وصف الشاعر فرسًا له، فادعى أنه أدرك ثورًا وبقرة وحشيين في شوط واحد ولم يعرق، وهذا أمر يجيزه العقل، ولا تحيله العادة، وإن كان حصوله في غاية الندرة.

والإغراق: ما يكون المدعى فيه ممكنًا عقلًا، لا عادة كقول أبي الطيب:

روح تردد في مثل الخلال[٢] إذا ... أطارت الريح عنها الثوب لم تبن

كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فيجوز عقلًا أن يصل الشخص في النحف والهزال إلى هذه الحال، وإن امتنع ذلك في العادة.

وأحسنه: ما اقترن به ما يقربه إلى الإمكان من نحو: "لو" و"لولا" و"كاد" و"خيل إلي" و"شبه لي" وما أشبه ذلك، والبيت المذكور من هذا القبيل لاشتماله على لفظ "لولا". والتبليغ والإغراق مقبولان؛ لعدم ظهور الكذب الموجب للرد فيهما.

والغلو: ما يكون المدعى فيه غير ممكن، لا عقلًا ولا عادة، وهو ضربان: مقبول ومردود.

فالمقبول أنواع ثلاثة:

الأول: ما اقترن به ما يقربه إلى الإمكان من نحو: {يَكَادُ} في قوله تعالى: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} فليس معقولًا ولا معتادًا أن

---

١ عادى عداء: والى موالاة بين الصيدين، يصرع أحدهما أثر الآخر، و"دراكًا": متتابعًا، والنضح: الرشح.

٢ جمع خل بالفتح، وهو الثوب الخلق.

يضيء زيت من غير أن تمسه نار، ولكن الذي قربه إلى الإمكان، وجعل الذهن يستسيغه لفظ {يَكَادُ} الذي أفاد أن المدعى لم يكن، ولكنه قارب أن يكون مبالغة، ومن هنا كان الغلو مقبولًا.

الثاني: ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي يصف خيلًا:

عقدت سنابكها عليها عثيرًا ... لو تبتغي عنقًا عليه لأمكنا[١]

ادعى الشاعر أن الغبار المثار فوق الرءوس من سنابك الخيل قد تراكم وتكاثف، بحيث صار

أرضًا في استطاعة الخيل "لو أرادت" أن تسير عليه كما تسير على الأرض، وهذا "كما ترى" ممتنع عقلًا وعادة، ولكن الذي جعله مقبولًا مستساغًا أنه تضمن تخيلا حسنا، نشأ من ادعاء كثرة الغبار، وتكاثفه حتى صار بمثابة الأرض المعلقة في الهواء إلى ما اقترن به مما قربه إلى الإمكان، وهو لفظ "لو" الدالة على أن مدعاه لم يكن. ومنه قول المعري يصف سيفًا:

يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

الثالث: ما خرج مخرج الخلاعة والمجون، كقول الشاعر:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ... ب غدا إن ذا من العجب

ادعى أن شغفه بالشراب وصل إلى درجة أن يسكر بالأمس، عند عزمه على الشرب غدا. ولا شك أن ذلك محال عقلًا وعادة، ولكن لما أتى بالكلام على سبيل الهزل والمجون كان الغلو مقبولًا. وكقول الآخر:

ومر بفكري خاطرًا فجرحته ... ولم أر خلقًا يجرحه الفكر

ادعى أن فكره جرح محبوبه وهو أمر محال الحصول في العقل والعادة، لكن خروج الكلام مخرج الخلاعة والتظرف جعله مقبولًا مساغًا.

والمردود ما ليس ممكنًا لا عقلًا، ولا عادة ولم يكن أحد الأنواع

---

١ السنابك: الحوافر، والعثير بكسر فسكون ففتح: الغبار، والعنق بفتح العين والنون: السريع، وضمير "عليها" للخيل.

السابقة، كقول أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

يمدح الخليفة بأنه أخاف الكفار جميعًا، من وجد منهم ومن لم يوجد. وقد بالغ في إخافته أهل الشرك حتى جعله موضع خشية ورهبة للنطف التي لم توجد بعد، ومعلوم بالبداهة أن خوف النطف الموجودة محال عقلًا وعادة؛ لعدم قيام الحياة بها، فما بالك بنطف لم تخلق أصلًا، فمثل هذا غلو مردود لعدم اشتماله على شيء من موجبات القبول المتقدمة.

١٣- حسن التعليل:

هو أن يدعى لوصف "على جهة التظرف" علة مناسبة ليست له في الواقع، وهذا الوصف لا يخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون ثابتًا، فيقصد بيان علته.

٢- أن يكون غير ثابت، فيراد إثباته بعلة مدعاة.

والأول إما ألا يظهر له في العادة علة، وإما أن تظهر له علة غير المدعاة. مثال الأول قول أبي

هلال العسكري:

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنًا فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف وصف ثابت لا علة له، وقد علله الشاعر بما ليس علة له في الواقع وهو أنه سل لسانه من قفاه، إذ زعم أنه يشبه عذار الحبيب في الحسن كذبًا وافتراء.

ومثال للثاني قول أبي الطيب المتنبي:

ما به قتل[1] أعاديه ولكن ... يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

يقول: ليس هناك ما يحمله على قتل أعدائه والفتك بهم؛ لتمكنه منهم بقوة سلطانه، ولكن الذي يحمله على ذلك تحقيق ما ترجوه جماعة الذئاب من إطعامه إياهم لحوم الأعداء، وأنه لا يريد أن يخيب رجاءها فيه. فقتل

---

١ "ما" نافية، أي: ليس بالممدوح حنق أوجب قتل أعاديه.

أعاديه وصف ثابت وعلته عادة دفع مضرتهم، وخلو المملكة من منازعاتهم، ولكن الشاعر علله على سبيل التظرف بعلة أخرى ليست له في الواقع، وهي ما ذكرناه من أنه يريد أن يحقق ما ترجوه الذئاب من اتساع الرزق على يديه، بلحوم من يفتك بهم من الأعداء.

والثاني، وهو الوصف غير الثابت المراد إثباته: إما ممكن، أو غير ممكن. فمثال الوصف الممكن قول مسلم بن الوليد:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجي حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت عادة؛ إذ لا يستحسن الناس إساءة الوشاة، ولكنه ممكن الحصول وقد أريد إثباته، فعلله الشاعر بعلة تقتضي وقوعه في زعمه، وهي حذاره من أن يفطن الواشي، ويشعر بما عنده فيشمت به، ولأجل ذلك امتنع من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق. ومثال الوصف غير الممكن قول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق[1]

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ثابتة، وغير ممكنة أيضًا؛ لأن النية إنما تكون ممن له إدراك، وقد قصد إثباتها بالعلة المذكورة، وهي كونها منتطقة، أي: شادة النطاق في وسطها، كما يفعله الخادم عادة.

١٤- ائتلاف اللفظ مع المعنى:

هو أن تكون الألفاظ على وفق المعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الكزة الشديدة للمعنى الضخم، كالفخر والحماسة، وكالوعيد والتهديد، وتختار الألفاظ اللينة العود، الناعمة الملمس للمعنى الوديع الهادئ كالغزل، والاستعطاف، والاعتذار، ونحو ذلك من المعاني

العاطفية.

فالأول كقول بشار بن برد في الحماسة والفخر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

---

١ الانتطاق: شد المنطقة في الوسط.

إذا ما أعرنا سيدًا من قبيلة ... ذُرَا منبر صلى علينا وسلما

والثاني كقول أبي العتاهية في الاستعطاف:

تذكر أمين الله حقي وحرمتي ... وما كنت توليني لعلك تذكر

فمن لي بالعين التي كنت دائمًا ... إلي بها في سالف الدهر تنظر؟

وهكذا: لكل مقام مقال، ولكل موقف مجال.

١٥- حسن الابتداء:

هو أن يكون الكلام بارع المطلع أي: لمبدئه روعة تستهوي اللب، وتستخف السمع، وذلك بأن يكون عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى؛ لأن الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر، فإذا كان على هذه الصفات المذكورة وقع من قلب السامع أو القارئ موقعه من الحسن، فأقبل عليه واهتم له، ووعاه إلى نهايته وإن لم يكن لباقيه من الجودة ما لأوله. فإذا لم يكن مستهل الكلام على ما ذكرنا صدفت عنه النفس ونفرت، وإن كان باقيه رائع الحسن.

وأحسنه ما اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود، ويسمى ذلك "براعة استهلال" كقول المتنبي في تهنئة سيف الدولة بإبلاله مما ألم به:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزل عنك إلى أعدائك الألم

وكقول أشجع السلمي يهنئ ببناء قصر:

قصر عليك تحية وسلام ... خلعت[١] عليك جمالها الأيام

وكقول أبي تمام في مطلع قصيدة رثاء:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وينبغي أن يتجنب في مطالع المديح والتهاني ما يتطير منه، كقول ابن مقاتل الضرير في مطلع قصيدة يمدح فيها الداعي العلوي:

---

١ ضمن "خلع" معنى طرح، فعداه للمفعول الثاني "بعلى" والمعنى: أن الأيام نزعت جمالها، وطرحته على ذلك القصر.

"موعد أحبابك بالفرقة[1] غد"

وعند إنشادها تطير العلوي وقال: بل موعد أحبابك يا أعمى، ولك المثل السوء. وروي أن ابن مقاتل هذا دخل على العلوي المذكور في يوم المهرجان[2] فأنشده:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به الداعي العلوي، وأمر بإلقائه على وجهه وضربه خمسين عصا، وقال: إصلاح أدبه خير من إثابته.

١٦- حسن الختام:

أن يكون الكلام بارع المقطع أي: في ختامه روعة تهتز لها النفس، ويطرب لها السمع؛ ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم في الخيال، فإن كان حسنًا هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابرًا لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسنًا رائعًا كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعه بالذم وإن كان حسنًا.

وصفوة القول: أن ما يختم به الكلام بمثابة الطعام، يؤتى به في ختام الأطعمة، فإن كان حلوًا لذيذًا أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله، وإن كان مرًّا أو مالحًا أنسى حلاوة أو عذوبة ما قبله.

ومثال ما في ختامه روعة قول أبي نواس في المدح:

وإني جدير "إذ بلغتك" بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

وأروعه، ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف إلى ما وراءه، ويسمى ذلك "براعة المقطع" كقول أبي العلاء:

---

[1] بضم الفاء وسكون الراء اسم موضع، ولكن لما كان يوهم معنى الفراق كان موضع تطير وشؤم.

[2] يوم المهرجان أول يوم من فصل الخريف، وهو عندهم يوم فرح وسرور.

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

وكقول ابن حجة:

عليك سلام نشره كلما بدا ... به يتغالى الطيب والمسك يختم

وكقولي في مدحة يوم عيد:

يا ناظم النجم كن "عوني" فقد عطلت ... أجياد غيدي وإن أبدعت تقليدي

ويا ملوك القوافي أستميحكم ... عفو الكرام فهذا كل مجهودي

تمرين:

١- تكلم باختصار عن تاريخ علم البديع.

٢- وضح الفرق بين هذه العلوم الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع.

٣- عرف علم البديع وقسم وجوه الحسن فيه، وبين كل قسم مع التمثيل.

٤- بين أنواع المحسنات البديعية فيما يأتي:

١- {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} .

٢-

حملناهم طرًّا على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

٣- {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} .

٤- {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} .

٥-

إن الشباب والفراغ والجدة[1] ... مفسدة للمرء أي مفسدة

٦-

حسبت جماله بدرًا منيرًا ... وأين البدر من ذاك الجمال؟!

٧-

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف ... تميل ظباه أخدعي كل مائل[2]

فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

---

١ الاستغناء.

٢ "المرهف": السيف القاطع، و"ظباه" جمع: ظبة، وهي حد السيف، والأخدعان: تثنية أخدع، وهو مجرى من مجاري الدم، إذا قطع مات صاحبه.

٨-

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

٩-

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

١٠- قال الله تعالى: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} .

١١-

أيها السائل قوما ... ما لهم في الخير مذهب

اترك الناس جميعًا ... "وإلى ربك فارغب"

-١٢

تكاد قسيه من غير رام ... تمكن في قلوبهم النبالا

-١٣

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

-١٤

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع

-١٥

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وطالع السعد في أفق العلا صعدا

-١٦

وإني محب لطه ومن ... يحب النبي فحاشا يضام

نبي كريم رءوف رحيم ... عليه الصلاة وأزكى السلام

المحسنات اللفظية:

منها: ١- الجناس ويقال له: المجانسة والتجانس، ولا يحسن في الكلام إلا إذا وافق مصنوعه مطبوعه، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، فيكون ذلك أدعى لميل النفس، وأملك لزمام السمع.

تعريفه: أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه الآتية بعد مع اختلاف المعنى، وهو نوعان: تام وغير تام.

الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها.

كقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} فلفظتا "ساعة" في الآية قد اتفقتا في هذه الأشياء المذكورة، مع اختلافهما في المعنى؛ إذ قد أريد بالساعة في الأول "القيامة"، وفي الثاني: "الساعة الزمنية".

وهو أنواع ثلاثة: مماثل، ومستوفي، ومركب.

فالمماثل١: أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

فالاسمان كالآية المتقدمة، فإن لفظي الساعة فيها من نوع الاسم، وكقول أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقة ... بالنصر تضحك من أيامك الغرر

"فالغرر" الأولى بمعنى البياض والإشراق، والثانية بمعنى الكرم والشرف، وكلتاهما من نوع الاسم، وكقول الشاعر:

حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتال

"فالآجال" الأولى جمع: إجل بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش، والثانية جمع: أجل بفتح الهمزة والجيم، وهو أمد العمر، وكلتاهما أيضًا من نوع الاسم.

والفعلان كقولك: فلان يجيد أمرين: يضرب في البيداء فلا يضل، ويضرب في الهيجاء فلا يكل. "فيضرب" الأول بمعنى قطع المسافة، والثاني بمعنى الحمل على الأعداء، وكلاهما من نوع الفعل.

والحرفان كقولك: تذرع بالصبر تظفر به، فالباء الأولى للتعدية والثانية للتسمية، وكلاهما من نوع الحرف.

والمستوفي[2]: أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلًا، أو أحدهما حرفًا والآخر اسمًا أو فعلًا.

فمثال الاسم مع الفعل قول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

---

١ سمي هكذا؛ لاتحاد نوع الحرف فيه.

٢ سمي بذلك؛ لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر، وإن اختلفا في النوع.

"فيحيا" الأول فعل مضارع، والثاني اسم علم على الممدوح، وكقول بعضهم:

إذا رماك الدهر في معشر ... قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

والشاهد في البيت الثاني، فإن كلا من "دارهم وأرضهم" في الأول فعل أمر، وفي الثاني اسم.

ومثال الاسم مع الحرف قولهم: "رب رجل شرب رب رجل آخر" "فرب" الأولى حرف جر والثانية اسم للعصير المستخرج من العنب.

ومثال الفعل مع الحرف قولك: علا محمد -عليه الصلاة والسلام- على جميع الأنام "فعلا" الأول فعل ماضٍ بمعنى ارتفع، والثاني حرف جر.

والمركب: أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبًا.

فالأول -وهو ما يكون اللفظان مركبين- كقول الشاعر:

فلم تضع الأعادي قدر شاني ... ولا قالوا: فلان قد رشاني

فاللفظ الأول مركب من القدر والشأن، والثاني مركب من "قد" الحرفية ومن الفعل المشتق من الرشوة، ويسمى هذا النوع جناسًا ملفقًا.

والثاني -وهو ما يكون أحد اللفظين فيه مركبًا- أنواع ثلاثة: مرفو، ومتشابه، ومفروق.

فالمرفو[1]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمة، وجزء كلمة كقولهم: "أهذا مصاب أم طعم صاب" فاللفظ الأول مفرد؛ إذ هو "اسم مفعول" من "أصاب" والثاني مركب من كلمة هي لفظ "صاب" بمعنى العلقم وجزء كلمة وهو "الميم" من طعم.

والمتشابه[2]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، مع اتفاق اللفظين في الخط كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبة ... فدعه فدولته ذاهبة

---

١ سمي "مرفوا" أخذا من قولهم: رفأ الثوب، إذا جمع ما تمزق منه بالخياطة، وكأننا أخذنا الميم من "طعم" ورفأنا بها "صاب" فصارت: "مصاب".

٢ سمي بذلك؛ لتشابه اللفظين في الخط.

فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما: "ذا" و"هبة" بمعنى صاحب عطية أي: كريم، والثاني مفرد، وهو اسم فاعل من الذهاب وقد اتفق اللفظان في الخط "كما ترى"، وكقولهم: يا مغرور أمسك، وقس يومك بأمسك، فاللفظ الأول مفرد، وهو فعل أمر مشتق من الإمساك، بمعنى الكف عن الشيء، والثاني مركب من كلمتين هما: أمس وكاف الخطاب وقد اتفقا في الخط أيضًا.

والمفروق[1]: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، مع اختلاف اللفظين في الخط كقول الشاعر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة ... ما لم تكن بالغت في تهذيبها

فإذا عرضت الشعر غير مهذب ... عدوه منك وساوسا تهذي بها

فاللفظ الأول مفرد وهو مصدر "هذب" بالتضعيف، والضمير المضاف إليه بمثابة الجزء منه، والثاني مركب من كلمتين هما: "تهذي" و"بها" من الهذيان وهو الاختلاط في القول، وقد اختلف اللفظان في الخط كما ترى.

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأشياء الأربعة السابقة، وهو على أربعة أحوال؛ لأن الاختلاف إما في نوع الحروف، أو في عددها، أو في هيئتها، أو في ترتيبها.

الاختلاف في النوع: إذا اختلف اللفظان في نوع الحروف كان الجناس على نوعين: مضارع، ولاحق.

فالمضارع[2]: ما كان فيه الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متقاربين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ، أو في وسطه، أو آخره.

فالأول نحو قولهم: بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس[3]، فالدال

١ سمي بذلك؛ لافتراق اللفظين في الخط.

٢ سمي بذلك؛ لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه في المخرج.

٣ الدامس: الشديد الظلمة، والطامس: المطموس، وهو الذي لا يتبين فيه أثر يهتدى به.

في "دامس" والطاء في "طامس" مختلفان في النوع، إلا أنهما متقاربان في المخرج؛ لأنهما خارجان من اللسان.

والثاني كقوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} فالهاء والهمزة مختلفان في النوع، إلا أنهما متقاربان في المخرج؛ إذ هما حلقيان.

والثالث كقوله صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير" فبين اللام والراء اختلاف في النوع، وتقارب في المخرج "لخروجهما من اللسان".

واللاحق١ : ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في آخره كذلك.

فالأول نحو قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} فالهاء واللام متباعدتان في المخرج، فالأولى حلقية، والثانية لسانية.

والثاني نحو قوله تعالى: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} فبين الهاء في "شهيد" والدال في "شديد" تباعد في المخرج؛ إذ الأولى حلقية والثانية لسانية.

والثالث نحو قول أبي عبادة البحتري، أحد شعراء الدولة العباسية:

ألمن فات من تلاق تلاف ... أم لشاك من الصبابة شاف؟

والشاهد في "تلاق وتلاف" فإن القاف والفاء فيهما متباعدتان في المخرج كما ترى.

تنبيه: يشترط في اللفظين المختلفين في نوع الحروف ألا يقع الاختلاف في أكثر من حرف واحد، وإلا لم يبق بينهما تجانس لفظي "كنصر ونكل".

الاختلاف في العدد: إذا اختلف اللفظان في عدد الحروف، بأن يكون عدد أحد اللفظين زائدًا سمي "الجناس الناقص" لنقصان أحد اللفظين عن الآخر، وهو على أنواع: مطرف، ومكتنف، ومذيل.

فالمطرف: ما كان فيه الزيادة في أول اللفظ، كما في قوله تعالى: {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} بزيادة الميم في أول اللفظ الثاني.

---

١ سمي بذلك؛ لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس، باعتبار معظم الحروف.

والمكتنف: ما كان فيه الزيادة في وسط اللفظ نحو قولهم: جدي جهدي، بفتح الجيم فيهما وزيادة الهاء وسطا في الثاني.
والمذيل: ما كان فيه الزيادة في آخر اللفظ كقول أبي تمام:
يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب[١]
فقد زيد ميم في "عواصم" وباء في "قواضب" وكلتا الزيادتين في الآخر، وكقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:
إن البكاء هو الشفا ... ء من الجوى بين الجوانح
فبين الجوى والجوانح جناس مذيل؛ لأن الثاني زاد عن الأول بحرفين في آخره.
الاختلاف في الهيئة: إذا اختلف اللفظان في هيئة الحروف، كان الجناس على نوعين: محرف، ومصحف.
فالمحرف[٢]: ما اختلف فيه اللفظان في الحركات والسكنات، نحو قولهم: جبة البرد جنة البرد، فبين البرد والبرد جناس محرف؛ لاختلافهما في الهيئة، إذ إن الأول بضم الباء وهو ضرب من الثياب، والثاني بفتحها وهو ضد الحر، وكقولهم: الجاهل إما مفرط أو مفرط؛ فالأول اسم فاعل من الإفراط وهو تجاوز الحد، والثاني اسم فاعل من التفريط وهو التقصير.
والمصحف[٣]: ما اختلف فيه اللفظان نقطًا بحيث لو زال إعجام أحدهما، أو كليهما لم يتميز أحدهما عن الآخر، كقول أبي نواس:
من بحر شعرك أغترف ... ويفيض علمك أعترف
فبين "أغترف وأعترف" جناس مصحف، إذ ليس بينهما خلاف إلا بالنقط بحيث لو تجرد كلاهما عنه، لم يتميز أحدهما عن الآخر.

---

١ عواص جمع: عاصية من العصيان، وعواصم جمع: عاصمة من العصمة، أي: عاصيات على أعدائهم عاصمات لأوليائهم، وقواض جمع: قاضية من القضاء وهو الإهلاك، وقواضب جمع: قاضبة من القضب، وهو القطع أي: مهلكة قاطعة.

٢ سمي بذلك؛ لانحراف إحدى الهيئتين عن الأخرى.

٣ سمي بذلك؛ لتشابه اللفظين في الخط، من التصحيف وهو التشابه خطا.

الاختلاف في الترتيب: إذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي "جناس القلب" وهو على أربعة أنواع: قلب كل، قلب بعض، مجنح، مستو.
فالقلب الكلي: ما انعكس فيه الترتيب كقولهم: حسامه فتح لأوليائه وحتف لأعدائه، فبين "فتح وحتف" جناس قلب كلي؛ لانعكاس الترتيب فيهما انعكاسًا كليًّا إذ إن "حتف" مقلوب

"فتح".

والقلب الجزئي: ما انعكس فيه الترتيب بعضًا نحو: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا" فانعكاس الترتيب فيه ليس في جميع الحروف كما ترى.

والمجنح[1]: ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب في أول البيت والآخر في آخره، كأنه ذو جناحين كقول الشاعر:

قد لاح أنوار الهدى ... في كفه في كل حال

فاللفظ الأول وهو "لاح" وقع في أول المصراع الأول، والثاني وهو لفظ "حال" وقع في آخر المصراع الثاني.

والمستوي[2]: ما كان اللفظ فيه بحيث لو عكس، وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير نحو: "كل في فلك" فإنك لو عكست هذا التركيب، فبدأت من الكاف في "فلك" كان هو بعينه، ولبعض الأدباء رسالة كبيرة في هذا النوع من البديع.

٢- رد العجز على الصدر، ويكون في النثر، وفي النظم.

فهو في النثر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المجانسين في اللفظ دون المعنى، أو الملحقين بالمتجانسين، وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق، في أول الفقرة، والآخر في آخرها.

---

١ سمي بذلك؛ لأن اللفظين اللذين وقع بينهما القلب بمنزلة جناحين للبيت، وهو كما قيل خاص بالشعر.

٢ سمي بذلك؛ لاستواء التركيب قبل العكس وبعده.

فمثال المكررين قوله تعالى: {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} فقد جعل أحد اللفظين المكررين، أي: المتفقين لفظا ومعنى في أول الفقرة، والثاني في آخرها كما تراه في الآية الكريمة.

ومثال المتجانسين قوله: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فالأول مأخوذ من السؤال، والثاني من السيلان.

ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقًا قوله تعالى: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} فاللفظان المذكوران يجمعهما مصدر واحد هو الغفران.

ومثال الملحقين بالمتجانسين بشبه اشتقاق قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ} فبين {قَالَ} و {الْقَالِينَ} شبه اشتقاق، من حيث الحروف الأصول، وهي "القاف واللام" وإلا فإن مصدر {قَالَ} القول، ومصدر {الْقَالِينَ} القلى أي: البغض، فالمصدران مختلفان مدلولًا.

وهو في النظم: أن يكون أحد اللفظين الموصوفين بأحد الأوصاف السابقة في آخر البيت، والآخر إما في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره، أو في صدر المصراع الثاني.

فالمثال الأول للمكررين قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

فالمكرر الآخر في صدر المصراع الأول. والمثال الثاني لهما قول الشاعر:

تمتع من "شميم" عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[1]

فالمكرر الآخر في حشو المصراع الأول. والمثال الثالث لهما أيضًا قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما[2]

---

[1] النجد هنا: ما ارتفع من بلاد العرب، والعرار: وردة ناعمة طيبة الرائحة.

[2] الكواعب جمع: كاعب، وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود، والبيض القواضب: السيوف القواطع.

فالمكرر الآخر في آخر المصراع الأول. والمثال الرابع قول الشاعر:

وإن لم يكن إلا معرج ساعة ... قليلًا فإني نافع لي قليلها[1]

فالمكرر الآخر في أول المصراع الثاني كما ترى.

والمثال الأول للمتجانسين قول الشاعر:

دعاني من ملامكما سفاها[2] ... فداعي الشوق قبلكما دعاني

فالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأول، وهو بمعنى "اتركاني" والذي في آخر البيت بمعنى الدعاء. وهكذا يمثل للملحقين بالمتجانسين اشتقاقًا، أو شبه اشتقاق، غير أنه لم يحضرنا أمثلة لهما في النظم.

٣- العكس: هو أن يقدم جزء من الكلام على آخر، ثم يعكس فيؤخر ما قدم، ويقدم ما أخر كما تقول: قول الإمام إمام القول، فقد قدم القول على الإمام ثم عكس، فقدم الإمام بعد تأخيره، وأخر القول بعد تقديمه، ويقع العكس على وجوه:

أحدها: أن يقع بين أحد طرفي جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف، كما تقدم في المثال السابق فإن لفظ "قول" أحد طرفي الجملة المذكورة لأنه المبتدأ، ولفظ "الإمام" مضاف إليه ذلك الطرف قد وقع العكس بينهما، فقدم أولًا القول على الإمام، ثم عكس فقدم الإمام على القول، ومثله قولهم: عادات السادات سادات العادات، ويقال فيه ما قيل في الأول. يريد أن يقول: إن الأمور المعتادة للأشراف والأكابر أفضل وأشرف من الأمور المعتادة لغيرهم من الناس.

١ اسم يكن عائد على الإلمام المفهوم من البيت قبله، وهو قوله: "ألما على الدار التي لو وجدتها ... إلخ" و"معرج" خبرها وهو اسم مفعول بمعنى المصدر، أي: وإن لم يكن الإلمام إلا تعريج ساعة، والمراد بالتعريج الإقامة، و"قليلا" صفة مؤكدة لمعنى القلة، إلا تعريجا قليلًا في ساعة.

٢ بفتح السين منصوب على التمييز من السفه، وهو خفة العقل.

ثانيها: أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} فالحي والميت متعلقان "بيخرج" في الجملتين، وقد قدم أولًا الحي على الميت، ثم عكس فقدم الميت على الحي.

ثالثها: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى: {لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} فاللفظان هما: ضمير الذكور وضمير الإناث، وهما واقعان في طرفي كل جملة من هاتين الجملتين، وقد قدم في الجملة الأولى ضمير الإناث على ضمير الذكور، ثم عكس وقدم في الجملة الثانية ضمير الذكور على ضمير الإناث.

٤- السجع:

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، والفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين "قرينة" لمقارنتها لأخرى كما تسمى "فقرة".

وهو على ثلاثة أنواع: مطرف، ومرصع، ومتواز.

فالمطرف[١]: ما اختلف فيه الفاصلتان وزنا، كقوله تعالى: {مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} ف {وَقَارًا} فاصلة القرينة الأولى؛ لأنها الكلمة الأخيرة منها، و {أَطْوَارًا} فاصلة القرينة الثانية وقد اختلفتا في الوزن؛ لأن ثاني {وَقَارًا} متحرك وثاني {أَطْوَارًا} ساكن.

والمرصع[٢]: ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلها، أو جلها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية[٣] كما في قول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

فجميع ما في القرينة الثانية موافق لما يقابله من الأولى وزنًا وتقفية، "فيطبع" موازن "ليقرع" والقافية فيهما العين، والأسجاع موازن للأسماع والقافية فيهما العين أيضًا و"جواهر" موازن "لزواجر"

١ سمي "مطرفًا"؛ لأن ما وقع به التوافق إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير.

٢ سمي كذلك؛ تشبيها له بالعقد تجعل فيه إحدى اللؤلؤتين في مقابلة الأخرى.

٣ هي الاتفاق على الحرف الأخير.

والقافية فيهما الراء، و"لفظه" موازن "لوعظه" والقافية فيهما الظاء ولو أبدل لفظ الأسماع "بالآذان" كان مثلًا لما يكون أكثر ما في القرينة الثانية موافقًا لما يقابله من الأولى.

والمتوازي[1]: ما لم يكن جميع ما في القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى. وهذا صادق بأمور ثلاثة:

١- أن يكون الاختلاف في الوزن والتقفية معًا.

٢- أن يكون الاختلاف في التقفية دون الوزن.

٣- أن يكون الاختلاف بالعكس.

فمثال الأول: قوله تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} فالقرينتان: هما {سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ} و {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} ولفظ {فِيهَا} لا اعتبار له لعدم وجود ما يقابله ف {سُرُرٌ} وهو نصف القرينة الأولى يقابله {وَأَكْوَابٌ} من القرينة الأخرى، وقد اختلفتا وزنًا وتقفية.

ومثال الثاني قولهم: حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت[2] "فحصل" في القرينة الأولى على زنة "هلك" في القرينة الثانية، ولكنهما اختلفتا تقفيه؛ إذ إن قافية الكلمة الأولى هي "اللام" وقافية الثانية "الكاف" وكذا يقال في: الناطق والحاسد.

ومثال الثالث قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا} فقد اختلف "المرسلات والعاصفات" في الوزن، فالأولى على زنة "مفعلات" والثانية على زنة "فاعلات" ولكنهما توافقتا في التقفية؛ إذ إن قافيتهما معًا "التاء".

---

١ سمي بذلك لتوازن الفاصلتين، أي: توافقهما وزنا وتقفية دون رعاية غيرهما، ويكفي في التسمية أدنى اعتبار.

٢ الناطق: الرقيق، والصامت كالخيل ونحوها من سائر الحيوان.

وأحسن السجع: ما تساوت قرائنه في عدد الكلمات، كما في قوله تعالى: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [1] فهذه قرائن ثلاث متساوية في أن كلًّا مركب من كلمتين. ويليه ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة، فالأولى كما في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} فهاتان قرينتان ثانيتهما أكثر عددا من الأولى، والثانية كقوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} فقوله: {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} قرينة ثالثة، وهي أطول من سابقتيها، كما هو ظاهر.

ولا يحسن أن يؤتى بالقرينة الثانية أو الثالثة أقصر مما سبقتها؛ لأن السجع قد استوفى أمده في

الأول، فإذا جاء الثاني أقصر بقي الإنسان عند سماعه بمثابة من يريد الانتهاء إلى غاية، فيعثر دونها.

٥- الازدواج: هو تجانس اللفظين المتجاورين كقوله تعالى: {مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ} ونحو: من جد وجد ومن لج ولج، وما أشبه ذلك.

٦- لزوم ما لا يلزم: وهو أن يلتزم الناظم أو الناثر قبل الروي نظمًا، أو قبل الحرف الأخير في الفاصلة نثرًا ما ليس بلازم، كالتزام حرف وحركة، أو كالتزام أحدهما بحيث يتم النظم، أو السجع بدونه.

فمما التزم فيه الحرف والحركة معًا قول الطغرائي[٢] في لاميته المشهورة:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وكقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} .

فحرف الروي[٣] في البيت هو اللام، وقد جيء قبله بطاء مفتوحة في المصراعين، وهو ليس بلازم والحرف المقابل للروي في الآية هو "الراء" وقد جيء قبله بهاء مفتوحة في الفقرتين، وهو ليس بلازم كذلك؛ إذ يتم النظم في الأول، والسجع في الثاني بدونهما.

---

١ السدر: شجر النبق، و {مَخْضُودٍ} : مقطوع الشوك، والطلح: نوع ضخم من الشجر.

٢ هو شاعر جليل أصبهاني الأصل، برع في الكتابة والشعر حتى كان أوحد زمانه.

٣ هو الحرف الذي بني عليه القصيدة في آخر البيت، وتنسب إليه، فيقال: قصيدة ميمية، أو لامية، وهكذا.

ومما التزم فيه الحركة فقط قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

فقد التزم الفتح فقط في الحرف الذي قبل الروي، وهو ليس بلازم.

ولأبي العلاء المعري الباع الطويل في هذا النوع، وها هي ذي لزومياته شاهد صدق على ذلك.

تمرين يطلب جوابه:

بين أنواع المحسنات اللفظية فيما يأتي:

١-

لو زارنا طيف ذات الحال أحيانًا ... ونحن في حفرة الأحداث أحيانا

٢-

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

لا يوالي الدهر إلا ... خاملًا ليس بنابه

-٣

والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لنقتني السؤدد والمكرمة

-٤

فهمت كتابك يا سيدي ... فهمت ولا عجب أن أهيما

٥- رحبة رحبة.

٦- قال الحريري: فمحرابي أحرى بي وأسمالي[1] أسمى[2] لي.

٧- البرايا أهداف البلايا.

٨- بذلت الجهد لحافظ العهد.

٩- قال البحتري:

لئن صدفت عنا فربت أنفس ... صواد إلى تلك الوجوه الصوادف[3]

وكم سبقت منه إلى عوارف ... ثنائي على تلك العوارف وارف

١٠- البدعة شرك الشرك.

١١- قال تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} .

-١٢

ممنعة منعمة رداح ... يكلف لفظها الطير الوقوعا

١٣- جئت من حلب ببلح

١٤- حر الكلام كلام الحر

---

١ جمع سمل، على زنة حذر: الثوب الخلق.

٢ من السمو.

٣ الصوادي جمع صادية وهي العطشى، والصوادف جمع صادفة وهي المعرضة.

-١٥

فيا سعد حدثنا بأخبار من مضى ... فأنت خبير بالأحاديث يا سعد

-١٦

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم؟

١٧- {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} .

١٨- من علم سلم.

-١٩

سأشكر عمرًا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن[1] وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي[2] من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

تمرين آخر يطلب جوابه:

لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار. ما مات من أحيا علمًا، ولا افتقر من ملك حلمًا.

سر بى فسر بى طلقوا وطني. الشرط أملك عليك أم لك؟ فلان طويل النجاد، وطلاع النجاد.

وقلت للائمي: أقصر فإني ... سأختار المقام على المقام

في الحديث: "عليكم بالأبكار؛ فإنهن أشد حبًّا وأقل خبًّا".

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في رأي النهى مران

والرأي فيما دونه الأمران أن ... تختار وقع أسنة المران

وكم غرر من بره ولطائف ... لشكري على تلك اللطائف طائف

فإن حلوا فليس لهم مقر ... وإن رحلوا فليس لهم مفر

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ... ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا؟

فكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال سجود في مجالس جود

آس أرملا إذا عسرا ... وارع إذا المرء أسا

قال بعضهم: غرك عزك، فصار قصار ذلك ذلك، فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى.

فالهم ألهمنا الهداية، ووفقنا إلى الصواب، وجنبنا فاحش الفعل قولًا وعملًا، و {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} .

---

[1] لم تقطع.

[2] الخلة بفتح الخاء: الحاجة.

أسئلة لامتحانات رسمية:

نصوص امتحانات سابقة للنقل من الأولى إلى الثانية:

الدور الأول لسنة ١٣٥٥هـ دراسية:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية مع التمثيل:

بلاغة الكلام، التشبيه الملفوف، تشبيه التسوية، التشبيه المرسل، الاستعارة التخييلية، كناية النسبة، الرجوع، حسن التعليل.

٢- اشرح أربعة من الأغراض التي تقصد من التشبيه، ومثل لكل غرض.

٣- بين ما في البيتين الآتيين من البديع:

ألا بأبينا جعفر وبأمنا ... نقول إذا الهيجاء سار لواؤها
ولا عيب فيه غير ما خوف قومه ... على نفسه ألا يطول بقاؤها
ثم تكلم من علم البيان على ما تحته خط في الأبيات الآتية:
دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
فكابروا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
٤- مثل من إنشائك لكل ما يأتي:
مجاز مركب، استعارة مطلقة، كناية يراد بها صفة، تشبيه المشبه فيه حسي والمشبه به عقلي.
الدور الأول لسنة ١٣٦٠هـ دراسية:
القواعد:
١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية:
ضعف التأليف، التعقيد المعنوي، الاستعارة بالكناية، الاستعارة التمثيلية.
٢- يقولون: إن التشبيه يتفاوت في المبالغة قوة وضعفًا باعتبار ذكر الأركان وتركها. اشرح ذلك مع التوضيح بالأمثلة.

٣- أجب على ما يأتي:
أ- افرق بين المجاز المرسل والاستعارة، ومثل لكل منهما.
ب- متى يعتبر الترشيح والتجريد في الاستعارة؟ بين ذلك في مثالين تأتي بهما.
ج- لِمَ كان المجاز أبلغ من الحقيقة؟ اشرح ذلك في مثال من عندك.
التطبيق:
١- بين نوع كل استعارة وقرينتها في كل مما يأتي:
أ- شر الناس من يهدم دينه ليبني دنياه.
ب-
شراء النفوس بالإحسان ... خير من بيعها بالعدوان
ج- أولى الناس بزمام الحكم من يبسط جناح رحمته على الرعية.
٢- ما نوع الكناية فيما يأتي:
أ- قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قلة الجرذان.
ب-
ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب
ج- قولهم في مدح الشخص: المجد ملء إهابه.

د- وقولهم: فتى ذكره على مشرق الشمس والمغرب.

٣- بين ما في الأبيات الآتية من أنواع البديع:

أ-

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

ب-

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

ج-

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

ومولع بفخاخ ... يمدها وشباك

قالت لي العين ماذا ... تصيد قلت كراكي

الدور الثاني لسنة ١٣٦٠هـ دراسية:

القواعد:

١- افرق بين الحال ومقتضى الحال، وخاطب من ينكر كرمك بعبارة تطابق مقتضى الحال، مع بيان ذلك فيها، ثم بين على أي شيء يتوقف حصول البلاغة؟

٢- عرف كلا من الاستعارة المرشحة والمطلقة والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها في المبالغة، مع التمثيل والتوجيه لما تذكر.

٣- أجب على ما يأتي:

أ- لماذا لا تجري الاستعارة في علم الشخص؟ وهل ذلك مطرد؟

ب- اشرح أغراض التشبيه التي تعود على المشبه به، مع التمثيل.

التطبيق:

١- بين نوع المجاز فيما تحته خط مما يأتي، وأجر الاستعارة فيما فيه استعارة:

أ-

كفى بالمرء عيبًا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

ب-

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

ج- {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} .

د- حفر محمد علي ترعة المحمودية.

هـ- سكنت القاهرة.

٢- مثل من إنشائك لما يأتي: استعارة مكنية، مجاز مرسل علاقته السببية، استعارة تبعية في

مشتق، وجه شبه عقلي، تشبيه ملفوف.

٣- اذكر ما في الأمثلة الآتية من أنواع البديع:

أ-

لا يذكر الرمل إلا حن مغترب ... له إلى الرمل أوطار وأوطان

ب-

أرى بدر السماء يلوح حينا ... ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

ج-

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه

د-

ألست أنت الذي من ورد نعمته ... وورد راحته أجني وأغترف؟

الدور الأول لسنة ١٢٦١هـ دراسية:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية، مع التمثيل:

فصاحة الكلمة، التعقيد اللفظي، بلاغة الكلام، الحقيقة العقلية، التوجيه، الاقتباس. "٦-٤٠"

٢- عرف الاستعارة، واذكر ما لا بد منه فيها. ثم بين متى تأتي في علم الشخص، ومتى يمتنع تأتيها فيه ومثل لما تقول. "٨-٤٠"

٣- ما هي القرينة؟ ولم انقسم اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بسببها إلى مجاز وكناية؟ ثم لم كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه؟ وما معنى هذه الأبلغية؟ "٥-٤٠"

٤- أجب على ما يأتي:

أ- متى تكون الاستعارة أصلية، ومتى تكون تبعية؟

ب- متى يكون المجاز المركب استعارة تمثيلية، ومتى يسمى مثلًا؟

ج- لم كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من غيرها؟ "٥-٤٠"

التطبيق:

١- أ- ميز المؤكد من المرسل في التشبيهات الآتية، واذكر الغرض من كل تشبيه:

والغيث منهل يسح كأنه ... دمع المودع إثر إلف سائر

تصوغ لنا أيدي الربيع حدائقا ... كعقد عقيق بين سمط لآلي

أنت نجم في رفعة وضياء ... تجليك العيون شرقًا وغربا

"٣-٤٠"

٢- بين نوع الكناية في هذه الأمثلة:

ضربت العظمة سرادقها على محمد، فلان يفترش الغبراء، ويلتحف السماء.

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

"٣-٤٠"

٣- هات مثالًا لكل مما يأتي:

استعارة مكنية. مجاز مرسل علاقته المسببية، وآخر علاقته المحلية. ثلاثة تشبيهات: "الأول" وجهه مركب حسي و"الثاني" الغرض منه الاستطراف و"الثالث" مجمل خفي الوجه. "٦-٤٠"

ب- سَمِّ النوع البديعي في كل واحد من الأمثلة الآتية:

١- في الحديث: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة".

٢-

وكنا متى يغز النبي قبيلة ... نصل جانبيه بالقنا والقنابل

٣-

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة ... دعوني فإني آكل الخبز بالجبن

٤-

لم يزل جوده يجور على الما ... ل إلى أن كسا النضار اصفرار

"٤-٤٠"

الدور الأول لسنة ١٣٦٢هـ دراسية:

١- عرف وجه الشبه وافرق بين وجه الشبه الواحد والمركب والمتعدد مع التمثيل، وهل كلما كان الطرفان حسيين وجب أن يكون وجه الشبه كذلك؟ وضح هذا، ممثلًا له.

٢- أ- عرف المجاز المرسل؛ وافرق بينه وبين الاستعارة، ومثل لهما.

ب- متى يجوز جريان الاستعارة في علم الشخص، مع التمثيل والتوجيه.

٣- وازن بين الاستعارة المطلقة، والمرشحة، والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها قوة وضعفًا، مع التمثيل.

التطبيق:

أ- اجعل التشبيهات الآتية استعارات تصريحية: "فوق الأشجار بلابل تغرد كأنها القيان، النجوم في السماء كالدر المنثور".

ب- بين نوع المجاز والكناية فيما يأتي:

فلان طاهر الذيل وملء إهابه الكرم. أنا ساكن الإسكندرية صيفًا.

الدور الأول لسنة ١٣٦٣هـ دراسية:

القواعد:

١- فصل القول في بيان الأمور التي إذا خلصت منها الكلمة تحقق لها وصف الفصاحة، مع التمثيل، ثم اذكر تعريف البلاغة في الكلام، وطبق التعريف على مثال من إنشائك، مبينًا فيه الحال ومقتضاه. "١٠-٤٠"

٢- اذكر أغراض التشبيه، وبين ما يعود منها على المشبه، وما يعود على المشبه به، مع التمثيل. "٧-٤٠"

٣- عرف الاستعارة التمثيلية وأجرها في قوله تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} يريد: الميثاق، ولماذا خصت باسم التمثيلية؟ ثم بين محسنات الاستعارة، وما الذي قلل من حسنها في قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر؟

وكيف صحت الاستعارة في هذا البيت، والطرفان مذكوران فيه، والاستعارة لا يجمع فيها بين الطرفين؟ "١٣-٤٠"

التطبيق:

١- بين نوع الاستعارة في الأمثلة الآتية:

"إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى". {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} . أخبرني وجهك بصدقك. "٦-٤٠"

٢- اذكر النوع البديعي في قول الله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} وبين موضعه في الآية، ثم اشرح معناه. "٤-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٣هـ دراسية:

القواعد:

١- عرف التشبيه، وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول، وما الذي تدخل عليه الأداة من الطرفين؟ وما المراد بوجه الشبه؟ ثم فرق بين التمثيل وغيره، ومثل لجميع ما تذكر. "٧-٤٠"

٢- اشرح الأمور التي إذا خلص منها الكلام كان فصيحًا، ومثل لما تذكر. "٨-٤٠"

٣- وضح الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل، وفي أي نوع من الاستعارة يذكر اسم المستعار منه، وفي أي نوع لا يذكر؟ وما الذي يدل عليه عند عدم ذكره؟ وما معنى الترشيح والتجريد في الاستعارة؟ بين ما تذكر بالمثال. "٦-٤٠"

٤- عرف الكناية ومثل لها، وبين نوعها في المثال التي تذكره، ولماذا كانت أبلغ من التصريح؟ "٤-٤٠"

التطبيق:

١- مثل لما يأتي: تشبيه تسوية، تشبيه أحد طرفيه مركب والآخر مفرد، استعارة في علم الشخص ثم أجرها فيه. "٥-٤٠"

٢- بين النوع البديعي في قول الشاعر:

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره ... متيم لج في الأشواق خاطره

وفي قول الآخر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخرج منه لا علي ولا ليا

٣- ما الذي أخل بالفصاحة في قول الشاعر:

بثينة شأنها سلبت فؤادي ... بلا ذنب أتيت به سلاما؟

وما الوضع الفصيح لهذا الكلام؟

الدور الأول لسنة ١٣٦٤هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح الفرق بين التعقيد اللفظي والمعنوي، ومثل لكل منهما، وبين من أي النوعين قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما

وكيف ترتب هذا الكلام ليكون فصيحًا؟ "٨-٤٠"

٢- متى يكون وجه الشبه قريبًا مبتذلًا؟ ومتى يكون بعيدًا غريبًا؟ وما سبب قربه وابتذاله، وبعده وغرابته؟ بين ذلك مع التمثيل. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة المكنية عند الجمهور، ومثل لها، وهل هي والتخييلية متلازمتان؟ ولماذا؟ ثم أجر الاستعارة في قول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... ثم فالمخاوف كلهن أمان

"٨-٤٠"

التطبيق:

١- بين النوع البديعي، وموضعه في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} .

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله".

وقال الشاعر:

بروحي جيرة أبقوا دموعي ... وقد رحلوا بقلبي واصطباري

كأنا للمجاورة اقتسمنا ... فقلبي جارهم والدمع جاري

"٦-٤٠"

٢- بين نوع المجاز، وعلاقته في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} .

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأمهات المؤمنين: "أطولكن يدًا أسرعكن لحوقًا بي".

وقال الشاعر:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى له قدم

"٦-٤٠"

٣- بين نوع الكناية في المثالين الآتيين:

قال الله تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} .

وقال الشاعر:

ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب

الدور الثاني لسنة ١٣٦٤هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية، ومثل لها:

ضعف التأليف. الحال. تشبيه التسوية. حسن التعليل. "٨-٤٠"

٢- افرق بين التشبيه المجمل والمفصل، وبين أنواع المجمل مع التمثيل لكل نوع منها، ومن أي نوع قولهم في تشبيه الكلام الفصيح: "هو كالعسل في الحلاوة" ولماذا؟

٣- عرف الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة، وهل يجتمعان؟ مع التمثيل لكل ما تذكر.

"٨-٤٠"

التطبيق:

١- أ- بين نوع الكناية في المثالين الآتيين:

قال الله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} .

وقال الشاعر:

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يسير الجود حيث يسير

ب- بين نوع المجاز وعلاقته فيما يأتي: قال الله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ} .

وقال الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقال آخر:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

ج- مثل من إنشائك لما يأتي:

تشبيه جمع، مجاز مرسل علاقته المسببية، استعارة مكنية، كناية أريد بها صفة، مقابلة، ازدواج، مجاز عقلي. "١٤-٤٠"

الدور الأول لسنة ١٣٦٥هـ دراسية:

القواعد:

١- عرف بلاغة الكلام، واشرح التعريف شرحًا وافيًا مع التمثيل، ثم بين النسبة بين الفصاحة والبلاغة، وما منشأ تفاوت مراتب البلاغة؟ مع توضيح ذلك بالمثال. "١٠-٢٠"

٢- بأي أنواع الدلالات تتحقق فائدة علم البيان، ولماذا؟ وما وجه ذكر مبحث التشبيه في هذا العلم؟ وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول. "٨-٤٠"

٣- عرف المجاز المفرد، وقسمه، وبين معنى كل قسم مع التمثيل، ثم بين وجه التقسيم، وبماذا تخرج الغلط والكذب من المجاز؟ وما الفرق بين الكناية والمجاز؟ وضح ذلك في مثال. "١١-٤٠"

التطبيق:

١- بين طرفي التشبيه ووجهه، والغرض منه، في قول الفرزدق:

تفاريق شيب في الشباب لوامع ... وما حسن ليل ليس فيه نجوم

"٤-٤٠"

٢- بين نوع الاستعارة وطريقة إجرائها في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} . "٣-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

استعارة مكنية، كناية عن موصوف، تشبيه تمثيل، تورية. "٤-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٥هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح معاني الألفاظ الآتية، ومثل لها:

فصاحة المفرد، التشبيه الملفوف، تشبيه التسوية، الاستعارة المرشحة، كناية النسبة. "١٠-٤٠"

٢- متى تعود فائدة التشبيه على المشبه به؟ ومتى يعدل عن التشبيه إلى التشابه؟ ومتى يكفي مجرد الادعاء في تحقيق التشبيه؟ ومتى لا يكفي؟ بين جميع ذلك بالأمثلة. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة، واذكر أركانها، وبين الأمور التي يجب تحققها فيها مع التمثيل، وهل هي من المجاز اللغوي والعقلي؟ وجه ما تقول. "١١-٤٠"

التطبيق:

١- بين نوع الكناية فيما يأتي:

يقولون في الشيب: رغوة الشباب، وفي المرأة المترفة: نئوم الضحى. ويقولون: فلان عانق المجد.

٢- بين نوع الاستعارة، وطريقة إجرائها في قول الشاعر:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

وما فائدة قوله: ريشه الكحل؟ "٤-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

مجاز مركب، تشبيه مفصل، مجاز مرسل علاقته المسببية، استعارة تبعية في اسم الفاعل. "٤-٤٠"

الدور الأول لسنة ١٣٦٦هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح معنى التعقيد، وقسمه، وبين كل قسم مع التمثيل، مع بيان وجه التعقيد فيما تذكر من المثل. "١٠-٤٠"

٢- عرف وجه الشبه، وبين التحقيقي منه وغيره، واذكر الفرق بين المركب والمتعدد منه، مع التمثيل لكل ما تقول. "٩-٤٠"

٣ عرف الاستعارة التصريحية وقسمها باعتبار اللفظ المستعار، ومثل لكل قسم، وأجرها في قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

"٩-٤٠"

التطبيق:

١- بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه والغرض فيما يأتي:

كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخففان

"٤-٤٠"

٢- مثل لما يأتي:

تشبيه مجمل. مجاز مركب. مشاكلة. "٣-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٦هـ دراسية:

القواعد:

١- بين معنى مخالفة القياس، واذكر معنى التنافر وما يعول عليه في معرفته.

وضح ما تقول بالأمثلة، واشرح السبب الذي أخل بالفصاحة في البيت الآتي:

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره

"١٠-٤٠"

٢- اذكر أقسام التشبيه من جهة إفراد طرفيه وتركيبهما، وبين معنى التقييد والفرق بينه وبين التركيب، مع التمثيل لكل ما تقول. "١٠-٤٠"

٣- قسم الاستعارة التصريحية باعتبار ذكر الملائم، واشرح كل قسم مع التمثيل، ووازن بين الأقسام من جهة المبالغة. "٩-٤٠"

التطبيق:

قال الشاعر:

١-

كأن الشموع وقد أوقدت ... فأخرجن من كل رمح سنانا

أصابع أعدائك الخائفين ... تضرعن يطلبن منك الأمانا

بين طرفي التشبيه، وهل هما من قبيل المفرد أو المركب؟ واذكر وجه الشبه. "٤-٤٠"

٢- اشرح الكناية في البيت الآتي، وبين المطلوب منها ونوعها:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

"٣-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

تشبيه الغرض منه بيان الإمكان، مجاز مرسل علاقته السببية، كناية المطلوب بها نسبة، مقابلة.

الدور الأول لسنة ١٣٦٨هـ دراسية:

القواعد:

١- ما بلاغة الكلام؟ وما الحال؟ وما مقتضى الحال؟ اذكر مثلًا توضح به الحال، ومقتضى الحال، وبم يرتفع قدر الكلام ويعلو شأنه؟ ولم كان القرآن في أقصى درجات البلاغة؟ "٧-٤٠"

٢- اذكر الفرق بين التشبيه الملفوف، والمفروق مع التمثيل، والفرق بين تشبيه التسوية، وتشبيه الجمع مع التمثيل. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية عند الجمهور، وبينهما في قول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وأجر الاستعارة بالكناية فيه، وبين لما سميت التخييلية استعارة، ولم سميت تخييلية؟ ولم كانت التخييلية والمكنية متلازمتين عند الجمهور؟ "١٠-٤٠"

التطبيق:

١- بين المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة في قول الشاعر:

العمر مثل الضيف أو ... كالطيف ليس له إقامة

"٣-٤٠"

٢-كون ثلاثة تشبيهات من إنشائك، يكون وجه الشبه في الأول واحدًا، وفي الثاني مركبًا، وفي الثالث متعددًا. "٥-٤٠"

٣- قال ابن نباتة السعدي في وصف مهر أغر:

وأدهم يستمد الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا

في الشطر الثاني من هذا البيت استعارة، فبينها وبين قرينتها ثم أجرها. "٤-٤٠"

٤- بين ما في هذه الأبيات من البديع:

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في رأي النهى مران

والرأي فيما دونه الأمران أن ... تختار وقع أسنة المران

وقال ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات نجوم

"٣-٤٠"

موضوعات الكتاب:

٣ مقدمة

٧ كلمة موجزة في تاريخ علوم البلاغة

٩ وجه الحاجة إلى دراستها

١٠ معنى الفصاحة والبلاغة

١٠ فصاحة الكلمة

٢٠ فصاحة الكلام

٢٧ فصاحة المتكلم

٣٠ بلاغة الكلام

٣٣ بلاغة المتكلم

٣٤ تتمة في معرفة العيوب المخلة بالفصاحة والبلاغة

٣٨ علم البيان

٤١ مبحث الدلالة

٤٧ تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز وكناية
٤٨ مبحث التشبيه: تعريفه، أركانه
٤٩ التقسيم الأول للطرفين
٥١ التقسيم الثاني للطرفين
٥٤ التقسيم الثالث للطرفين
٦١ مبحث وجه الشبه
٦١ التقسيم الأول لوجه الشبه
٦١ التقسيم الثاني لوجه الشبه
٦٣ التقسيم الثالث لوجه الشبه
٦٦ التقسيم الرابع لوجه الشبه
٦٨ التقسيم الخامس لوجه الشبه
٧٠ التقسيم السادس لوجه الشبه
٧٧ مبحث الأداة
٨٧ تقسيم التشبيه باعتبار الأداة
٨٧ مبحث أغراض التشبيه
٨٧ تقسيم التشبيه باعتبار الغرض
٩٣ فصل في بيان مراتب التشبيه
٩٥ خاتمة في استعمال صيغة التشابه بدل صيغة التشبيه
٩٧ الاختلاف في صيغة التشبيه
٩٧ مبحث الحقيقة والمجاز
٩٩ أقسام الحقيقة العقلية
١٠١ المجاز العقلي
١٠٣ علاقته وقرينته
١٠٥ المجاز المفرد
١٠٦ الاستعارة
١٠٦ ما لا بد منه لتحقيقها
١١٠ الاستعارة التصريحية وتقسيمها باعتبار الطرفين واللفظ المستعار
١١١ الاستعارة في الفعل
١١٢ الاستعارة في المشتقات
١١٤ الاستعارة في الحرف

١١٦ تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة
١١٩ موازنة بين هذه الثلاثة

١١٩ قرينة الاستعارة التصريحية
١٢٢ الاستعارة المكنية
١٢٢ قرينة المكنية
١٣١ فصل في شرائط حسن الاستعارة
١٣٣ المجاز المرسل
١٣٤ علاقات المجاز المرسل
١٤٤ المجاز المركب
١٤٤ الاستعارة التمثيلية
١٤٩ مبحث الكناية
١٥٠ أقسام الكناية
١٥٨ تتمة في أبلغية المجاز والاستعارة والكناية
١٦١ علم البديع
١٦٣ المحسنات المعنوية، المطابقة
١٦٤ المقابلة
١٦٥ المشاكلة، الاستخدام
١٦٦ التورية
١٦٧ اللف والنشر
١٧٩ التوجيه
١٧٩ الاقتباس
١٨٠ الجمع، التفريق
١٨٣ التقسيم، المبالغة
١٨٤ حسن التعليل
١٨٥ ائتلاف اللفظ مع المعنى
١٨٦ حسن الابتداء
١٧٩ حسن الختام
١٨١ المحسنات اللفظية، الجناس
١٨٥ رد العجز على الصدر

١٨٧ العكس
١٨٨ السجع
١٩٠ الازدواج، لزوم ما لا يلزم
١٩٣ أسئلة لامتحانات رسمية